

مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق

العدد ١٣٣٩ : هو الموافق لسنة ١٩٢١ م

تشر في دمشق مرة في اشهر

تموز وآب سنة ١٩٣٧ م

ربيع ثاني وجمادى الاولى سنة ١٣٥٦ هـ

دمشق :

المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي { في سورية ولبنان ١٥٠ قرشاً سورياً
الدفع مقدماً { وفي جميع الاقطار ٤٠ فرنكاً

مجاميع المجلة عن السنين الماضية

من السنة الاولى ، ثمن السادسة الى كل سنة منها في الداخل ٢٥٠

السابعة الى الثانية عشرة ٢٠٠

الاولى الى السادسة في الخارج ٤٠٠

السابعة الى الثالثة عشرة ٣٢٥

عدي بن الرقاع العاملي

١

صمائه

هو ابو داود عدي بن زبد بن مالك بن عدي بن الرقاع العاملي من بني عاملة . وهم من عرب اليمن ينتهي نسبهم الى كهلان ثم الى قحطان . تزحوا عن اليمن الى الشام مع من تزح من اليافيين قبل الاسلام . يقول الحمداقي في صفة جزيرة العرب : (ديار عاملة محاذرة للاردن وجبل عاملة مشرف على عكا من قبل البحر يليها وبطل على الاردن) . ويقول أيضاً : (وأما عاملة فهي في جبلها مشرفة على طبرية الى نحو البحر) . ويقول ابن خلدون في كتاب العبر : (ان بني عاملة بطن متسم ومواطنهم بيرة الشام) ويقول القافشندي في صبح الاعشى : (ان بجبال عاملة من بلاد الشام الجم الكثير من بني عاملة) . ونسب الناس عدياً الى الرقاع وهو جد جده لشهرته .

وقد زعم بعض النساب أن عاملة من معد بن عدنان وليست من قحطان ، ولكن عدياً نفسه يتولى الرد عليهم بقوله :

قحطان والدنا الذي ندعى له وأبو خزيمة خندق بن تزار

وفي لغة عدي أيضاً ما يصحح دعواه قال :

فانك والشعر ذو تزجي قوائيه كبتني الصيد في عريسة الاسد

يريد (الشعر الذي تزجي قوافيه) وذو معنى الذي في لغة طي، وطبي من قحطان .

نحن لا نعلم على التحقيق في أي سنة ولد عدي ولكن يغلب على الظن أن يكون مولده حوالي العقد الرابع من القرن الاول لان من أول ما روي عنه من الشعر أبياتا قالها في زمن يزيد بن معاوية وأنشده اياها . ويزيد ببيع بالخلافة سنة ستين وتوفي سنة أربع وستين . فلا نكون مخطئين إذا قدرنا أن عديا كان وقتئذ شابا .

اما منزله فقد كان بدمشق كما نص على ذلك صاحب الاغانى . وقال أيضا « هو من حاضرة الشعراء لا من باديتهم » ولقبه ابن دريد في كتاب الاشتقاق بشاعر أهل الشام وعده محمد بن سلام الجمحي في الطبقة السابعة من شعراء الاسلام . نشأ عدي في دمشق عاصمة الدولة الاموية وكان هواه مع بني أمية (يمدح أحياءهم ويرثي أمواتهم) كما قال الوليد بن عبد الملك ، ولا يقف عند هذا الحد بل يري رأيهم ويقول بقولهم ويؤيد سياستهم وينحس لهم وهو سلم لمن أطاعهم وحرب على من عصاهم ، ينصرهم بلسانه وبسيفه لا عن رغبة بل عن رأي وعقيدة . قال يمدح عبد الملك ابن مروان بعد أن ظفر في الوقعة التي كانت بينه وبين مصعب بن الزبير وانتهت بمقتل مصعب بدير الجاتليق :

لعمري لقد اصحرت خيلنا	باكتاف دجلة للمصعب
فقدت منا واضح وجهه	كريم الخرائب والمنصب
أعين بنا ونصرنا به	ومن ينصر الله لم يلب
فداؤك أمي وأبنائهما	وان شئت زدت عليها أبي
وما قاتلها رهبة إنما	يحل العقاب على المذنب
إذا شئت نازلت مستقلا	أزاحم كالجلل الاجرب
فمن بك منا يث آمنة	ومن بك من غيرنا يهرب

أفلا ترى صدق الالهجة في قوله (وما قتلها رهبة ٠٠٠٠) فضلا عن بقية الايات التي تنبي بان الشاعر حارب في جيش عبد الملك .
فلما توفي عبد الملك وخلفه ابنه الوليد اختص عدي به ومدحه بقصائد من حر الشعر في منها قصيدتان مطلع الاولى :

عرف الديار توها فاعتادها من بعدما شمل البلى ابلادها

ومطلع الثانية :

طار الكرى وألم الهم فاكتنعا وحيل بيني وبين النوم فامتنعا

وأيات من قصائد خلد بها مآثره واشاد بأعماله العظيمة كما مدح ابنه عمر بن الوليد فقربه الوليد وقدمه وكان بدعوه (شاعرنا) . واثن أحب عدي بني أمية عامة فلقد آثر الوليد منهم خاصة وأخلص في حبه كثيرا حتى تنى أن يموت بجمياته فقال من قصيدة بمدحه بها :

عذنا بذى العرش أن نحيا ونفقده وان نكون لراع بعده تبعا

والكن هذه الامنية لم تتحقق فقد توفي الوليد وبوبع بعده أخوه سليمان بن عبد الملك فاستقدم عديا وعانيه ووصله واجتمع مرة عنده مع الفرزدق وجريز وكثير . وتوفي سليمان وخلفه عمر بن عبد العزيز وعدي حي وقد ذكره بشعره إذ يقول :

لو لا اختياري أبا حفص وطاعته كاد الهوى من غداة البين يعتزم

ولم يذكر صاحب الاغانى ولا ابن عساكر في التاريخ الكبير ولا ابن سلام الجعفي في طبقات الشعراء ولا ابن قتيبة في الشعر والشعراء خبراً لعدي بعد عمر بن عبد العزيز الذي بوبع بالخلافة سنة تسع وتسعين وتوفي سنة احدى ومائة فلا يبعد أن يكون عدي توفي في خلافته .

وكان تقدمه عند بني أمية آثار حسد الشعراء له فقد تعرض له جرير في مجلس الوليد بن عبد الملك فنافسه عدي ثم لم تتم بينهما مساجاة لان الوليد منع جرير أن هجائه جرير تعريضا ولم يصرح باسمه خوفا من الوليد . وهجاء الراعي فرد عليه عدي وكان كثير يبخسه لانه كان يلقنه عن عدي أنه بطعن علي شعره .

وكان له بنت شاعرة اسمها سلمي فاته ناس من الشعراء لبيانوه وكان غائباً فسمعت بنته وهي صغيرة فخرجت اليهم وقالت :

تجملتم من كل أوب وبلدة على واحد لا زلتم قرن واحد

فأفحمتهم . ويسئل من كنيته على أنه كان له ابن اسمه دارد ومماه بعضهم دواداً ولا نعرف من خبره شيئاً . كما أن قوله : (فداؤك أمي وأبناؤها)
بني بان له اخوة خفيث علينا اسماءهم .

وله ديوان شعر ذكره ابن النديم في كتاب الفهرست . وذكر عبيد القادر البغدادي في خزائن الادب ج ١ ص ١٠ أنه اطلع على ديوان عدي بن الرقاع وعده في جملة الدواوين التي اعتمد عليها في تأليف الخزائن . ولكن لا يعلم الآن مكان ذلك الديوان .

صفته واهلاقه

لم ينس أحد من ذكر ابن الرقاع على شيء من صفته غير ابن عساكر فانقد ذكر أنه كان أرمصاً . ويصفه لنا عبيد الراعي الشاعر بأنه قصير أو قص اذ بهجور . ويقول :
جنادف لاحق بالرأس منكبه كأنه كودن يوشى بكلاب
من مشر كحلت باللوم اعينهم فقد الاكف لنا غير صياب
جنادف أي قصير أراد أنه أو قص والكودن البرذون ويوشى يستحث والكلاب
المهاز واقفد الكف مائلها والصياب السادة . والله يعلم مبلغ هذه الصورة من العفة .
على أن بعض أخباره التي أوردها صاحب الاغانى وابن عساكر مع البقية الباقية من شعره يمكن ان نصف لنا شيئاً من نفسه واهلاقه .
كان عدي يفخر بما يفخر به نثيان العرب الحب والشجاعة والفصاحة وفي ذلك يقول :

فلقد ثنيت بد الفتاة وسادة	لي جاعلابسرى يدي وسادها
وأصاحب الجيش العرمم فارسا	في الخيل أشهد كرها وطرادها
وقصيدة قد بث أجمع بينها	حق أقوم ميلها وسنادها

وكان واثماً لاصحابه في مراثيمهم وضرائهم لا يتعرف عنهم بانحراف الزمان
والسلطان ، عزل الوليد بن عبد الملك عبيدة بن عبد الرحمن عن الاردن وضمه وحلقه
وأقامه للناس وقال للمتوكلين به من أناه . متوجعا واثني عليه فاثنوني به فأتى عدي بن
الرقاع و كان عبيدة اليه محسنا فوقف عليه وأنشأ يقول :

فما عزلوك مسبقا ولكن الى الخيرات خبايا جوادا
و كنت اخي وما ولدتك امي وصولا باذلا لي مستزادا
وقد هيضت لنكبتك القدامى كذاك الله يفعل ما أرادا

فوثب المتوكلون به اليه فادخلوه الى الوليد واخبروه بما جرى فتغيظ عليه الوليد وقال
له أتمدح رجلا فعلت به ما فعلت ؟ فقال يا أمير المؤمنين انه كان الي محسنا ولي مؤثرا وبني
برأ فني في وقت كنت أكانته بعد هذا اليوم ؟ فقال صدقت وكرمت فقد عفوت عنك
وعنه لك فخذ و انصرف . وانصرف به الى منزله .

وكان شديد العارضة حاضر الجواب ، دخل جرير على الوليد بن عبد الملك وعنده
عدي بن الرقاع فقال له الوليد اتعرف هذا ؟ فقال لا يا أمير المؤمنين ، فمن هو ؟ قال
هذا عدي بن الرقاع . فقال جرير : نشر الثياب الرقاع ، فمن هو ؟ قال من عاملة .
قال جرير : أمن التي قال الله تعالى فيها عاملة ناصبة تصلي نارا حامية ثم قال :
يقصر باع العاملي عن الندي ولكن = العاملي طويلا
فقال له عدي :

أأمك كانت اخبرتك بطوله أم انت امروا لم تدرك كيف تقول

فقال جرير : لا بل أدري كيف أقول . فقال الوليد والله لير كبتك شاعرنا ومادحنا
والرثي لامواتنا ، تقول هذه المقالة ؟ والله لئن هجوته لافعلن ولا فعلن . فلم يصرح جرير
بهبائته وعرض فقال قصيدته التي أوتها :

حي الخدمة من ذات المواعيس

وقال فيها يعرض به :

أقصر فان تزارا لن يفاخرم فرع لثيم واصل غير مفروس

وابن اللبون اذا ما لث في قوت لم يستطع حولة البزل انقناعيس
 قد جربت عركتي في كل معترك غلب الاصود فما بال الضعافيس
 وكان عدي مدح الوليد بن عبد الملك بقوله :
 عذنا بذى العرش أن نحيا وتقده وأن نكون لراع بعده تبعاً
 فلما توفي الوليد وبوبع بالخلافة لسليمان بن عبد الملك استدعى عدياً فلما دخل عليه
 قال ان كنت لكأرها لخلافتي . قال وكيف ذاك يا أمير المؤمنين ؟ قال حين تقول
 في مدحة الوليد :

عذنا بذى العرش ان نبقى وتقده وان نكون لراع بعده تبعاً
 قال ابن الرقاع والله ما هكذا قلت يا أمير المؤمنين ولكني قلت :
 عذنا بذى العرش ان نبقى وتقدهم وان نكون لراع بعدهم تبعاً
 قال او كذلك ؟ قال نعم . فوصله واذن له بالانصراف .
 ومن شعره ما يدل على انه كان نياها كثير الاعجاب والذهاب بنفسه قال من
 قصيدة :

وعلمت حتى ما اسائل واحداً عن علم واحدة لكي ازدادها
 وافق ان عدياً ما انشد الوليد بن عبد الملك القصيدة التي منها هذا البيت كان
 عنده كثير فلما انشد هذا البيت قال كثير كذبت ورب البيت الحرام فليمنحك
 أمير المؤمنين بأن يسألك عن صفار الامور دون كبارها حتى يتبين جهلك وما كنت
 قط أحق منك الآن حيث تغن هذا بنفسك فضحك الوليد ومن حضر .
 وروي عن محمد بن المنجم أنه قال : ما احد ذكر لي فأحييت ان اراه فاذا
 رايته امرت بهفمه الا عدي بن الرقاع قيل : ولم ذلك قال لقوله :

وعلمت حتى ما اسائل واحداً عن علم واحدة لكي ازدادها
 فكنت اعرض عليه اصناف العلوم فكنا سر به شيء ولا يحسنه امرت بهفمه .
 وقد سماه جرير الشاعر المغرور حين عرض به فقال :

اني اذا الشاعر للمغرور جريري جار لقبر على مران مرموس
 ولكنه مع هذا الاعجاب بنفسه لم يقو على مصادلة جرير بل خافه فقد روي أنه

لما اجتمع بجرير عند الوايد بن عبد الملك وهدده جرير بالهجاء دثب عدي إلى رجل
الوايد فقبلها وقال اجرني منه .

وإذا صح أن تكون الصفات التي بنيت بها الشاعر نفسه دليلاً على أخلاقه جاز لنا
أن نقول إن عدباً كان جلدأ لا ينفعهم لربب الدهر لقوله :

ونكبة لو رمى الراعي بها حجراً أصم من يابس الصوان لانصدعا

أتت علي فلم أتزع لها سلمي ولا استكنت لها شكوى ولا جزعا

وإنه كان حمولاً على نفسه غير مؤول لقوله :

فسترت عيب معيشتي بتكروم وأبيت في سمة النجم حدادها

وهما يكن من مباغة في هذه الصفات فانها تضرب برق إلى الحقيقة في نفس الشاعر .

أما هواء السيابي فقد كان مع بني أمية كما تقدم ذكر ذلك في حياته .

خليل مردم بك

يتبع :



بحث في اللغة العربية^(١)

لا يعرف نوانص نفقتا العربية في هذا العصر إلا من عانى الترجمة منها واليهما في موضوعات مختلفة زمنياً طويلاً ، خذاً ابن الأثير وأبداً بترجمة بعض صحائفه مما يتعلق بالعصر العباسي مثلاً ، فإنك لا تلبث أن تقف حائراً أمام كثير من الألفاظ التي دخلت اللغة بتوسع حضارة العرب ، ولا تجد لتلك الألفاظ ثراً حتى في المطولات كـ «البيان والنتاج» ، كأن اللغة عبارة عن الشعر الجاهلي وما رواه الرواة من كلام أهل البادية ، وإن كل ما خرج عن ذلك هو من الغزو الذي لا يلتفت إليه ، أو كأن اللغة جسم مات بعد ذلك الدهر فكفن بأكفان تلك الألفاظ والألفاظ ودفن في قبور ضيقة من حديد بلا بحث ولا نشر ، وتناول كذلك كتاباً يبحث عن صناعة من الصناعات الحديثة في لغة أخرى وحاول ترجمته إلى العربية ، فإنك تقف في ذلك الموقف نفسه وتأخذ منك الحيرة كل مأخذ ، فتتوقف في أكثر المصطلحات ولا تجد معجماً يهديك إلى ما يقابلها في العربية ، فتفطر أحياناً أن تخلق لها لفظاً من عندك أو أن تفيد معناها باللفظ عديداً ، والأمر فوضى في يد المترجم وقد يحسن وقد يسيء .

ازداد نمو اللغة العربية بعد دورها الجاهلي والإسلامي وتوسعت بما دخلها من مثات

(١) المجمع : كان الاستاذ زكي مغامر عضو مجعنا الملحي قد أرسل قبيل وفاته هذا البحث إلى المجمع ، فعدت عوادٍ حالت دون نشره ، واليوم ننشره تجديدًا لذكرى فقيدنا الذي كان رحمه الله يحرص على أن ينشر في حياته ، وفيه من الآراء ما لا يوافق المجمع عليه ، وقد أشير في التعليقات إليه .

الألفاظ الجديدة من أسماء المأكول والمشروب والملبوس والأثاث وتنوع أسباب المعاش ومصطلحات الصناعات والحرف والعلوم الإسلامية والدخيلة ، دعى المصطلحات الإدارية والقضائية والعسكرية والمالية التي حدثت بعامل توسع الدولة كما هو معروف ، لأن السلف الصالح من العرب قد نقلوا علوم الأوائل إلى لغتهم وتوسعوا فيها بالاختراع والابتكار ، واقتبسوا من الأمم التي تقدمتهم في المدنية كل ما ليس عندهم ، وقد كتب علماء العرب كل ذلك في مؤلفات مغلدة ما زالت تشهد لهم بالذكاء المتكامل والجهاد العظيم في سبيل العلم فتوسعوا في اللغة وأفادوا بها كل معنى دخلها ووضعوا لكل علم مصطلحه وجعلوا كل ذلك ملكاً حلالاً للغة ، كما توسع الناس من جميع الطبقات في مظاهر العيش وانتشرت بينهم أسباب الرخاء والترف مما لم يكن لهم به عهد في صالغ الزمن ، وعينوا لكل شيء ما يميزه من الأسماء والألفاظ وتداولوها في أحاديثهم وكتاباتهم ؛ ولكن علماء اللغة عدوا كل ما لم ينطق به قدماء العرب من الدخيل الركيك ، وجعلوا الاعتداد به عيباً وعاراً ، فخلت المعاجم العربية من هذه الألفاظ وامتلات بأشياء لا يحتاج إليها إلا المتبحرون من علماء اللغة وهم القليل من أفراد الأمة ، وبقي السواد الأعظم بلا معجم عام يرجعون إليه في ما يلزمهم فهمه ولا يفهمونه ، زد على ذلك انقراض اللغات العامية عن لغة الكتابة في كل صقع وقطر ، بحيث أصبح العربي العامي غريباً عن لغة آبائه وأجداده ، لا يستطيع الإحسان فيها إلا بعد الجهد الكبير ، كأنه يتعلم لغة أجنبية ، وهي مصيبة عظمى لا يباد لها مصيبة ، مني بها العرب في كل مكان وكانت من أكبر عوامل تأخرهم في هذا العصر وفي المصور التي سبقته ، إذ خالفوا السنة المتبعة في لغات سائر الأمم الراقية من وحدة اللغة تكليماً وكتابة . ولا ريب أن رقي تلك الأمم كشف عنهم هذه المصيبة بعكس ما هو عندنا فإن في تأخرنا قد عضل هذا الداء وظل أعظم عثرة في سبيل تقدمنا ، ولا يرجي للعرب نجاة من هذه البلية إلا أن يلفوا شأن الأمم الراقية في العلوم والترقي فتأتي وحدة اللغة من نفسها .

اللغة ملك للأمة بأمرها لا ملك أفراد معدودين منها ، والحاجة إليها عامة سواء للخواص والعوام ، فكما أن اللغة منهجاً شعرياً وأديباً فكذلك لها أيضاً مناهج كثيرة أخرى تألف منها أجزاء اللغة ، فلها منهج لمن يقرؤون الحكايات والقصص ، ولها منهج

لأرباب العلوم والفنون على تنوعها ، ولما منهج لاهل الصناعات والحرف على اختلافها وكثرتها ، فالنجار مثلاً ينبغي ان يرى في فهرست اللغة للتداول في أيدي الناس (المعجم) جميع حركاته في صناعته وأسامي آلاته وادواته حتى اصفرها وأدقها ، فإن ذلك جزء من اللغة غير خارج عنها ، وهكذا الجزار والطباخ والحدادي والمبغ والحائك والمطار والبقال والبزاز والملاح والحلاق والتاجر والصراف والصحاف والفلاح والحداد والإسكاف واليطار والحجام والكحاح والحجار والمقال والقصار الى ما لا يحصى من الصناعات والحرف القديمة ، فضلاً عما جد من الصناعات المصرية وأهلها ، ومن جملتها الآلات المختلفة الحديثة التي تتحرك بقوة البخار كالقاطرات في سكك الحديد ، أو بقوة الكهرباء كالترام الكهربائي أو بالتحركات الكهربائية (موتور) على اختلاف أشكالها وقوتها كالسيارات والطائرات والدراجات والنفوسات وما شابهها . ان كل ذلك يلزم أن يسمى بأسماء معينة لا يشوبها ظن ولا ريب ويجمعه معجم مختصر مفيد (متعج متعجب متعجب) بأسلوب عملي خال من التعقيد موضح بالصور والمصورات مراعي فيه المنفعة العامة لا براعة اللغويين (ممن يليق ان نسيهم كتاب الصور الوسطى الذين يعيشون في هذا العصر بذلك الرأس) على مثال معجم لاروس الصغير الجامع لكل شيء متعل بالحاجة بعيد عن الزوائد التي لا تمس الحاجة اليها ، وهذا للمعجم (أي معجم لاروس) هو مثال يتنادي بأن كل أمة لا يكتف لها معجم مثل هذا لا يطلق عليها اسم امة راقية .

زارني أحد أصدقائي القدماء ، وهو عربي الأصل ، ولكنه لا يعرف اللغة العربية حتى معرفتها لأنه نشأ في المدارس التركية وقضى أوقاته في وظائف الحكومة ولم يشتغل بالعلم بعد المدرسة ، وكأنه قد شمر في الزمن الأخير بأنه أخطأ في إهماله لغة آباءه وأجداده ، فأحب أن يمارس قراءة الكتب العربية تلافياً لما فاتته منها ، فسألني عن معجم عربي تسهل مراجعته ولا يمل قارئه بزوائد ليس له حاجة بها ليستعين به على فهم ما يشكل عليه فهمه من ألفاظ اللغة ، وبعد أن أعملت الفكر ونظرت إلى مقدار استعداد صديقي لم أستطع أن أرشده إلا الى (التبعيد) ذلك للمعجم الصغير المختصر طبع البسوة بين مع علمي بتقصاته ويعض أخطا رأيتها فيه من قبيل المصادفة وهي أخطا

وقعت في بعض أسماء الحيوان والنبات ، وكتابه معذور في ذلك فإن تلك الأسماء جاءت من معجمات اللغة التي يكثر فيها الاكتفاء بقول (اتم حيوان) أو (اتم نبات) بلا تعيين وإيضاح فاضطر المؤلف إلى تعيين أسماء وصور لمسميات أخرى ؛ والسبب في اختياري (المنجد) على سواء هو علمي بأن صدقي لم يمتد إلا مراجعة المعجم الفرنسية أو التركية السهلة الخالية من الزوائد وليس له جلد على قراءة صحيفة أو صفيحتين للوصول إلى الكلمة التي يريد ما كما هو الحال في محيط المحيط واللسان والناج والقاموس ، وهو فرق ذلك لا يعرف تجريد الكلمات إلى الثلاثي أو الرباعي ليهتدي به إلى أماكنها ، والجرد هو العمد في معاجم لغة العرب كما هو معلوم ، وهو بالطبع يجهل تماماً البحث عن الألفاظ بأحرفها الأخيرة كما في اللسان والناج والقاموس وسائر المعاجم القديمة ، بل يضيق صدره إذا رأى أقرب الموارد وهو من أحدث المعاجم وأجودها طبعاً وورقاً وأحرفاً يتألف من ثلاث جملدات ضخمة فيزيد على حالة المبتدئ والمتوسط ولا يبقى المنتهي اللغوي الجسم ، وهو أيضاً عمدته الثلاثي والرباعي للجردان لا أحرف الالفاظ كما هي الحال في معاجم اللغات الأخرى ، وكل فضيلة في هذا المعجم هي في حسن الترتيب والتنسيق في الكلمات وحذف الألفاظ المستهجنة التي لاتوافق هذا العصر ، وقد أوصيت صدقي بأن يفتني أيضاً المعجم الفرنسي طبع البسويين من الفرنسية إلى العربية ، ومن العربية إلى الفرنسية ، حتى إذا أشكل عليه فهم كلمة راجعها في هذين المعجمين ^(١) ولا يستغنى عن معجم لاروس الصغير فإن ذلك يتلافى ما لا يراه في هذين المعجمين وينفعه كثيراً ، لأنني فرضت أن حالة صدقي تعادل حالة تلميذ في مدرسة غربية متوسطة ولا يجوز تحميله أشياء فوق طاقته .

وهنا لا بد لي من أن أعترف بحقيقة لازمتني في حياتي العلمية في كتابة الجرائد والترجمة وهي أنني لم أتعلم من اللسان والناج الا نادراً ، بل أنني ما زلت في عجب

(١) كل هذه المعاجم هي معاجم نافعة ابتدائية لا تنفي بالحاجة الا أنها تصلح أن تكون أساساً للمعاجم أكل منها تكتب بعدها .

عجيب^(١) أن يبقى العرب محتاجين في هذا العصر الى مراجعة معاجم كتبت قبل مئات من السنين ، وهذا يكفي وحده للدلالة على أنهم مازالوا يعيشون في تلك العصور القديمة ولا يعلمون ان حق هذه الكتب ان تحتفظ في المتاحف كالتحجرات القديمة ، وان حقهم في هذا العصر أن يكون لهم معاجم عصرية راقية ؛ ولكنني قد استفدت كثيراً من محيط المحيط وترجمة الفيروزآبادي في التركيبة ، لاحتواء الاول على ألفاظ دخيلة لا غنى عنها في مطالعة الكتب العلمية العربية ، وعلى بعض فوائد خارجة عن موضوع المعجم اللغوي ، علمها المؤلف في أثناء مطالعة الكتب الاخرى فأضافها الى معجمه عند تأليفه وقد أحسن عملاً وفاداً ، ولولا ذلك لما كان حوى هذا المعجم فضلاً يتناز به على غيره ، إلا ما كان من تسهيل المراجعة بالحرف الاول من الالفاظ ؛ اما ترجمة قاموس الفيروزآبادي فقد أضاف المترجم خلال الترجمة الى الاصل أشياء ذات فائدة لا تنكر ، وعين لبعض الاسماء مسمياتها بالتركية ، مما دل على غزارة علمه وكفايته لمثل هذه الترجمة ، وكل ذلك جاء فيه بوضوح تام بحيث أصبحت الترجمة احسن من الاصل واوسع مادة واصح قولاً لمن يعرف التركية ؛ ولو استطاع أحد الكتاب العرب ان يجرد من هذه الترجمة الاصل العربي ، ويعتمد على ما يقابلها في التركية من الالفاظ ، وينسخها في صورة معجم عصري ، لتألف من ذلك احسن معجم كتب بالتركية للتركية حتى الآن ، لان هذه الالفاظ مازالت مستعملة في معظم أنحاء الاناضول وشتان بينها وبين ما ينشئ به بعضهم من الالفاظ الطورانية القديمة التي تذهب هباء بعد وضعها ولا يستعملها الا في الامرة ، فجامع الفاظ قاموس الفيروزآبادي بالتركية قد ضم الالفاظ التركية الصحيحة المستعملة .

وكذلك استفدت من المعاجم الفرنسية لليسوعيين ومعاجم شمس الدين سامي بك بالفرنسية وبالتركية ، فكنت كلما اشتهيت بلفظ من الالفاظ أبحث عما يقابله في احدى الثلاث اللغات التي أعرفها العربية والفرنسية والتركية ، فأهتدي الى ما ينفعني في الكتابة

(١) المجمع : وهذا رأي غريب ، فان من ينقر عن ألفاظ المصطلحات العلمية ، والذي يكتب في موضوعات علمية يحتاج الى المعاجم القديمة ابداً .

والترجمة بفضل مثل هذه المقابلة والتحقيق ، وما ذلك الا لان هذه المعاجم مكتوبة على نمط عصري ، وبكفي ان يراجع الانسان الكاتبة التي يريدها ليحدها بسرعة ولا يضيع الوقت عبثاً ، وقد ضاق الوقت في هذا الزمان بحيث لا يستطيع الانسان اخذته في غير محله ؛ ومن القوائد التي وجدتها في المعجم التركي لشمس الدين سامي بك اشارته الى اصول بعض الالفاظ الدخيلة العربية وخصوصاً الالفاظ التي عربها العرب من اليونانية والفارسية والعبرانية والسريانية وتثبيتته الاصول بأحرف اللغات التي نقلت منها لاسيما المؤلف كان له المام بلغات عديدة ، وهذا لم يفعل مثله مؤلفو المعاجم قديماً وحديثاً ، وكل ما أشاروا اليه في بعض الالفاظ دخيلة اكتفأؤهم بقولهم انها من الدخيل فقط غير مصرحين بلغات التي جاء منها اللفظ الدخيل ، وهذا يؤيد ما روي من القول عن احد كبار الاساتذة المحدثين في احدى المقالات التي نشرت في مجلة مجمعنا العلمي من انه يجب على الذين يشتغلون بعلوم اللغة العربية أن يكون لهم المام باللغات اليونانية والعبرانية والسريانية والفارسية والحبشية والمصرية القديمة والحديثة انخ لان هذه اللغات كان لها تأثير كبير في العربية سواء في دورها القديم او فيما بعده .

وايست غايي مما تقدم من القول ان أنتقد المعاجم او أمدحها ، أو أن اطلب للغة العربية معجماً راقياً مثل قاموس لاروس الصغير ، وأعيب على العرب تأخرهم وعجزهم عن ذلك ، لان معجم لاروس هو نتيجة رقي تلك اللغة وتذوق أهلها على العرب زمناً لا يقل عن قرن أو قرنين ، وليس للعرب لغة متقدمة مثل تلك اللغة ، ولا علماء قديرون مثل أولئك العلماء ، ولا أحرف ومطابع وطابعون مثل أحرفهم ومطابعهم وطابعي الكتب عندهم ، ولا رواج للعالم عند العرب كالرواج الذي عند أولئك ، فمعجم لاروس مثلاً يباع منه في السنة مئات الالوف ، وكلما مر على طبع الكتاب يرهة من الزمن يضيفون اليه ما جدد في اللغة ، ويكثرون طبعه في شكل أحسن واكمل بأحرف جديدة وطبع نظيف متقن ، والطابع عندهم يستورد رأس مال الكتب التي يطبعها في سنة او سنتين فيطبع غيرها ، هكذا تنمو وتزداد مطبوعاتهم على عكس ما في بلاد الشرق القريب ، فان المعجم او الكتب العلمية الاخرى التي تطبع فيها قد لا يستوفي طابعها رأس المال الذي وضعه إلا بعد عشر سنين أو عشرين سنة ، وقد لا يستوفيه بعد خمسين سنة ، وما ذلك إلا

لقلة ميل الناس للعلوم ولا سيما النافعة منها ، وهناك يوت شاسع بين حروفهم وحروف العربية ، وإذا شئت أن تعلم ذلك الفرق العظيم فخذ صحيفة من صحائف معجم لاروس وترجم ما فيه الى العربية ، واجمع بأحرف مطبعية ، واطبعه فانك ترى الصحيفة أصبحت أربع صحائف ، وذلك لان احرفهم صغيرة لا تشغل محلاً كبيراً من الورق ، وهي جميلة جيدة لانها تتجدد في كل وقت ، وحالتهم الاقتصادية تسمح لهم بالتجديد والتحسين على الايام ، وبالجري على ما يقتضي به الزمان والحاجة ، وهذا ما لم يسمح به الزمان للعرب ولا لطائفي كتبهم الى اليوم ، ولذلك ترى معظم الجرائد السورية والمجموعات والكتب التي تطبع في بلاد الشام في منتهى التأخر والقبح من حيث أحرفها القديمة المكسرة وجمع الاحرف على غير قاعدة علمية وطبعها بشكل وسخ وبلا قياس (عيار) منتظم بين الصحائف ولا سيما الصفحة الاخرى التي في ظهرها ، وهذا يقال عن الاكثريّة ، ولكن هناك مطابع قد اتقنت صناعة الطبع بما في وسع الاحرف العربية من إمكان الاتقان كالمطبعة التي طبعت (مجمع اللآل) للاحدب وهي مطبعة فذة في بابها ، ليس لها ما يعادلها في بلاد الشام ولا في غيرها من البلاد العربية الاخرى أو غير العربية ، ولا بأس ببعض مطابع مصر وإن كانت لم تبلغ مدى مطبعة مجمع اللآل ^(١) ، ولكن معاصر الطباعة العربية ضئيلة أمام اكثريّة في منتهى التأخر ، وما زلت أعجب والترك يضمكون من طبع معظم الجرائد المصرية بأحرف كبيرة من نوع ٢٤ بنطاً ، وجرائد أمم الغرب تسعى لتصغير أحرفها حرصاً على تزييد المادة الفكرية بما ينفع لها من المجال من صغر الاحرف ، وبكفي أن يلقي الانسان نظرة الى الانسيكلوبيدبة الانكليزية المطبوعة بأحرف دقيقة على ورق رقيق لا يتمزق بسهولة ليرى الفرق بين مطبوعات الامم الراقية ومطبوعاتنا المتأخرة وبعلم من حقوق تلك الامم وقوتها وسيطرتها ، وهنا يجوز لي أن أذكر السبب الاسامي الذي جعل الترك يترك كون الاحرف العربية ويستبدلونها بالاحرف اللاتينية ، والسبب الحقيقي ليس افتراق العرب فقط عن الترك كما يظن بعضهم ، ولا عدوهم للعرب فقط بعث بهم الى هذا التبديل ، بل ان القضية اجتماعية وتاريخية ، لا مسألة عواطف وغضب ، فان الترك لما رأوا تقدم امم الغرب اقدموا على إصلاح الاحرف

(١) أما اليوم ففي مصر مطابع تقوى مطبعة الآل في الاثنان والجمال .

العربية بكل ما لديهم من الجهد والغيرة ، وهم الذين خدموا الخط العربي عصوراً طويلة خدمة لا ينكرها عليهم احد ، والمصاحف التي كتبها خطاطو الترك المتداولة والمخطوطات المحفوظة تشهد لاولئك الخطاطين بالفضل الكبير على هذا الخط ، ولكن كما كان النابغون من الترك يتقدمون خطوة في سبيل ترقية الطباعة بالاحرف العربية كانت الموانع الكامنة في اشكال الخط العربي ككتابة الاحرف بعضها فوق بعض وانصال بعضها ببعض والنقط والحركات ترجعهم الى الوراء خطوات ؛ ومن المعلوم ان اللغة التركية ليس فيها بعض الاحرف العربية كالثاء والحاء والحاء والذال والصاد والضاد والطاء والظاء والعين والقاف والواء (تلفظها العربي) فكانوا يستعملون هذه الاحرف على الاغلب في الكلمات العربية ولا يتلفظون بها كما يتلفظ بها العرب ، وكانوا يضيفون الى الاحرف العربية الباء المثناة والجيم المثناة والزاي المثناة والكاف الفارسية والكاف الصامتة التركية لتأدية بعض الالفاظ التركية والالفاظ الفارسية المستعملة في اللغة التركية ؛ وقد بلغ عدد اشكال الاحرف العربية - التركية في مصفات المطابع خمسة وثمانين شكلاً على النمط البسيط ، وبلغ عدد اشكال المصفة الكاملة الجامعة للاحرف الهوائية أيضاً مائة وعشرين شكلاً ، ولا يخفى ما في ذلك من الصعوبة وضباب الوقت لجامعي الحروف ، وقد أرادوا الكتابة بالآلات الكتابة الحديثة كما يفعل الفرنسيون حتى الروم والارمن من الامم المحكومة الشرقية فلم ينجحوا ، لكثرة الاحرف وقبح منظرها كما قل عددها ، فضلاً عن الصعوبة التي يصادفها العامل على الآلة ، ثم ارادوا ايضاً جمع الاحرف المطبعية بالآلات المستعملة في اوروبا بعد انتنائهم آلات الطبع السريعة العمل (روتاتيف) وتقرغ لهذا الامر بعض جامعي الاحرف وسافروا الى لوندرة وقضوا فيها زمناً طويلاً في صب الحرف العربي وترتيبه على الآلة والتحرر عليه ، ثم عادوا واشترت المطبعة العاصرة (التي أصبح اسمها الآن مطبعة الدولة) آلتين من هذا النوع لتحركا بالكهربية حتى اذا نجاها مني أصحاب الجرائد والمطابع مثلها تخفيفاً للنفقات الكبيرة التي بدفعها أصحاب الجرائد والمطابع أجرة الى جامعي الأحرف ، لان أعظم نفقة في الجرائد كانت أجرة جامعي الأحرف ، وكانت حملاً ثقيلاً عجز أكثر أصحاب الجرائد عن تحمله ، والجامع الواحد على آلة الجمع يستطيع أن يقوم بعمل ستة من الجامعين ؛ ويصب الأحرار صبا

كلما جمعها فتكون أحرفاً جديدة ونطبع الجريدة بها قطعة واحدة أو بعض قطع بشكل نظيف وطبع مثقن . ثم تذاب بعد انتهاء النطبع ولا يتحمل صاحب الجريدة الخسارة التي تأتي من كثرة استعمال الأحرف وعقمتها وتجديدها من آن لآخر ؛ ولكن هذه التجربة أيضاً لم تأت بغائدة فإن الآتين كانوا لا يجمعان الأحرف بسرعة ، و كانتا في كل يوم تعطلان يقف الجاهلون بلا علم إلى حين إصلاحهما ، و كانت الأحرف التي تجمع بواسطة الآلة مختصرة بعض الاختصار من حيث الخط كما هي الحالة في آلة الكتابة ، فما كان يستحسنها الناظر إليها لتقصها عن حسن الأحرف التي تجمع باليد ، فلما تحقق عدم إمكان استعمال هذه الآلة بالأحرف العربية تركها أصحابها وذهبت النفقات هباء منثوراً . ثم توسلت العسكرية قبل الحرب العالمية للكتابة بالأحرف منفصلة بلا وصل بينها ، فحدث من جراء ذلك فوضى لم يمهذ الناس مثلها في الجندية ، فعدل المتشدعون عن بدعتهم وعادت الأمور إلى ما كانت عليه قبلاً ؛ ولكن بقي انقشء الجديد من الآثار بحدسهم من الأحرف العربية وعدم قابليتها للإصلاح ، وكانوا كلما نظروا إلى تقدم الغرب ازدياد حقه على الأحرف العربية وعجزهم دائماً ولم يزد قورهم من الأحرف العربية واللائظ العربية المستعملة في اللغة التركية هو أن أكثر انقشء الجديد التركي نصب على تعميم لغات الغربية منذ أكثر من أربعين سنة وفاق ثلث ثلثه عن تعلم اللغة العربية بعكس ما كانت في القديم ، بل صعب عليه تعلم القواعد العربية الواردة في الحرف التركي فبقي يحبها وأصبح يكتب نغته ، بكثير من الاغلاط القبيحة فيها ، وكان هذا بأني بالشديد من انتقاد المتشائمين في اللغة انشأ من ذلك حزبان حزب المحافظين وحزب المجددين ، و تعالت بينهما المناقشات ههنا طريلاً حتى كان انقشء في نهاية الامر للحزب الثاني مع ارتكابه الخط و جهله بآداب اللغة ، لأن الزمان كان في عونه ، كما ان حزب تحرير المرأة قد فاز وحزب المحافظة على الحجب قد انحذل ، وليس الفضل في الظفرين إلا للحاجة ردوعي الزمان لا سعي الساعين فقط ؛ ولما انتهت الحرب العالمية بافتراق العرب عن الترك وأحرز الكماليون بعد ذلك الظفر على اليونان ، وقضوا على مطالبم الغرب كما يقولون ، ولم يبق لهم في ائبلاد معارض من الحزب القديم ولا وجل من العرب الذين كان لهم أكبر تأثير في الشؤون الاسلامية ، تولى العازي مصطفى كمال

باشا قيادة الثورة الادبية التي قام بها النشر الجديد التركي ، وأعلن إبطال الأحرف العربية ، واستعمال الأحرف اللاتينية في محلها ، وهي فكرة قد جاءت بتأثيرها ، بعدما اختتمت أحقاباً طويلة كما مر ، ولا يتبعنى الشيء إلا بعد أن نتهياً أسبابه ، وعلى ذلك أحضر الناس والحكومة من أوربة عشرات الآلاف من آلات الكتابة بالأحرف اللاتينية ، وعم استعمالها في مصالح الحكومة ومكاتب المحامين وبيوت التجارة وإدارات الجرائد ، بحيث أنك لا ترى بعد هذا الانقلاب محلاً خالياً من هذه الآلات ، وأعظم المولعين بهذه الآلات اليوم هم الشبان والاولاد والفتيات خصوصاً العاجزين منهم عن حسن الخط والكتابة بلا غلط ، وقد أحضر بعض أصحاب الجرائد آلات جمع الأحرف ، وأخذوا يجمعون أحرف جرائدهم بهذه الآلات ، ومن يرمي بجادة الباب العالي (وهي جادة أقرة الآن) يرمي مصفة أو مجمعة جريدة (مليت) مeroxide على أنظار المارين ، وفيها ثلاث أو أربع آلات كبيرة وأمام كل آلة جامع يجمع الأحرف وهو قاعد على مقعد كأنه يكتب على آلة الكتابة ، ومثل هذا الانقلاب العظيم لا يقال عنه انه خطوة الى الامام بل هو من قبيل الطيران المخلق في الجو للمجهول العاقبة الذي لم يسبق له أمثال في التاريخ منذ ظهور الكتابة في دور الصمران البشري . ولم يذكر لنا التاريخ ان أمة ذات لغة وكتابة قطعت مراحل كثيرة في العلوم والأدب كالامة التركية أبدلت فجأة أحرفها بأحرف أخرى ، ولذلك لا يستطيع أحد أن يتنبأ منذ الآن بما عسى أن تكون نتيجة هذا الانقلاب ، هل تكون خيراً أم شراً ؟ ولكن النشر الجديد التركي يرى أن لا إمكان لتأديب الترك (أي أن يتقبلوا أوربيين) ونقدمهم في العلوم والتقدم والحقوق أمم الغرب المتروية الا بهذا الانقلاب ، فاما أنت تعيش أمتهم في مصاف تلكم الامم ، واما أن يفعل الله بها ما يشاء ، وعندما أن الاتساع أفضل من أن تعيش أمتهم مصابة بأدواء عضالة قديمة لا يستطيع النهوض منها ، من جملة الأحرف العربية المخالفة لمن الكتابة والطباعة المصري ، وتسلط اللغة العربية على لغتهم ، والعرب متأخرون في كل مكان ، ولم يبق للترك منفعة من اعتمادهم باللغة العربية ولا بالعرب ، بل لا يكون لهم من التصاقهم بالعرب الا التأخر والسقوط .

هذا ما يقوله شبان الترك ، والنصف الذي يأخذ الامور على حقيقتها يرى أن

الباعث للترك الى تغيير أحرفهم واستبدالها بالاحرف اللاتينية ليس الا بأسهم من ماض طال عهده ولم يأت بالنقد الذي يطلبه العصر ؛ وهم غيورون على استقلالهم ، قرأوا أنهم اذا لم يشبهوا بالغرب وترقيه خاع منهم الملك والاستقلال ضياعاً لا يمكن تداركه ، وما أصاب البلاد الاسلامية في كل مكان من الاسر والرق والعبودية كان لهم أكبر عبرة اعتبروا به ، فهجروا القديم من قوانين وعادات ومعيشة وعلم وأدب ، ولبسوا الجديد من الأساليب العصرية ، وهم دائبون في هذه الطريق ، والغاية التجرد من الشرق ، والتأورب في كل شيء ، وقد يلفنون غابتهم عاجلاً أو آجلاً ما لم تحدث أمور عظيمة غير منتظرة كظهور حرب عالمية في وقت قريب واشتراك تركية بها ، ومما يمكن من الاسراف أنهم فرحون بما فعلوا ويفعلون ونسبتهم في ذلك أنهم فعلوا الممكن واجروا الواجب عليهم امام التيار الجارف الناضئ عن ترقى امم الغرب .

إن غابني من هذا البحث هي لفت أنظار العرب ولا سيما أرباب الافلام منهم الى ما يحتاجون اليه من نهضة سريعة عصرية في اللغة ووسائلها ، لان اللغة هي آلة الترقى والتقدم وعجزها وتقصاتها يوجب العجز والتقصان في جميع اسباب الترقى والتقدم ، وقد التزمت تطويل البحث عمداً وتوسعت في البحث كثيراً ، والرائد الاصل هو الترقى في العلوم العصرية حتى تترقى اللغة ويشمل الترقى كل شيء ، وهذا لا يكون الا بمتابعة الامم الراقية في العصر الحاضر التي بلغت في التقدم شأناً لم يلفه احد قبلها لا من العرب ولا من غير العرب متابة بلا تردد ولا توقف ولا مناقشة ولا مكابرة .

وما انا اذكر باختصار آرائي فيما يتعلق باللغة العربية ولا ادعي العصمة والصواب ؛ واسكني اعتقد ان الصواب ليس بعيداً عما اقول ، واني اقوم بواجب وجداني للامة العربية باختياري اللهجة الواضحة في اقوالي ، ولا يهمني ان رضي بعضهم او سخط آخر ، فان الزمان أصبح شديد الوطأة لا يهمل ولا يهمل ، وكفى ما افتخرتنا به من المكابرة والجهل والرياء الذي موه به ، وما زال يتاجر به كثير من كتاب الغرب الذين يستثمرون القلة المستولية على الامة العربية في كل مكان ، واول ما اقول هو ما يقوله الترك لامتهم : يجب الخروج من الحالة الشرقية والتأورب في كل شيء ، والبك التفصيل بالبيان الصريح :

اولا - يجب ترك ^(١) جميع الكتب التي انتقها العرب او ترجموها في عصورهم القديمة وحفظها في دور الكتب ككتب تاريخية في العلوم القديمة بطالما من يشاء من المتبحرين في تاريخ تلك العلوم ، وعدم طبعها وتداولها بعد الآن ، كما يفعل علماء المشرقيات في الغرب بأمثالها ، فهذه الكتب ألقت لزمان انقضى وجيل مضى ولمجتها لهجة ذاك الزمان ، وكانت مفيدة بتداولها الناس في ذلك الزمان القديم ، اذ كانت جامعة لمنتهى ما وصل اليه الناس من العلوم ، ولكنها اليوم أصبحت خايرة اذا أخاع الناس أوقاتهم بطلالمتها وسمموا أذهانهم بما توحيه اليهم من تأثير قهقري وضيق فكر وتأخر وخذلان ، لان العلوم قد ترقى وتبدلت وبعثت عن تلك الدائرة بعداً شاسعاً ، فابن هذا العصر لا يتغذى بمثل ذلك الغذاء ، فاذا تغذى به قتلث ذاكرته وعميت بصيرته ، ولا استثنى منها كتاباً حتى كتب التاريخ والادب ، وعلى طابعي الكتب العربية أن يطبعوا الكتب المصرية من نتائج الترقى الحاضر ، ولا سيما الترجمة الصحيحة الجيدة منها التي تجمل قارئها ابن العصر الحاضر بدلا من طبع الكتب القديمة التي تجر بقارئها الى العلم الابتدائي الخاص بالعصور الوسطى وبذلك تزداد المادة المصرية ويقف تيار التفهيم الذي مازال يجري تقدم الامة العربية .

ثانيا - تحويل اللغة العربية الى شكل بسيط سهل الفهم ، سهل الكتابة ، مع عدم الاخلال باساس اللغة ، ومن حظ العرب أن الزمان قد نسج هذا النسيج وذهت اللغة البسيطة نمواً طبيعياً ، وهي لغة الجرائد ولغة بعض الكتاب والمؤلفين الذين ينظرون الى المعاني لا الى الالفاظ ، فتري عباراتهم سلسة لا يحتاج قارئها الى قراءتها ثانيا وثالثاً ليشمكن من فهم المعنى ، الا أنك ترى من جهة أخرى أنه ما زال كثير

(١) المجمع - هذا رأي مضر كل الضرر . افكان يظن الكاتب ان الامة العربية يمكنها التخلي عن تلك الثروة ، او ان الانكليز والفرنسيين مثلاً يمكنهم التخلي عن الثروة التي تركها لهم كتابهم في القرن السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر لا في الآداب فحسب بل في أسس العلوم الحاضرة ؟

ومن قال له إنا لا نطبع كتباً في العلوم الحديثة وهل يظن أن هذه تقتني عن كتبنا القديمة ولا سيما الادبية منها ، فما هذا الرأي ؟

من كتاب العربية وأدبائها يتوخون في الكتابة الجمل المقلقة والالفاظ المهجورة أو شبه المهجورة اظهاراً لبراءة الانشاء ، فتأتي كتاباتهم عبارة عن الفاظ بلا معنى وجمعية بلا طحن ، وسبب طايي عدم الاخلال باساس اللغة هو ان المتكلمين بالعربية منشرون في ممالك مختلفة ، وكل مملكة بل كل بلد منها له لغة عامية تختلف عن الاخرى ، ولا قياس أو معادلة بين ترقى مكان منها ترقى المكان الآخر ، والكل في تأخر وتدني مختلف الدرجات بالنظر الى ترقى حضارة العصر الحاضر ، ولا يوجد بين هذه الممالك الشاعرة الاطراف جامعة أو رابطة الا جامعة اللغة التي احتفظ بها السلف الكريم وتركوها خير ذخير للخلف واكرم ثراث ورثناه عنهم ، ولكن الضفط الاتي من رجعات كفة الغريبين أدخل بتوازن الحالة الاجتماعية في الشرق وكان له تأثير كبير في كل شيء ، حتى في اللغة فلم تسلم منه ، وهل اللغة غير شيء من الحياة الاجتماعية للامة تعلمو باعتلاء حضارة الامة وتناخر بتأخرها ؟ وكان من جملة التأثير الذي أصاب اللغة العربية محاولة بعضهم اقامة اللغة العامية محل لغة الكتابة التي بقيت واحدة عند العرب مهما اختلفت المذاهب والديار بينهم ، وما تولد مثل هذه الاراء الا أمر طبيعي لا يستغرب ظهوره ما دامت اللغات العامية في كل قطر غير لغة القطر الآخر وغير لغة الكتابة ، فالمحاولون لمثل هذه البدعة قد يجدون استعداداً واسعاً إذا لم يتدارك امره القيودون على الجامعة العربية ولذلك أرى من الضروري تقريب لغة الكتابة من أذهان العوام ، وهذا لا يكون الا بجمل لغة الكتابة بسيطة سهلة القواعد لا تحتوي إلا على الالفاظ التي يحتاج اليها الكاتب العملي وترك الزوائد التي أمهلها الزمان .

ثالثاً - لاجل الوصول الى ذلك يجب اصلاح معاجم اللغة وكتب الصرف والنحو والقراءة والانشاء والبيان ونشر القراءة بين أعلى الطبقات وادناها ، ويقوم اصلاح المعاجم بحذف جميع الالفاظ والمعاني القبيحة والمشتقات التي لم يستعملها السلف الا نادراً ، وهي كثيرة جداً فانك لا تجد اصلاً من الثلاثي أو الرباعي ولا من مزيداتهما الا وترى فيه معنى أو معاني كثيرة تدل على العلاقة الجنسية أو ما شابهها ، ومثل هذا لا تراه في معاجم اللغات الاخرى ، وكذلك ترى كثيراً من الالفاظ قد ملأت المعاجم ، ولم يستعملها الا شاعر جاهلي ، أو جاءت في ضرب مثل أو غيره قل عن البادية ولم

ولم يستعمله الناس الا في الكتب ، فهذه الالفاظ يجب حذفها أيضا ، وهكذا يجب حذف كثير من الالفاظ أهل البادية التي أصبح أهل البادية أنفسهم يجربونها ولا يشككون فيها ولم يعد لها فائدة الا تسويد بطون الاوراق عبثا وتشويش الاذهان بمطانتها . كل ذلك مما يجب حذفه وتجريد معاجم اللغة منه ، وبذلك يخف عن اللغة نصف الحمل وتبقى الالفاظ اللازمة للغة هذا العصر ، ومن شاء أن يتوسع في علم اللغة ويطالع أشعار أهل الجاهلية وما كتبه أئمة اللغة وفحول الشعراء والبلغاء (أصحاب المقامات العجيبة الشكل والمعنى) فلا يصعب عليه مراجعة المعاجم وكتب اللغة التي كتبت في تلك العصور لأهل ذلك الزمان ، ولا تجد في العرب واحداً في الألف يميل الى هذا التوسع ، ولا يهملنا هذا العدد القليل بل يهملنا التسعة والتسعون ، وهم ركن الأمة ، ومنى انطوت تلك الالفاظ وفرغ مكانها يجب ملؤها أو ملئ قسم منه بما دخل اللغة من الالفاظ الجديدة كالطيارة والسيارة والدراجة والانتطاد والمدفع والبنديقية والكهرباء والبرق والهاتف والقطار والنفطة والمطار والعمل (فابريكة) والمصحة (كينييك) والمشرحة والباخرة والبارجة والمدرعة والطرادة والغطاسة والقواصة والمرجل والرأس والقذافة والشاحنة والقاذرة والمنطاد المسير (ديريجابل) والخفلة الساهرة وكثير من أمثال هذه الالفاظ التي دخلت اللغة وثبتت لسهولة استعمالها وشدة الحاجة اليها . سيدخل اللغة مئات أخرى من أمثال هذه الالفاظ بعامل الرقي الحاضر ، وهذا غير ما دخل ويدخل اللغة عن طريق الاقتباس والتعريب كالميكروب^(١) ورسم الكروكي وغاز الكبريتيك والتحليل البكتريولوجي والتيفوس الطفحي والملاريا والحمى التيفوئيدية والدفتريا (الخناق) والاقولوزة والنيكتانوس والدوسنطارية والبالا والبلاج والتكازينو والروليت والثرام والتكوبون والتترول والترانزيت وكثير غيرها من الاسماء والمصطلحات

(١) المجمع : قد وضع لاكثر هذه الالفاظ أسماء عربية عم استعمالها كالتحليل الجراثيمي والكزاز (الشانوس) والارومة (الكوبوت) والنفط (اسم عربي قديم للتترول) ومن هذه الاسماء الاعجمية ما يمكن تعريبه كالترام (للترامواي) والراد (المراديو) والبث في ذلك لمجمعي اللغة العربية في الشام ومصر .

في سائر العلوم والحرف والأشياء التي اكتشف العلم والحضارة مسمياتها في العصور الأخيرة ولم تكن معروفة عند العرب ، وسيدخل اللغة الفاظ أخرى من صفات وأفعال وأسماء لتأدية المهام التي تنتقل من اللغات الأخرى ولا يوجد ما يقابلها في اللغة العربية كتعريب السلف عن الفارسية (قازه) بلفظ طازج و (سادہ) بلفظ (ساذج) وغيرهما من الألفاظ ، ولا يعرف حاجة اللغة لمثل ذلك إلا من عانى الترجمة من اللغات الأخرى .

وبمثل هذا التمكن ولا انقلاب يمكن تحويل اللغة العربية إلى لغة عصرية جامعة لما كان وما يكون في السماء وفي الأرض ، ويمكن وضع معجم عصري على مثال لاروس يتكامل مع الزمان ؛ ويجب قبل كل شيء تحرير اللغة من عبوديتها البدوية وترك الحكم فيها لعوامل التقدم الحاضر ؛ أما كتب الصرف والنحو والقراءة والانشاء والبيان فينبغي أيضاً أن نأخذ فيها مأخذ كتب اللغة ، فالقواعد يجب أن توضع للألفاظ المستعملة والأمثال يجب أن تؤخذ من الكلام الشائع بين الناس لأن يؤتى بكل ما نطق به العرب به ويوضع له قواعد ويؤخذ مثالا لها كما هو الواقع في كتب الصرف والنحو عند العرب .

وأما من أم قد اعتلت علواً كبيراً في سماء التقدم الحاضر وعلوها هذا قد شمل جميع وسائل الحياة العلمية ، فينبغي أن نجعل كتبنا في الصرف والنحو والانشاء والبيان وأشكال التعليم والتدريس قدوة لنا ، وإن أخذ الأمثلة من أقوالنا المصرية المشبعة بما وصل إليه الترقى الحديث ، لا أن نقلد القديم ونقل القديم الذي لا يلائم هذا العصر ونحن في خفلة لا تنبه منها .

رابعاً - التسامح في توسيع المجاز عند إيجاد ما يقابل الألفاظ الجديدة ، على شرط أن تكون الألفاظ معروفة لا مجهولة ليسهل قبولها واستعمالها والا فإنها تذهب عبثاً ؛ وينبغي منذ الآن التسليم بأننا مهما اجتهدنا وبالغنا في البحث والتنقيب فإننا لا نستطيع أن نجد لكل شيء حديث اسماء في العربية يميزه عن غيره ، ولذلك لا بد من تعريب كثير من الألفاظ الأجنبية وادخالها في اللغة ، واضرب لذلك مثالا صغيراً وهو أننا قد أطلقنا اسم (سيارة) للاوتوموبيل ولكن للسيارة أنواع وكل منها له اسم مخصوص وهذا فعلا على الكامبيون والكاميونيت واللاتو كار ، فكل هذه الأسماء تحتاج إلى ما يقابلها في اللغة العربية ، ولو أردنا أن نجتمع هذه الألفاظ من كل مبتكر حديث لبلغ عددها

الاولف . ولذلك لا بد من تعريب أكثر هذه الألفاظ الحديثة ، إذ ليس في الامكان ايجاد ألفاظ عربية لما كلفا ؛ ومتى عربناها دخلت في ألفاظ اللغة ودواوينها خامساً - أرى أنه لا بد من ضم أربعة أحرف الى الألف باء العربية وهي الباء المثناة والجيم المثناة والكاف الفارسية وامتناع الفين والواو والماء في الاسماء الخاصة الاجنبية في محل G و V و E مع إثبات حروف الحركات ، وبذلك يمكن التلفظ بتلك الألفاظ كما هي في أصولها وحفظها من المسخ والتعريف الذي بطراً عليها من التعريب ، فلا تصبح مشكلة بصعب معرفة أصلها كما هي الحالة في كثير من المعربات ، يجب أن يكتب يهر في محل يار أو بيير ، وبوانكاره في محل بوانكاري ، ووبانه محل فينا ، وويكتور هوغو في محل فيكتور هيكو ، وبورتوا لله غرو محل بورتوا ليفرو ، ودانته في محل دانتي ، وچلي في محل جاي أو شلي ، ومارسيليه في محل مرسيليه وهكذا في جميع الاعلام تابع فيها تلفظ الاصل .

سادساً - إصلاح الشعر العربي بتحريره من اللهجة البدوية والألفاظ البادية والتوسم في الإهزان والقوافي وترك الألفاظ المهجورة التي يستعملها الشعراء اضطراراً لضيق الوزن والقافية ، ولا يفهمها من يقرأ تلك الأسماء الا بعد مراجعة المعاجم وضباع لغة الشعر ، فقد وضع اهل الجاهلية هذه الإهزان والقوافي ومغاني البادية قبل عهد لا يقل عن ألف وخمسة مئة ، وكانت متناسبة مع عصرهم وكانوا الموجدین المبدعين فيها ، فهم آباء الشعر العربي كما ان بقراط كان ابا الطب وهيرودوت أبا التاريخ ، وقد انقضى عهد الجاهلية وخلقنا في عصر لا شبه بينه وبين العصور القديمة ، فكما ان كل شيء توسم وتكل نابعاً للتزقي الحاضر فكذلك لا بد من توسيم نطاق الشعر وجعله ملائماً لحاجة هذا العصر .

سابعاً - اني ألقت النظر الى الموسيقى الغربية لانها الموسيقى العلمية التي لا بد لكل أمة تطلب الحياة أن تقتبسها ، ولا يحسر أحد على التنبؤ بأن العرب سيقون في تأخرهم الحاضر ولا يتأدريون ، ولا يشتد ساعدكم فيجارون حملة الحضارة في الاسم الحضارة ؛ بل أقول إنه لا بد من أن يأتي يوم قريب أو بعيد ينظم فيه شعراء العرب الوقائم المرسجة على شكل اوبيره او اوبريت ، وثقوم جوقة من

العرب ثرتم بهذه الأشعار ، وكل صوت له نغمته الموسيقية تحت قيادة مؤلفة من خمسين أو ستين موسيقياً ؛ وليست القضية الا قضية زمان ليس غير ، ولذلك أرجو من قادة الشعر العربي الواقفين على علوم الغرب أن ينظروا الى المستقبل عند نهضتهم في الشعر ، فان الامة متى ترقى لا تنفدى الا بالموسيقى العلمية وهي موسيقى الغرب فيلزم أن تنتبه الأذهان منذ الآن الى ذلك .

ثامناً - أكرر لفت النظر الى آلات الكتابة وآلات الطبع فكما ان اللسان هو الآلة الناطقة ، فالآلات الكتابة والطبع ، وفي جملتها الاحرف ، هي آلات النطق العامة ، ولا يمكن ان ترقى الامة في عامة الامور الا اذا ترقى في وسائط الكتابة والطبع . وكما ينبغي استعمال احدث الآلات في الطيران واللاسلكي كذلك يجب استعمال احدث آلة وجدت للكتابة والطبع ، ولهذا لفت النظر واترك الفكرة فيه لمن يقومون بالنهضة الحقيقية للعرب لاعلاء شأن العرب الى مستوى الغرب وتأريتهم .

فهذا ما اردت كتابته ولفت النظر اليه ، وارجو ان يتأمل فيه كل من يهمه شأن هذه الامة ويدي فكره بكل صراحة كما فعلت ، ولا يهاب فيما يقول الا ضميره . ومرعى نظري هو البعيد لا الحالة الحاضرة ، ولكن اذا لم يفكر الانسان بالبعد يمر الوقت ولا يصل الى الغاية المقصودة ، وهذا هو سبب استمرار تأخر العرب في هذا العصر . وخلاصة القول اني اطلب للعرب التأدب في كل شيء ومتى عزموا وتوصلوا بالاسباب وفأوا حق وجدانهم امام سبل ترقى الغرب الذي لا ينصف ولا يرحم الا اذا قوبل بمثل تفوقه وثقافته .

زكي مغامر

عضو المجمع العلمي العربي



طرائف لغوية

مقتبسة من سيرة « السيد رشيد رضا »
تأليف عضو مجمعنا العلمي الامير شكيب
أرسلان ، وفي هذا الجزء من المجلة
بيان وتقرير لهذه السيرة الجليلة .

يقول أمير البيان في حاشية الصفحة ٣٤٦ من هذا الكتاب مانعه :
« كنت دائماً إذا وجدت في كلام السيد لفظة لا أجد لها أصلاً في اللغة
أعرض عليه فيها ، وأسأله عن الوجه الذي عنده في هذه اللفظة ، وكان هو
يفعل معي كذلك ، وسنورد جل ما وقع بيننا من المطارحات اللغوية لأن فيها
فوائد لطلاب العربية . »

جاء في رسالة للسيد رشيد رضا رحمه الله ص ٣٤٤ مانعه :
(الدعاية) وردت في كتاب النبي (ص) إلى هرقل قال : « أدعوك
بدعاية الإسلام » كما في كتاب « بدء الوحي » من أول صحيح البخاري ، وهي
كالدعوة الكثيرة الاستعمال في كل ما يدعى إليه ، فأحييت استعمال الكلمة الطريفة
في الدعوة الخاصة بالمذاهب العامة من سياسية ودينية ، وانبعني بها كثير من
الكتاب (١) .

وجاء في رسالة أخرى للسيد رشيد ص ٦٩٥ مانعه :
« سألتني في كتاب سابق عن كلمة دعابة وقد خطرت في بالي الآن فذكرتها

هنا بغير مناسبة لثلاث أناسها بعد كما نسبتها من قبل فأقول : انها وردت في أصح الروايات في كتب النبي (ص) إلى الملوك كما تراه في البخاري وغيره ، وأنا الذي رويتهما في الاستعمال ، نهي من شواهد حجبتك على الدين بشكرون كل ما لم يرد في كتب المعاجم المتداولة ، وتقل رواية الصحاح من الحديث أوثق من رواية اللفظة ، وقد ورد دعاوة بالفتح في دعوة النسب وقلب الواو في الكسرية ، والمناسبة الكسرة ، وهذا القلب جائز لا واجب كما ورد في القوام والقيام .

وجاء في رسالة أخرى للسيد ص ٦٦٨ مانعه :

« وأما المنتقد اللغوي فقد ذهب به الأدلال بنظرياته إلى الجرأة على ما تقول في الحديث النبوي ، فلفظ الدعاية ثابت في رواية البخاري وفي أصح الروايات ، وهو مقيس ومثله الشكاية من شكايته ، وهو أيضاً منقول في لسان العرب ومستدرك الزبيدي على القاموس (٣) ٠٠٠ هذا وإنني لم أذكر لك أن لفظ الدعاية قد ورد في اللفظة إلا لبيان أن كون أصل المادة وادبة لا يجتمع قلب الواو ياء لمناسبة كسر أول الكلمة ، وجملة القول أن لفظة الدعاية وردت بأصح الروايات وهي مقبولة . »

وعلى مؤلف هذه السيرة الرشيدية الأمير شكيب أرسلان على الرقم (١) من الشذرة الأولى مانعه :

« نعم قد صار هذا الاستعمال تماماً في معنى ما يسميه الافرنج (يروباغندا) وقد سألت السيد رشيداً عن مصدرها فأجابني بهذا الجواب ، وسألت غيره من علماء الحديث مثل الأستاذ نبي الدين الملاي المغربي السجلامي فأبى كلام السيد رشيد ، وقد جاء في لسان العرب خبر هذا الكتاب من النبي عليه السلام إلى هرقل : « أدعوك بدعاية الإسلام » أي بدعونه ؛ ولكنه قال بعدها : وفي رواية « بداهية الإسلام » وهو مصدر بمعنى الدعوة كالمانية والعاية ، والنصر صاحب المصباح على الدعاية ، ولهذا تمسك بعضهم بأن دعاية قد تكون خطأ نسخ ، وأن أصلها الدعاوة لا يجوز غيرها ، وعلموا ذلك بأن الفعل واوي ، وأن الدعاية بالياء ، وللمحققة أن نسخ البخاري لا تعد ولا تحصى ، فلو كانت الدعاية من خطأ النسخ

لكان العلماء أصلحوها ، ومن المعلوم أن علماء اللغة في المحدثين كحصى البطحاء ،
فليس السيد رشيد رضا وحده بالذي روى ذلك ؛ وأما كون الفعل واوياً قد
يجتمع من انقلاب الواو ياء ، ولذلك أمثال كثيرة ، جاء في لسان العرب : منت
السانية تسنو سنواً إذا استقت ، وسنابة وسنارة ، وهو في صتابة قومه وصوابه
قومه ، والنقاوة والتقاية من كل شيء ، والنقاوة والتقاية من كل شيء ، وهي الضية
والنفوة ، وداهية دهواء ودهباء ، وله غم قنوة وقنية وقتوان وفتيات ، وأهل
العالية يقولون القصوى وأهل نجد يقولون القصيا ، وأتوت به أتاوة وإتاوة ،
ورضاية اللبن ورغاوته ، وجباية الخراج وجباوته وهو بلو سفر ويلي سفر وهلم جرا
كما لا يحصى .

وجاء في النخبة الارسلانية على الرقم (٢) من الشذرة الرشيدية الثالثة ما نصه :

« جاء في مخصص ابن سيده صفحة ١٩ من الجزء الرابع عشر ما يلي :
وأرى كيف تدخل الياء على الواو ، والواو على الياء من غير حلة ، إما لمعاقبة هند
القبيلة الواحدة من العرب ، وإما لاقتراق القبيلتين في اللغتين ؛ فأما ما دخلت
فيه الواو على الياء والياء على الواو لعله فلا حاجة بنا إلى ذكره في هذا الكتاب
لأنه قانون من قوانين التصريف ، قال الأصمعي : سألت الفضل عن قول
الأعشى :

لمعري لمن أسمى من القوم شاخماً . لقد قال خيماً من غيرة خائماً

فقلت : ما معنى خيماً خائماً ؟ فقال : أرواه من قولم : فلان يخون من المطاء
في بني فلان ، أي يخله . فكأن خيماً شيء يسير ، ثم بالغ بقوله : خائماً
كما قالوا موت مائت ؛ فقلت له : فقد كان يجب أن يقول : لقد قال خوصاً
إذ هو من قولم : هو مخون من المطاء ، فقال : هو على المعاقبة ، وهي لغة لاهل
الحجاز وليست بمرتدة في لغتهم ، وأنا أذكر عنها بحسب ما يحضرني إن شاء الله .
قال ابن السكيت : أهل الحجاز يسمون المتواخ للصياغ ، قال : ويقولون
لليائر والموائر ، والموائق والميائق (وأخذ يورد من الأمثال) المتأوتب والمتأيب

وشيطه وشوطه ، وقد دوتخوا الرجل وديخوه ، وقد ناد بغود وبغيد في الموت ،
وعار يعور ويعير إذا ذهب ههنا وههنا ، وغارني الرجل يغيرني وبغورني إذا أعطاك
الدية ، وقد تمحيزت وتمحزرت ، وتوتحت الرجل وتيته ، وطوتحت وطبعته ،
وماحت الركبة تموت وقد قيل تميه وتماه ، ويقال طال طوأك وطال طيلك ،
وخاره يضيره ، وزعم الكسائي أنه سمع بعض أهل العالية يقول : لا بتغني ذلك
ولا يضورني ، وأن فلاناً لسريع الأوبة وقوم يحوتلون الوار باء ، فيقولون مربع
الأوبة ، ونوم يقولون : لاته يلبته ولغة أخرى بلوته ، إلى أن يقول :

تبوغ الدم بصاحبه غلبه ، وفي الحديث : إذا قبيح الدم بصاحبه فليعتجم
وما أصبح من كلامه بشيء ، وبنو أمد يقولون : ما أعوج بكلامه ، ويقال :
هو من صياغة قومه وصوابة قومه ، وثور وثورة وثيرة ، وقد تصيح البقل إذا
هاج وتصوح ، وتصيم ، وتصوع وأقاوم وأقايم ، وتهير الجرف وتهور ، وفاحت
ريحه قبيح فيحاً وفاحت ريحه فوحاً ، والطووع والطبع ، ويقول بعضهم : حكوت
عنه الكلام أي حكيت ، وطا الماء بطمي ويطمو ، وكذلك ينمي وينمو ،
ومما الطست أي جلاها بمقوها ويمقيها ، وقد ثوت الحديث وثبته ، وقلت
رأسه بالسيف وقلوت ، وفأيت وفأوت ، وداهية دهياء ودهواء ، وغنم قنوة
وقنية ، والنفاوة من كل شيء خباره ، والنفاية والنفاوة ، وعزبته إلى
أيه وبنو أمد يقولون : عزوبته إلى أيه ، وحثيت عليه التراب وحشوته ،
وما كان مرضياً ومرضواً ، وأهل العالية يقولون : القصوى وأهل نجد يقولون
القصبا ، وحكى القراء عن الكسائي : سناها الغيث بسنوها فهي مستنوة ومسنية ،
وسحوت الطين عن الأرض وسحيته ، وقد أتوت به إتاية وأتاوة ، ورثوته ورثيته ،
ورغابة اللبن ورغابته ، وسحوت أمحو وسحيت أمحي ، وجبوت الخراج وجبيته جباوة
وجباية ، وطفوت يارجل وطفيت ، وهذوت وهذبت ، ولحوت العصا ولحوتها
وطبيت اللحم وطهوته ، وقد صفوت وصفيت ، ولغوت ولغيت ، وعلوت وعليت
وسلوت وسلبت ١٠٠ باختصار .

ب. ولم يذكر الفيروزآبادي إلا النفاوة بالواو ، ولكنه ذكر أن دغيت لغة في

دعوت ، وذكر الزبيدي فيما استدركه على القاموس دعابة الاسلام بكسر أوله وهي دعوته .

وقد أعاد الاستاذ الرشيد طبع « آخر بني سراج » في مطبعة المنار ، وهي رواية شانوريان المشهورة التي كان الأمير شكيب قد عرّتها في شباب آدابه ، فعرّ السيد رشيد على بعض ألقاظ وتعابير لم يرض نسبتها إلى أمير البيان فأرسل إليه رسالة لغوية مطولة ص ٣٨٣ تقتصر منها على ما يلي ص ٣٨٥ :

« النوع الثاني ما هو من الاصل وسببه في الاكثر كثرة استعمال المعاصرين وهو قسمان : أحدهما المفردات والثاني الجمل والأساليب ، فمن المفردات قولكم : الخطر المحيق (هذه وقعت سهواً) ، والصواب في مثله الثلاثي كقوله تعالى : (وحق بهم ما كانوا به يستهزئون) وقوله : (ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله) ويعدى حق بالهمزة فيقال : حق به سوء وأحق الله به .

ويشبهها قولكم : ضجة مهولة ، وإنما يقال : هاله الأمر أو الخطب ، وفي الأساس : أسر هائل وهوّل الأمر جملة هائلا ، نعم في مجازة : مكان مهول أي فيه هول ، ولا يظهر مثله في وصف الضجة ، وإنما صححت مثل هذا مع علمي باحتجاجكم أو إمكانه بمثل « مكان مهول (١) »

ومنها قولكم : (إن هذا لنبا عظيم) وهنا غيرت الموصوف قللت : الخطب عظيم ، لأن النبا خاص بالكلام ، وليس المقام مقام كلام بل مقام وصف ابن سراج لأرقه وذله .

ومنها (ارتياد التعاشيب) والتعاشيب نص في مرادكم فإنها النبت المتفرقة من العشب ، وأظن أن هذه من غلط الطبع ، وإلا فهي من سبق القلم ، والاول أرجح ، فإن الكلمة من الفرائد غير المستعملة عند ضغاء الكتاب الذين جنوا على جهابذتهم (إنما كتبنا تعاشيب وأردت أن أحبي بها كلمة فصيحة مجهولة تقريبا عند ضغاء الكتاب .)

الثاني : الجمل والأساليب ، وما استنكرته من هذا القسم أكثر من غيره وقد كاشفتكم بشيء منه قبل الشروع في الطبع ، فعلمتم بما رجعت إليّ من القول فيه : ان بعض ما هو قطعي عندي أو قريب من القطعي مما يترجع أو يمكن أن يكون موضع بحث وجدال طويل عندكم ، فصححت ما رجعت أو جزمت باستحسانكم لتصحيحه إن لم يكن لا اعتقادكم بأنه خطأ أو غير فصيح فلا اعتقادكم بأن بدله صحيح فصيح أو أنه ألصح ، وأذكر بعض الأمثلة على هذا القسم غير مرتبة :

(١) قولكم : (ومرت الفلك بريح طيبة) استبدلت به (وجرت الفلك به بريح طيبة) ووجهه أن السرى خاص بما كان في الليل ، ولا عمل لهذا الشخصيص ، وإن ما ذكرته موافق لقوله تعالى : (وجري بهم بريح طيبة) وقد خطر يالي أنكم أردتم استعمال أسلوب القرآن فلم تذكروا الآية ، وقد راجعت أستاذنا (الشيخ محمد عبده) مرة في كلمة كتبها في مقالات الإسلام والنصرانية مخالفة لاستعمال القرآن وهي صواب في نفسها ، وكانت المراجعة كناية فكتب إليّ بأن أصححها أو أغيرها ، وعال ذلك بأنه لا يجب مخالفة أسلوب القرآن ولو إلى صواب ، والكلمة المذكورة « نصح له » أو « وهب له » لا أبذكر أيهما الآن .

(٢) مثل (وما هو ذلك القصر) ، وهذا مما يكثر في كلام المعاصرين وهو مأخوذ من اصطلاح للناطق في السؤال عن ماهية الشيء ، وكلمة الماهية مشتقة منه ، وهو من اصطلاحهم وقلدهم كثيرون والضمير فيه (هو لا حاجة إليه ولا مرجع له) وللدققون من الكتّاب ومصححي الانشاء في وزارة المعارف بحظموته وجرعته الضمير مما يصححون ، وفي الكتّاب المزيّن : (قال وما رب العالمين) .

(٣) قولك : (ولذلك فإن بقايا آياته) وفيه ان ما بعد الفاء لا يعمل فيما قبلها ، وإن الجمع بين لام التعليل وفاء السببية لا حاجة إليه في أكثر هذه الاستعمالات

التي كثرت جداً في أسلوب المعاصرين غير المدققين ، والوجه في الجمع بينهما تقديم الفاء كأن يقال : فلذلك يقال كذا .

(٤) كلمة (فضلاً عن كذا) في مقام الإثبات ، وقد تكرر في كلامكم لانه صار من الاستعمال المألوف عند العلماء منذ قرون ، ولكن المتقدمين قلما يستعملونه الا بعد النبي ، لما لهم من التخريج النحوي له مع تصريح بعضهم بأنه ليس من كلام العرب ، فنقدير الكلام في (فلان لا يملك درهماً فضلاً عن دينار) : أنه فقد ملك درهم فقدراً فاضلاً وزائداً عن فقد ملك دينار الخ . . . ولا بد ان تكونوا اطلعتم على هذا ونسبتموه ، ولا سيما عند الاستعمال فحريتم على ما تقرأون دائماً في الكتب والجرائد ، وكم وقعت أنا وغيري في مثل هذا ، ومنه قولكم في كون المسلمين أحوج من النصارى الى الماء : (لانه فضلاً عن الشراب يلزمهم لاجل الوضوء) فيم تنصب كلمة فضلاً هنا ؟

واستعمال (يلزمهم) هنا بمعنى يحتاجون اليه لا أعرف له أصلاً في اللغة ، وإنما هو عصري حديث ، ولكن لا ادري متى كانت استعماله ، ولعلكم تعرفون له اصلاً فاني لم أراجع عنه باستقصاء ؟

ومنه قولكم في وصف غناه أو ماء (وتجود بكل نقمة يتروح لها الجلود فضلاً عن كون اللوسيقى الاسبانية في طبيعتها ما اشتملت عليه من كذا وكذا تفعل كذا وكذا) فيجوز ان تكونوا اطلعتم على تخريج يرضيكم لمثل هذا الاستعمال ، ويجوز أيضاً ان تكونوا قد اطلعتم على نص فيه لم نطلع عليه نحن ، ولا مثل أبي حيان الاندلسي الذي بحث ما لم نبعث ، ولكن ما أظن انه يسخطكم تغيير هذا الاستعمال أنا وأمثالي بما لا تنكرونه بدليل انكم قرأتموه ولم تعدوه خطأ ، على أنني لا اذكر أنني غيرت هذا الاستعمال في كل مكان ، وإنما عرفت هذين الموضعين لانهما مما كنت وضعت عليه علامات الاستفكار .

(٥) يقرب من هذا الاستعمال مثال قولكم : (ولكن كأنني بهذا الطريق بدلاً عن أن يزداد بهم حركة وأنا ازداد وحشة ووحدة) وقولكم (ولكن وأسفاه بدلاً من قرع الطبول لم يكن حول ابن حامد إلا السكوت التام)

فيقف القمن هنا في (بدلا) المنصوبة حتى يجيء ما بعدها فيلتبس لها ناصبا بالتقدير في الكلام ، وتأخيرها مما يتعلق بها يزول هذا التعقيد ، ومن الخطأ في الجملة الأولى وضع (عن) مكان (من) والمنقول (بدل منه) كما في الجملة الثانية ، وربما كانت الأولى من غلط الطبع ، والمعاصرون يستعملونها .

(٦) ومثله فيما تقدم وحقة التأخير قولكم (وأصلحته تزيد روتقا وجلالا صباحة وجهه) فصباحة وجهه مفعول أول ، وروتق مفعول ثانی ، وتقديمه خلاف الأصل ، فلا ينبغي إلا لضرورة شعر أو نكتة من نكت المعاني ، وأنا أعتقد أنك إذا لم توافقني الآن على هذا فطنته أنك ألقت قراءة هذه الرواية لأنها من أوائل ترجمتك ، بل أعتقد أنك لولا هذه الاثقة لصححت منها عند قراءتها الأخيرة الفاظا وجملات كثيرة بما لا تراك نستعمله الآن ، وأعيد التذكير بأن المراد تصحيح ما ينال الفصاحة والبلاغة لا ما ينال قواعد الاعراب ومفردات اللغة فقط .

(٧) قولك (ثم تحفزا وتواليا الواحد على الآخر) ولا بغرب عنك انت معنى تواليا وثب احدهما على الآخر ، فلا حاجة معها الى قولك : الواحد على الآخر .

(٨) ومثله (وصاروا يتظاهرون بعضهم على بعض) وهو ما يسمونه لغة البراغيث والتصبح يتظاهر بعضهم على بعض .

(٩) وأبعد منها عن الفصاحة بل عن الصواب قولك : (وبقيت سرايا الفريقين تتردد الى غزو بعضها بعضا) ، فانه من عدوى الجرائد وامثالها من مكتوبات المعاصرين التي لا تقبلها لغة البراغيث ويتجنبها من دونك من الكتاب المتأقين .

(١٠) وأندكر ان مما تكرر وهو لا يرضيك الان مثل (نحو ثلاثمائة) باضافة نحو الى العدد ، والمنقول عن النصحاء (نحو من كذا) فان وجد قل للاول فلا اذكره . ولا أجد وقتا للمراجعة الطويلة وحسي من القصيرة اقتصار أساس البلاغة على قوله : وعنده نحو من مائة رجل .

(١١) قولك : وكانت المقبرة عبارة عن روضة معروضة من النارج والسرو والنخيل ، كلمة (عبارة) خاصة بالكلام ، واستعملها كثير من علمائنا في تفسير بعض الكلم أو تعريف بعض الاصطلاحات اللغوية ، وأنكر هذا بعض اخواننا

من نظار المدارس في احدى جلسات المجمع اللغوي فصوبت كلامه في مثل هذا الاستعمال الذي بكثرت في الجرائد وأمثالها فقط ، وفي العبارة ايضاً ان المروش من الشجر والنجم ما كان كالدوالي ، وغير المروش ما كان كالسرو والنخيل ، وهو ما حققناه في تفسير «جنات معروشات وغير معروشات»

(١٢) قولك : (ان يصلح ذات البين بين الفرسان) الوجه ان يقال : ذات بين بين الفرسان بالاضافة فقط كما قال تعالى : « واصلحوا ذات بينكم » .

(١٣) قولك في حث البغال وزجرها : (بأن يناديها تارة يا جيدة يا شريرة ، او ان يزجرها طوراً بقوله عدس ، لا حاجة هنا (لاؤ) ولا (لأن) فالمقام مقام مقام الواو وحدها .

هذا بعض ما بذلت من الاجتهاد في تصحيح كتاب أجل اصدقائي فضلاً وادباً ووطنية وخدمة للامة من طريق المساعي السياسية وقشات اليراع ، الى ان يقول : وما جربت معك في هذا الا على الطريقة التي استقمت عليها في معاملة شيخنا الاستاذ الامام في عهده وبعد عهده ، فقد كنت اراجعه في حالة القرب بما أرى انه يحتاج الى اصلاح لفظي او معنوي من كلامه فيسر بذلك جد السرور ويعمل به ، وكنت اصصح في حالة البعد ما أقطع بأن تغييره اولى ، وقد علفت على رسالة التوحيد حواشي لا تخلو من تخطيط الاصل ، وقد اذنت لي بتصحيح خطابه الذي ألقاه في تونس بعد ان طبع فيها مصححاً بقلمه ، ولم يبال ان يرى علماء تونس وادباؤها ان ما طبع في المنار اصح مما طبع عندهم ، فقد كانت هذه المعاملة من استاذنا الاكبر في الانشاء وعلوم البلاغة سبياً في تمكن تلك العادة التي اشار اليها سيدي الامير ، واعتدنا له مع ذلك بالحق فيما انتقده منها . . .

هذا بعض ما جاء في هذه الرسالة اللغوية الطويلة ، وقد راجع الأمير صديقه الرشيد في كثير من تصحيحاته ، منها لفظة مهول فقد علق عليها بقوله : « كلام نجز لفظة مهول لأجل قولم مكان مهول ، بل لورود مهول في الكلام العربي . جاء في لسان العرب : وهول هائل ومهول ، وكرها بعضهم وقد جاء في الشعر النصيح وقال :

ومهل من المناهل وحش ذي عراقين آجن مدقان
 وتفسير المهول أي فيه هول ، والعرب إذا كان الشيء « مهولة » أخرجوه
 على فاعل مثل دارع ذي الدرع ، وإن كان فيه أو عليه أخرجوه على مفعول
 كقولك مجنون فيه ذاك ومدبون عليه ذاك اه وقد قال بديع الزمان الحمذاني
 لأبي بكر الخوارزمي في المناقشة التي جرت بينهما مرتجلاً :
 أراك على شفا خطر مهول بما أودعت لفظك من فضول
 وبديع الزمان يجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه

وناقشه الأمير في عبارة (وما هو ذلك القصر) بقوله : لا شك أنت
 القاعدة هي ما قال ، ولكن ليس بخطأ أن يقال « ما هو ذلك القصر » وما في
 ضربه ، وقد ورد كثيراً في كلامهم وذكر سبويه أن هذه الضمائر : أنت وأنا
 ونحن وهو وهي وهم ومن وأنتن وهما وأنتما وأنتم تأتي وصفاً للمضمر المجرور
 والمنصوب والمرفوع وذلك قولك سررت بك أنت ورأيتك أنت وانطلقت أنت ،
 وليس وصفاً بمنزلة الطويل إذا قلت سررت يزيد الطويل ، ولكنه بمنزلة نفسه إذا
 قلت سررت به نفسه وأتاني هو نفسه ورأيت به نفسه ، وإنما تريد بهن ما تريد
 بالنفس إذا قلت سررت به هو (إلى أن يقول) : واعلم أن هذا المضمر
 يجوز أن يكون بدلاً من المظهر وليس بمنزلة في أن يكون وصفاً له لأن
 الوصف تابع للاسم مثل قولك رأيت عبد الله أبا زيد ، فأما البدل فنفرد
 كأنك قلت زيدا رأيت أو رأيت زيدا ثم قلت إياه رأيت وكذا أنت وهو
 وأخواتها في الرفع . وأورد سبويه قوله تعالى « ولا يحسن الذين يدخلون بها
 آتام الله من فضله هو خيراً لم » وقال : صارت « هو » هنا بمنزلة ما إذا
 كانت لقوا في أنها لا تغير ما بعدها عن حاله قبل أن تذكر ، واعلم أنها تكون
 في إن وأخواتها فصلاً وفي الابتداء ولكن ما بعدها مرفوع لأنه مرفوع قبل
 أن تذكر الفصل (قال) : واعلم أن « هو لا يحسن أن تكون مفصلاً حتى
 تكون ما بعدها معرفة أو ما أشبه المعرفة مما طال ولم تدخله الألف واللام (قال) : وقد جعل
 قاس كثير من العرب « هو » وأخواتها في هذا الباب اسماً مبتدأ وما بعده مبني

عليه ، فمن ذلك أنه بلغنا أن رؤية كان يقول أظن زيدا هو خير منك وناس كثير من العرب يقولون (وما ظلمناهم ولكن هم كانوا الظالمون) وكان أبو عمرو يقول : إن كان هو العاقل ، ثم يقول سيئويه إن « هو وأخواتها » يكون بمنزلة اسم مبتدأ وذلك قولك ما أظن أحد خير منك وما أجل رجلاً هو أكرم منك ، فلم يجعلوه فصلاً وقبله نكرة كما أنه لا يكون وصفاً ولا بدلاً لنكرة وكما أن كلهم وأجمعين لا يكرران على نكرة فاستثقلوا أن يجعلوها فصلاً في النكرة كما جعلوها في المعرفة لأنها معرفة فلم تصر فصلاً إذاً لمعرفة كما لم تكن وصفاً ولا بدلاً إلا لمعرفة اهـ

وقد جاء في معنى اللبيب لابن هشام أن « ما » نكرة متضمنة معنى الحرف وأن « ما » الاستهامية معناها أي شيء نحو : ما هي ؟ ما لونها ؟ وما تلك يمينك ؟ قال موسى : ما جئتم به السحر وذلك على قراءة أبي عمر وآلسحر بعد الألف فما مبتدأ والجملة بعدها خبر ، وآلسحر إما بدل من ما ولما قرن بالاستهتام وكأنه قيل آلسحر جئتم به ، وإما تقدير أهو السحر أو السحر هو ، ويقوبه قراءة عبد الله ما جئتم به سحر ؛ إذاً لو قيل ما هو السحر مثلاً « فما » مبتدأ والجملة بعدها خبر والسحر بدل من ما ، وقد سألت عن هذا الاعتراض العلامة السيد ثقي الدين الهلالي السجلامي فاستغرب وقال لا أظن أنت السيد رشيداً بمنع جوازه كما أنه لم يبين لي أن الجملة منافية للبلاغة وقال : ما هو ذلك القصر . الضمير يعود على القصر وإن كان متقدماً لفظاً فهو متأخر رتبة لأن « ذلك » مبتدأ والقصر بدل وجملة « ما هو » خبر ووجب تقديمها من أجل ما الاستهامية . وأما إنكار السيد رشيد على الأمير قوله (ولذلك فإن بقايا آياته) بحجة أن ما بعد الفاء لا يعمل فيما قبلها وأن الجمع بين لام التعليل وفاء السببية لا حاجة إليه وأن الوجه تقديم الفاء كآت يقال : فلذلك كان كذا ، فقد رده الأمير مستدلاً على صحة قوله ص ٣٩٠ بما نصه : « إن هذا الاستعمال وارد من القديم حتى في كلام سيئويه فنه في الكتاب صفحة ٣٩٠ من الجزء الأول يقول : فلي هذا فأجر ذا الباب . وفي الجزء الأول أيضاً صفحة ١٨٩ : فلي

هذا فقص المعرفة . وفي الجزء الثاني صفحة ٩٧ : فكذلك نفس هذه الأشياء ، وفي صفحة ١٦٧ : فلي هذا فقص هذا النحو ، ومثله ما لا يحصى في كلام أئمة اللغة قديماً وحديثاً ، وابن هشام وهو من هو في النحو يقول في الصفحة الخامسة من الجزء الثاني من مفتي اللبيب الذي عليه حاشية الأمير : وعلى هذا فلا يصح استئناف ما الخ ... وقال في الآية الكريمة « وما بكم من نعمه فمن الله » الأرجح أنها موصولة وأنت الفاء داخلة على الخبر لا شرطية والفاء داخلة على الجواب اه ، وقال الله تعالى : (والذين كفروا فنعما لهم) .

وأنكر رحمه الله على الأمير استعماله في مقام الإثبات (فضلاً عن كذا) فرد إنكاره بقوله : إن استعمال (فضلاً عن كذا) بمعنى زيادة عن كذا مستفيض في كلام المؤلفين والكتاب من زمن قديم كما يعلمه كل من تتبع كلام القوم ، وإن كنا لم نعرف متى بدأ هذا الاستعمال ؟ ونقول إني حيان الاندلسي انه ليس من كلام العرب لا يدل على عدم جوازه لأننا لو قفنا كلام المؤلفين من بعد الاسلام الى اليوم لوجدنا فيه ما لا يحصى من الاستعمالات التي لم يكن يعرفها العرب ليس في الامور العلمية والفنية والمواضيع الفلسفية فحسب بل في الامور للعنادة الاجتماعية ايضاً ، فقد استعمل العرب بعد الاسلام جملاً وألفاظاً لا يأخذها الاحصاء ، لو نشر عرب الجاهلية والقيت على أسماعهم لم يفهموها ولا عرفوا المراد منها حتى انهم قالوا ان بدويًا مثل عن القلم فلم يفهم معناه فقبل له : ماذا تتصور من كلمة القلم ؟ فقال : أتصور انه شيء يقطع أو يقلم ولا أقدر أن أفهم شيئاً وراء ذلك . وبقي العرب بعد الاسلام بكثير يتعاملون كثيراً من الاصطلاحات قال سيديويه في باب الجموع : أعلم انه ليس كل مصدر يجمع كالأشغال والعقول والحلوم والالباب ألا ترى انك لا تجمع الفكر والعلم والنظر . اهـ . فتأمل الآن لغة عربية لا يجوز فيها جمع العلم والفكر والنظر ... والحال انه لا يكاد الكاتب ينقن بضمة

اسطار حتى يضطر الى ذكر العلوم والافكار والانظار وهي مستفيضة في النظم
والنثر فقولهم (فضلا عن هذا) زيادة على هذا لان الفضل هو زيادة، وقد رأيت في بعض
كتب المتقدمين قوله : فضلا عن كذا وزائداً على كذا . نعم ان اكثر استعمال
فضلا عن كذا يحيي بعد نفي ، ولكن قولهم ان ذلك في الاكثر صريح بأنه
قد يحيي ايضاً بعد ايجاب ، والسيد رشيد رحمه الله قبل ان كتب الينا هذا
الاعتراض قرأ ما جاء في «المصباح» فانه يقول : لا يملك درهماً فضلاً عن دينار
وشبهه معناه لا يملك درهماً ولا ديناراً وعدم ملكه للدينار أولى بالانتفاء وكأنه
قال لا يملك درهماً فكيف يملك ديناراً وانتصابه على المصدر والتقدير فقد ملك
درهماً فقدماً بفضل عن فقد دينار . وقال قطب الدين الشيرازي في شرح المفتاح :
اعلم ان فضلاً يستعمل في موضع يستبعد فيه الادنى ويراد به استحالة ما فوقه
ولهذا يعم بين كلامين متغايري المعنى وأكثر استعماله ان يحيي بعد نفي .
وقال شيخنا ابو حيان الاندلسي تزيل مصر المحروسة أبقاه الله تعالى : ولم أخفق
بنص على ان هذا التركيب من كلام العرب وبسط القول في هذه المسألة وهو
قريب مما تقدم . اهـ .

وقد نقل الزبيدي في شرح القاموس ما ورد في المصباح عن قضية (فضلاً
عنه) أما سؤال الاستاذ عن اعراب فضلاً في قولي (لانه فضلاً عن الشراب يلزمهم
لاجل الوضوء) فأجيب بأنه منصوب على المصدر مثل قولهم لا يملك درهماً فضلاً
عن دينار ، وتخريجه ان الماء يلزم المسلمين لاجل الوضوء لزوماً فاضلاً عن لزومه
للشرب . أما استعمال (يلزمه) (ويلزم له) فهو ايضاً مستفيض أكثر من استفاضة
الاول ، ومعنى لزم ثبت ودام وكأنهم لحظوا ان ما يحتاج اليه الانسان بصورة دائمة
بعد من الامور اللازمة أي التي يحتاج اليها الانسان لزوماً فصار هذا الاصطلاح يفيد معنى
الاجتياج ولو لم يكن كذلك في الاصل . وقد سألت العلامة السيد نقي الدين
الحلالي المتقدم الذكر عن جملة : (لانه فضلاً عن الشراب يلزمهم لاجل الوضوء)
فأجاب : الذي يظهر لي أن هذا جائز وان نصبه على المعنوية المطلقة كما ذكرتم

سائق (قال) وبدالي وجه آخر في نصبه وهو أن يكون حالا بمعنى فاضلا من فاعل يلزم وتقديم الحال جائز . قال ابن مالك :

والحال ان ينصب لفعل صرفا او صفة اشبهت للمصرفا
فجائز تقديمه وهو هنا كذلك فان (يلزم) فعل متصرف ؛ واما كون المصدر حالا فكثير قال ابن مالك :

ومصدر منكر حالا يقع بكثرة كبغته زيد طلع
وفي ذلك خلاف معروف .

وراجع الامير في استعماله مثل (نحو ثلاثمائة) باضافة نحو الى العدد لان المنقول عن النحهاء (نحو من كذا) ، فأجابه الامير بما يلي : متفق على ان الافصح ان يقال « نحو من كذا » ولكن ليس بخلط ان قيل نحو كذا وقد رأيت هذا الاستعمال في كتاب سيبويه وليس مرة واحدة فقد جاء في الجزء الثاني صفحة ٢٣٥ من طبعة الكتاب في باريز ما يلي : وقالوا نظير كما قالوا وسيم فينوه بتاء ما هو نحوه في المعنى . وجاء في صفحة ٢٣٦ من الجزء الثاني : وما كان من الصغر والكبر فهو نحوه من هذا وجاء في صفحة ٣٣٥ : وقالوا ضخم ولم يقولوا ضخم كما قالوا عظيم ثم قال في الصفحة التي تليها : وقد يبتون الاسم على قبل وذلك نحو ضخم وفخم وعيل وجهم اهـ ، ثم يقول : فهذا بذلك على انه نحوه الطويل والقصير ، إذا يجوز الوجهان ووضع (من) بعد (نحو) هو أولى . وسألت صاحبنا السيد الهلالي وهو الغاية البعيدة في النحو واللفظ عن هذه المسألة فقال لي : نعم الافصح العربي الخالص (نحو من ثلاثمائة) ، واما المؤلفون من عهد سيبويه الى الان والشعراء فانهم اكثرهم اكدوا من ذلك ، والنحو من معانيه المثل كما هنا فلا إشكال في جوازه اهـ .

وسأله أيضا عن بقية اعتراضات السيد رشيد رحمه الله فقال : (بدلا من فرع الطويل النح) يظهر لي ان السيد إنما اعترض هنا من جهة البلاغة وكان بدني فيها كثيرا ، واما الجواز فلا أراه ينكره وأمر ذلك سهل إذ لا يخلو انسان ان يوجد في كلامه خلاف الاولى من جهة البلاغة . (قال) : واسلخته تزيد روحا وجلالا صباحة وجهه) هذا الاعتراض ايضا من جهة البلاغة بلا شك

ويظهر لي أن الصواب فيه مع السيد رشيد لأن ركا كته بادية ولست أمتعه وما أجبتم به فيه أن استعجاب الفكر لصياحة الوجه أم وأولى . (قال) : « وبقيت سرايا الغربية تنردد إلى غزو بعضها بعضاً » جازر وليس هو من لغة الجرائد لأن لغة الجرائد ولغة عامة مصر أنت يقال مثلاً : « وبقيت السرايا تنردد على غزو بعضها » نعم لا تخلو تلك العبارة من ركة ولو قيل : « وبقيت السرايا يغزو بعضها بعضاً » كما قال تعالى : (وتركنا بعضهم يهوج في بعض) لكن أولى اه .

وقد ختم الأمير هذه المناقشات بقوله : تقدم لنا كلام في أننا ترجمنا هذا الكلام ترجمة غن الفرنسية من أربعين سنة وراعينا فيه الترجمة الحرفية .

وبعثر قارئ السيرة الرشيدية في غير حواشي الرسائل على فوائد لغوية يحسن بنا نشرها إتماماً لهذه الطرائف للمتعة ، منها ما جاء في ترجمة السيد رشيد رضا نفسه وفيها ألفاظ عامية يرويها السيد علي سبيل الحكاية كلنظة (تعبان) ص ٢٧ ، قال الأمير معافاً عليها ما نعه :

روى الأستاذ هنا لفظة (تعبان) على الحكاية ، والا فني الصحيح لا يقال تعبان ، بل هو تعيب ويشتب على وزن مكثف ومكرم ، وعلق على لفظة « البخشيش » التركية أنها مصدر « بخش ابتحك » أبي أعطى ، ومقابلها في العربي « الحلوان » أو ما يعطى للخادم « النحل » والنحلان بالضم ، وتأمل هنا أيضاً مشرب الشيخ رشيد رحمه الله في نقل الأخبار على علانها .

وعلق الأمير على لفظة (صادرت) الواردة في كلام السيد ما نعه : جاء في لسان العرب : ومن كلام كتاب الدواوين أن يقال : صدر فلان العامل على مال يؤديه أي فورك على مال ضمه . وهكذا نقل ذلك صاحب « أقرب الموارد » بلفظ « فوري » ولكن هذه العبارة قسها منقولة في التاج بلفظ « فوري » بالقاف أولاً وهي في التاج غلط طبع أو نسخ إذ لا معنى « لقورق » هنا ، وأما « فوري » فهو المجهول من فارقه

من حابه على كذا إذا قطع الأمر بينه وبينه على امر وقع عليه اتفاقهما
ومثله صادره على كذا ، وكله مولد ليس من كلام العرب الألى . وقد
جاء في تاريخ الوزراء تأليف أبي الحسن الهلال المحمدي بن إبراهيم الصابي
الكاتب المتوفى للسنة الثامنة والأربعين بعد الأربعمائة قوله في ترجمة أبي
الحسن علي بن محمد بن موسى بن الفرات : « وصودر على مائة وعشرين ألف
دينار وصح منها ستون فجيء به من محبه الخ . . . وقوله عن لسان الخليفة
المعتضد في ابن الفرات أبي الحسن وأخيه أبي العباس : أسأنا اليها وصادرتاهما .
وقوله في موضع آخر : وسلم اليه علي بن عيسى ومحمد بن عبدون فاعتقلها
في دار بدر اللاني وقرر عليها مصادرة خفيها عن علي بن عيسى وثقلها على
محمد بن عبدون لعداوة كانت بينهما ، وهكذا هذه اللفظة تدور كثيراً في
أخبار ديهوان الخلافة .



أثر الرحلة في الحياة العلمية والأدبية^(١)

بكثير الراحلون من بلاد إلى أخرى ، والغاية من هذه المحاضرة النظر في رحلات أهل العلم والأدب لتعرف كيف يكون للرحلة أثر عظيم في ترقية العلوم والآداب ، وتهذيب النفوس وإصلاح حال الاجتماع .

ولعل قائلاً يقول : إن فائدة الرحلة قد عرفها الناس على اختلاف أصنافهم وتفاوت طبقاتهم فهي من المعلومات الموضوعة على ظاهر اليد ، والحديث عنها صرف للوقت في غير جدوى فأقول : إني في شك من هذا ، فإن كثيراً ممن وهبهم الله القدرة على الرحلة وهياً لهم وسائلها لا يقبلون عليها وينصرفون عنها ، انصرفهم عن الأشياء التي يرونها خالية من كل فائدة .

على أنني أريد التنبيه لما في الرحلة من آثار صالحة لأضعها أمام نشئنا حتى إذا خطر لهم ما في الرحلة من حرج وعناء نظر إلى هذه الآثار الحميدة ، فيخف وزن تلك المتاعب وتذهب في جانب هذه الآثار هباء .

الرحلة في نظر الإسلام

لم يدع الإسلام وسيلة من وسائل الرقي ، إلا نبه عليها وندب إلى العمل بها ، وهكذا شأنه في الرحلة فقد دعا إليها ولجأ إلى أغراض سامية ، مثل طلب العلم قال تعالى : فلولا قر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا

(١) عنوان المحاضرة للمتعة التي ألقاها في ردهة المجمع العلمي العربي العلامة السيد محمد الخضر حسين عضو المجمع العلمي بدمشق والمجمع اللغوي المصري والاستاذ في كلية أصول الدين بالازهر ، وذلك في ٤ جمادى الآخرة ١٣٥٦ الموافق ليوم ١١ آب ١٩٣٧ .

قومهم إذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون . ويلحق بالتفقه في الدين كل علم يعد من وسائل الرسوخ في علوم الدين كالنحو والبلاغة ، بل يلحق بالتفقه في الدين كل علم يسكب الأمانة قوة ويكون له أثر في نجاحها والاحتفاظ بمزتها كفن صناعة الفواصات والطائرات .

ومن هذه الأغراض أخذ العبرة من أحوال الأمم الماضية ، قال تعالى : قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ، ويلحق بأحوال الأمم الماضية أسوال الأمم الحاضرة متى كان في النظر إليها عبرة ينتفع بها في الوصول الى سعادة الحياة ، ومن هذه الأغراض الرحلة من دار الضلال والبغي الى دار الهداية والمدل ، قال تعالى : ومن يهاجر في سبيل الله فيجد في الأرض مراعماً كثيراً وسعة ، ومن يخرج من بيته مهاجراً الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله . هذه الآية وردت في قوم كانوا يقيمون في دار عسف وغواية فحرضهم على الرحلة الى المدينة حيث يشدون أزر المسلمين ويقفون في صفوفهم وبكثيرون عديم ، واذا تشابهت البلاد في الاستتفاف بأمر الدين فقل العالم المصلح أن يجاهد في سبيل الدعوة الى الحق والإصلاح بقدر ما يجد من حرية القول أبناً كان .

ومن فرائض الاسلام ما لا يؤدي إلا بوسيلة الرحلة وهو حج البيت الحرام ، وفي الرحلة الى الحجاز في أشهر الحج جانب عظيم من معنى التجول في أقطار مختلفة ، حيث يلاقي فيها الرجل طوائف من أمم مختلفة الاجناس متباعدة البلاد .

ولا يسمي المقام أن أسوق شواهد من عناية علاننا بالرحلة لأمثال هذه الأغراض النبيلة ، وأكتفي بأن أسوق على هذه الغاية قصة جابر بن عبد الله الانصاري ، ذلك أنه سمع وهو بالمدينة أن عبداً لله بن أنيس بالشام يروي حديثاً عن رسول الله ﷺ فاشترى بهيراً ثم شد رحله وسار الى الشام فسمع الحديث من عبده وقفل راجعاً الى المدينة .

المثبطات عن الرحلة وعلاجها

لا أريد من المثبطات من الرحلة العوائق التي ليس في استطاعة الشخص علاجها ، كفراغ بده من قفات السفر و كقيامه على امرة إذا فارقها وقعت في حاجة ونكد من العيش ، بل أريد من المثبطات ما يعرض للنفس الضعيفة ويغلب على أمرها ، ولولا ضعفها لما كان له عليها من حيل مثل استعظام مفارقة من يعز عليه من أقارب أو أصدقاء ، مثل إمام الحرمين وهو على التبر لماذا كان السفر قطعة من العذاب ؟ فقال : لان فيه فراق الأجرة .

وفي الناس من يذكر ما في الرحلة من متاعب بدنية فيحجم عنها ، وأكثر من يعرض لهم هذا المثبط أولئك الذين ينشأون في ترف واخلال عزية فيخشون ان يفوتهم ما اعتادوا من الرفاهية ولو زمنا قليلا ، ومنهم من يترك الرحلة حيث تضطره لركوب البحر فرقا من أهواله ، عزم الحافظ ابو الوليد هشام الوثنبي على ركوب البحر الى الحجاز فهاله ذلك فقال :

لا أركب البحر ولو أنني ضربت فيه بالعصا فاقلق

ما إن رأيت عيني أمواجه في فرق إلا تنأى الفرق

وقد يحجم الرجل عن الرحلة مخافة أن ترمي به بين أقوام لا يعرفون حسبه وأدبه فيلاقي من مرافقتهم أو معاشرتهم ما لا يليق بمنزلته ويرتاح له ضميره وقد أشار إلى ما يعرض للرجل من هذه الآلام النفسية الرحالة ابن جبير إذ قال :

لا تغترب عن وطني واذكر قصارىف النوى

أما ترى النفس إذا ما فارق الأصل ذوى

وأشار يحيى بن حكم المعروف بالفزال إلى أن الغربة سبب لفقد جانب من

العزة . فقال :

فصمصام عمر حين فارق كفه رموه ولا ذنب لعجز المضارب

وما عزة الفرجام إلا هربته ومن مكة سادت لؤي بن غالب

وتألم الرحالة بن سعيد الأندلسي حين تزل بعض بلاد الشرق وقاداه

بعضهم باسم المغربي فقال :

وأنادي هفريكا ليتنى لم أكن للغرب يوما أنسب
نسب يشرك فيه خامل ونبيه أين منه المهرب
أتراني ليس لي جد له شهرة أو ليس بدري لي أب

وعلاج أمثال هذه الثبطات الناشئة عن ضعف النفس وقلة تمرينها على احتمال
المسكاره أن يذكر الرجل ما تأتي به الرحلة من ثمرات علمية أو أدبية عامة أو خاصة،
فإذا وثقت نفسه بنبل غابتها وحسن عاقبتها سهل عليها كل صعب واستهانت بكل
خطر، قال عبد الملك بن سعيد في وصية ابنه علي بن سعيد عندما عزم على الرحلة
إلى الشرق :

وكل ما كابدته في النوى إياك أن يكسر من همتك
وعزم المأمون الخروج الى بعض الحروب فوقفت له جارية من شغف بهن
ورغبت اليه ألا يخرج فقال لولا قول جرير :
قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم دون النساء ولو باتت بأطهار
لما خرجت .

وأذكر أن أبا بكر بن العربي الاندلسي الذي قضى في رحلته ثمانية أعوام
أورد في بعض كتبه مسألة من مسائل الخلاف حررها وهو في العراق وقال :
لولا أنظر في رحلتي إلا بهذه المسألة لكفنتي ، على أن ابن العربي قد لقي في رحلته
نصبا في البحر ومخاوف في البر^(١)

ليذكر الراحل أن ثمة الرحلة لذينة باقية ، وأن تلك الآلام النفسية والمتاعب
البدنية زائلة ، قال القاضي محمد بن عيسى أحد الراحلين من الاندلس الى الشرق
بعد أوبته :

كأن لم يكن بيني ولم تك فرقة إذا كان من بعد العراق تلاق
كأن لم تورق بالعراقين مقلتي ولم تمر كد الشوق ماء آفاقي
ولم أزر الاعراب في جنب أرضهم بذات اللوى من دامة وبراقي
ولم أصطبغ باليد من قهوة الندى وكأس مقامها في الأزاهر مثاق

(١) أنظر كتاب القوامم والعوامم له .

وجاء في كتب الادب أشعار يرد فاضلموها على من يحاول تشييطهم عن الرحلة كما قال بعضهم :

نقول سليبي لو أقت بأرضنا فقلت الى ذاك المقام أطوف
وقال ابن دراج :

ألم تعلمي أن الثواء هو النوى وان ييوت العاجزين قبور
وربما كان المشبط عن الرحلة إعجاب الرجل بوطنه إذ يخطر له انه لا يرى
في غير وطنه أحسن مما يرى فيه كما قال أبو القاسم عامر بن هشام :
يا من يزعم لي الترحال عن بلدي كم ذا تحاول نسلا عند عتبن
وأين بعدل عن أرجاء قرطبة من شاء يظفر بالدينيا وبالدين
وإعجاب الرجل بوطنه واعتقاده انه أجمع لمطالب الحياة قد يمنعه من رحلة
الانقطاع ولا ينبغي أن يمنعه من الرحلات المحدودة بزمان .
وترى من الأدباء من يبتلى قلبه حباً لوطنه ولكنه يتغلب على هذه العاطفة
ويذكر الداعي الى الرحلة فتطمئن اليها نفسه كما قال ابن سعيد لما خرج من
حدود الفريقية :

رفيقي جاوزنا حدود موطن صحبنا بها الأيام ظلفاً عيناها
وما ان تركناها لجهل بقدرها ولكن ثنت عنا أعتة سقياها
فسرنا نحث السير عنها لغيرها الى أن بين الله يوماً بلقياها

فوائد الرحلة

إذا درسنا تاريخ العلماء والأدباء الذين رحلوا عن أوطانهم ووجهنا النظر
الى ما نتج عن رحلاتهم من فوائد عادت عليهم أو على قومهم أو على الاوطان
التي تزلوا بها وجدناها من الامة يمكن يدعو الى ان تعد في مقدمة وسائل
الرفي والتهديب .

ماذا يستفيد الرجل من الرحلة

من أقضى ما يكسب الرجل في رحلته أن يعلم ما لم يكن يعلم ، كم من عالم

لم يبلغ المقام الذي يشار اليه بالبيان إلا بالرحلة . والباحث في تراجم العلماء يقف على أسماء رجال كثيرين بلغوا في العلم الذروة ، وإنما بلغوها بما قاموا به من رحلات تغلبوا بها في مدن زاخرة بالعلوم ولاقوا بها كثيراً من اكابر العلماء مثل الامام الشافعي والحافظ بن عساكر وأبي الوليد الباجي وأبي بكر بن العربي وأسد بن القرات ، ولابن خلدون في مقدمته التاريخية فصل انتحه بقوله : أن الرحلة في طلب العلم مزبد كمال في التعلم وختمه بقوله : فالرحلة لا بد منها في العلم لاكتساب القوائد والكمال بلفاء المشايخ والتلقي عن الرجال .

والرحلة أثر في سمو الفكر إذ يأخذ الرجل فيها من التجارب ما لا يأخذه وهو مقيم في بلد لا يخرج منه إلى غيره ، وقد يكون بها عن قوة العقل وحسن التصرف في الامور ، وانظر الى بدبع الزمان الممذاني حين أراد الدلالة على كمال عقله كيف عبر عنه بركوبه ظهري البر والبحر ، إذ قال في كتاب كتبه الى القاسم العرجي : فأني وإن كنت في مستقبل السن والعمر قد حلت شطري الدهر وركبت ظهري البر والبحر .

والرحلة أثر في تهذيب الطباع ورفي الآداب ذلك أن كثرة ما يلاقيه الرجل في السفر من المشاق يقوي في نفسه خلق الحلم والمداواة وقد قال بعض الحكماء للغريب :

إن ترمك الغربة في مشر تطابقوا فيك على بنضهم

فدارم ما دمت في دارم وأرضهم ما دمت في أرضهم

ولا يخلو الراحل متى كان بصيراً بمواقف العبرة أن يلاقي رجالاً ذوي آداب سامية فيقتبس من آدابهم ما يزداد به أدباً على أدبه ، وهذا ابن وهب رحل من مصر وتلقن العلم بالمدينة عن الامام مالك وقال : تعلمت من أدب مالك أفضل من علمه ، وأقام يحيى بن يحيى بن بكير عند مالك بعد ان فرغ من سماع الحديث عنه وقال : إنما أفت لا مستفيد من شمائله .

وقد بنشأ الفقي في نبوغ وبضيق بلده عن انظاره الواسعة فيرحل الى مدينة تكون أوسع مجالاً للاراء الخطيرة فتعظم مكانته ويكثر الانتفاع بمحكنه ، ولولا

الرحلة لما عظم شأنه ، ولما كثرت ثمرات نبوغه ، أذكر أن الشيخ عز الدين ابن عبد السلام مر عند خروجه من الشام بالكرك فلتقاه صاحبها وسأله الإقامة عنده ، فقال له الشيخ بلدك صغير عن علي ، وتوجه إلى القاهرة . وأسوق شاهداً على هذا أنت القاضي يوسف بن أحمد بن كنج بلغ في العلم مرتبة كبيرة ، قال له بعض من لقيه : يا أستاذ الاسم لأبي حامد الغزالي والعلم لك ، فقال القاضي : ذاك رفعت بغداد وأنا حطت الدينور .

وقد تكون رحلة العالم أو الأديب من أسباب ظهور علمه أو أدبه وانتشاره في الآفاق ، قال الأديب أبو بكر المعروف بابن بقي :

ولي هم ستقذف بي بلاداً فأت إما العراق أو الشاماً
لكيما تحمل الركبان شعري بوادي الطلح أو وادي الخزامي
وكيما تعلم الفصحاء أنني خطيب علم السجع الحماما
وقد أطلعتن بكل أرضٍ بدوراً لا يفارقت التهاما

وربما أدرك الرجل في وطنه ضيق عيش يخشى أن يعوقه عن الازدياد من العلم أو التفرغ لنشره بالتدريس والمذاكرة ، فيرحل حيث يلقى كفاناً أو يساراً يساعده على أن يقبل على الدرس والبحث بنفس مطمئنة : رحل القاضي عبد الوهاب بن نصر من بغداد إلى مصر ، ونبه على سبب رحلته فقال :

سلام على بغداد في كل موطن وحق لها في السلام المضاعف
فوالله ما فارقتها عن قلبي لها واني بشطي جانبها لعارف
ولكنها ضاقت علي بأمرها ولم تكن الأرزاق فيها تساعف
وكذلك قال أبو سعد التيرماني :

فقد سرت في شرق البلاد وغربها وطوفت خيلي بينها وركابها
فلم أر فيها مثل بغداد منزلاً ولم أر فيها مثل دجلة واديا
ولا مثل أهلها أرق شمالكلاً وأعذب الفاظها وأحل معانيها
وكم قائل لو كانت حيك صادقاً لبغداد لم ترحل فكان جوابها

يقيم الرجال الموشرون بأرضهم وتزوي النوى بالمقترين المراسيا
وما يظفر به الرجل الفاضل في رحلته أن يتخذ في البلاد التي ينزل بها
أصدقاء يختبئ بصداقتهم ، والصداقة الخالصة من ألد ما يشتمع الانسان به في هذه
الحياة ، وكتب الأدب ملوثة بالرسائل والقصائد التي دارت بين علماء وأدباء
اختلفت مواطنهم وهي غامرة بروابط صداقات ناشئة بوسيلة الرحلة ، وهذا ابن خلدون
ارتبط بصداقات كثيرة من علماء البلاد كلسان الدين بن الخطيب وابن زمرك ،
وجرت بينه وبينهم مراسلات ، وأذكر من قصيدة بعث بها إليه ابن زمرك بعد
نزوله مصر قوله :

بمشك خبرني ولا زلت مفضلاً أعندك من شوق كمثل الذي عندي
ومثل الخانق بن عساكر رحل إلى بلاد المعجم بعد بلاد العرب وأذكر من
قصيدة بعث بها إلى صديقه أبي سعد السماعي قوله :
أنيت ثدي مودة بيني وبينك وارثاعه

ماذا يستفيد قوم الرجل من رحلته

قد تحظى البلاد بالعلم بعد انقطاع عنها ، أو تقوم سوقه فيها بعد خمولها ،
والفضل في ذلك لرجال يرحلون إلى المواضع التي هي منبع العلوم ، ثم يعودون
وقد امتلأوا بما اغترفوه من العلوم والفنون ، وقد بلغت الحالة العلمية بالأندلس
بعد عودة أبي الوليد الباجي من رحلته الشرقية منزلة أرفع وأرسخ مما كانت
عليه قبل أن يعود وارتحل أبو القاسم بن زيتون التونسي في أوساط المائة السابعة
إلى المشرق فبرع في العقليات والنقليات ورجع إلى تونس فأنتجها بعلومه الكثير
وأسلوب تعليمه البديع .

ويرحل العالم أو الأديب من وطنه وهو يحمل علماً غزيراً وبشغلي بأدب
سني وينزل بين جماعات من بلاد مختلفة فيروثه مثلاً لأهل العلم والأدب من
قومه فيرفع شأن قومه في أنظارهم ، هذا إلى ما يصفه لم من محاسن قومه أو ينقله
اليهم من ثمرات أفكارهم .

ماذا تستفيد البلد ممن يرحلون إليها

يرحل العالم أو الأديب ، ويتزل يبلد ، فيبذر بها متى كانت في حاجة إلى أمثاله - علماً أو أدباً ، ومن ذا ينكر أن بلاد الاندلس قد استفادت من العلماء الذين رحلوا إليها من الشرق ، مثل تاج الدين بن حموية السرخسي ، وأبي علي القالي ، كما استفادت دمشق من أمثال ابن مالك وابن السبكي ، واستفادت مصر من أمثال أبي حيان وابن خلدون .

وهذا المعري يحمّد السفر الذي جاء بالقاضي عبد الوهاب بن نصر من بغداد إلى المعرة فقال :

والمالكي بن نصر زار في سفر بلادنا فحمدنا النأي والسفرا
إذا تحدث أحيا مالكا جدلاً وبشر الملك الفأيل إن شعرا
وثقه البربر في علوم الدين عن عشرة من لقاء التابعين بهم عمر بن عبد
المزيز لهذا الغرض خاصة .
ونرى في تراجم كثير من العلماء الراحلين أنهم كانوا يلقون في البلاد التي يتزلون بها دروساً أو يدرسون بها علوماً يتلقاها عنهم بعض أهل العلم .
فرحلات العلماء والأدباء تنقل العلم والأدب من بلد إلى آخر على وجه أثبت وأقم مما تنقله المؤلفات وحدها .

أثر الرحلة في تنمية العلوم

للرحلة فضل في تمام العلوم واتساع دائرتها ، وكما من كتاب يعد في علمه من أمهات الكتب هو وابد الرحلة ، ذلك أن أسد بن الفرات الراحل من القيروان إلى الشرق ورد مصر بعد أن تلقى العلم في الحجاز والعراق ، وألقى على ابن القاسم أسئلة يطلب الجواب عنها على مقتضى مذهب الإمام مالك ، وجمع تلك الأسئلة وأجوبتها في كتاب كان يسمى الأسدية ، ثم رحل شيخنون بن القيروان بالأسدية إلى ابن القاسم ، وعرضها عليه ، وهذّبها ، وأضاف إليها مسائل أخرى وصارت تسمى المدونة ، وهي للشار إليها بقول بعض أهل العلم :

أصبحت فيمن له علم بلا أدب ومن له أدب طار عن الدين
أصبحت فيهم فقيد الشكل منفرداً كبيت حسان في دهبان صحنون
وبيت حسان الذي لم يرد في المدونة غيره من الشعر قوله :

وهان على سراة بني لؤي حريق بالبويرة مستطير
ومن فضل الرحلة أنها حفظت جانباً عظيماً من التاريخ ، حفظته المكنث
التي يودعها مؤلفوها ما شاهدوه في أسفارهم من وقائع وأحوال ، مثل رحلة ابن
بطوطة ورحلة المبدرى ورحلة ابن جبير ورحلة خالد بن عيسى البلوي وغيرها ،
فانا نرى في هذه الرحلات أشياء لا نجدتها فيما بين أيدينا من كتب التاريخ .

أثر الرحلة في ثراء الأدب

لرحلة أثر في ثراء الأدب لا يقل عن أثرها في ثراء العلم ، فكمن قصيدة
لا ينظمها الشاعر إلا حين يعزم على الرحلة لائقائها بين بدي ملك أو وزير
أو وجيه مثل قصيدة :

أدرك بخيلك خيل الله أندلساً إن السبيل إلى منجاتها درسا
فان صاحبها أبا عبد الله بن الأبار الراحل من الأندلس قد نظمها استنجاداً
لأمير تونس وألقاها بين يديه .

ومما يرجع الفضل فيه للرحلة ذلك الشعر الوارد في التشوق إلى الوطن أو
لأهل والاختوان ، ومن هذا الباب قول محمد بن يوسف الدمشقي بتشوق إلى دمشق
وهو ييلاد الروم :

بعاد يزيد الجوى والحنينا وبين يعلم قلبي الاثينا
فراق أذاب الحشا أدما فأجري بصافي الدماء الميوتا

إلى أن قال :

وجاد الحيا أريعا بالشام وسلم ضجبا بها قاطنينا
رحلنا فما تابعتنا القلوب وسرنا فظلت لديكم رهونا
واذكر بهذه المناسبة أن استاذنا المرحوم الشيخ سالم أبا حاجب كان قد سأل

الى إيطاليا وبعث برسمه الى بعض اصدقائه في تونس وكتب عليه اليتيم:
لما شكت شط النوى روجي التي ابقيتها عند الاحبة بالوطن
ارسلت تمثالي لها^(١) بوا عسى تساو فلا تبغي التعافا بالبدن

أثر الرحلة في تعارف الشعوب

لا ينزل الرجل الناضل بوطن إلا التقي بطائفة من فضلائه ، والشأن أن
يصف لهم بعض النواحي من حياة قومه العلمية والاجتماعية ، ثم إذا عاد الى قومه ،
وصف لهم حال الأوطان التي تزل بها ، فيكون كل من الشعوب التي رحل منها
أو تزل بها ، على خبرة من حال الشعوب الاخرى .

وقد نبهنا على أن الرجل الطيب السريرة ، يتخذ في كل وطن أصدقاء ،
وهذه الصداقات تعد فيما يربط بين الشعوب الرابطة الوثيقة ، وتعارف الشعوب
بوسيلة العلماء والادباء ، بشير في قوسهم عواطف الائتلاف والاحترام .

وإذا كانت من أفضل آثار الرحلة عقد رابطة التعارف والتعاطف بين
الشعوب ، نعلي المستطيعين منا أن يخلصوا البلاد الشرقية بجانب عظيم من رحلاتهم
ولو وجدوا في سبيل ذلك مشاق فوق ما يلاقونه في سبيل الرحلة الى البلاد
الاجنبية .

أدب الرحلة

الآداب السنية كمال الانسانية ، فيجب على الانسان الاحتفاظ بها في وطنه ، كما
يحتفظ بها في غير وطنه ، ورأينا بعض الحكماء يوجهون الى الغريب أو من رام
الغربة عناية خاصة ، فيؤكد عليه في الاحتفاظ بالآداب الشريفة ، فقال بعضهم :
يا غريباً كن أدبياً ، ومن هذا القليل وصية عبد الملك بن سعيد الاندلسي لابنه
علي عند عزمه على الرحلة الى بلاد الشرق ، تلك الوصية التي يقول فيها :

اودعك الرحمن في غربتك مرثباً رحماً في أوبتك
فلا تطل جبل النوى إني والله أشواق الى طلعك

(١) البرجله الحوار يحشي ثاماً او تبناً فيقرب من ام القصيل فتعطف عليه ، فتدر .

وقال :

فليس يدري أصل ذي غربة وإنما تعرف من حيثك
ونبهه لا داب سامية فقال :

واش الموبنا مظهرأ عفة وابغ رضا الامين عن هيتك
وكل ما ينفي لمذر فلا تجمله في الغربة من إربتك
ولا تجادل حامداً ابداً فانه أدعى الى هيتك

وقال :

وانطق بجيت العمي مستقبح واصمت بجيت الخير في سككك

ومن أدب الراحل أن ينصف البلاد التي ينزل بها فيذكر محاسنها ، ويغيب
عما يلاقيه بها أهلها من احتفاء وموانسة . ورد تاج الدين بن حموية السرخسي بلاد
المغرب ، فسأله سلطان المغرب يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن قائلاً : أين هذه البلاد
من بلادك الشامية ؟ فقال السرخسي : « بلادكم حسنة أنيقة ، وفيها عيب واحد ،
فقال السلطان : ما هو ؟ قال : إنها تنفي الاوطان . »

ومن قاموا على هذا الادب الجليل العلامة المقرئ صاحب كتاب تقع الطيب ،
فقد نظم في الثناء على دمشق أشعاراً ، وتمثل فيها بأشعار ، وما أشده قول شمس الدين
الأصدي :

إذا ذكرت بقاع الارض يوماً فقل سقيها لخلق ثم رها
وقل في وصفها لا شيء خواها بها ما شئت من دين ودنيا
وأختم هذه المخاضرة بأبيات خطرت لي معانيها عند ما نزلت دمشق ،
واني لست بشاعر ولكني درست علم العروض ، فأستطيع أن أقول كلاماً
موزوناً ، وإلى حضراتكم هذه الايات :

زارها بعد نوى طال مداها فننا قلباً مُجدّاً في هواها
راح نشوان ولا راح سوى أن رأي الشام وحياه شذاها

نظرة في صاحبها تذكره كيف كان العيش يجلو في رباعها
ما شكا فيها اغتراباً وإذا حدثته النفس بالشكوى منها

من بحث العيس في اليد الى بردي محمد للعيس سراها
فهنأ قامت نوادي فتية تبلغ النفس بلبقيا مناه
أدب يزهر سكزهر بهج أرشفتة السحب من خمر نداها
خائق لو نصع الخود به ناصح لا تخذت منه حلاها
ملاوا جلق أنسا فأرى ليها طلق الحيا كضعاها
شد ما لاقوا خطوباً فانتصوا سرخسات العزم طغنا في لهاها

عزة الامة في نشء إذا نشبت في خطر كانوا فداها
وجناها فوزها استمسكها يهدي الله وإرهاف قناها
هي عين والهدى إنسانها فاذا ما فقت لانت عماها

رذل الذكر مليك ترو بغوس الحكمة أو يدني جناها
أطلق الافكار من أصفادها فمضت ترمي الثريا وسهاها
خض علوم الكون أحقاباً ووسر في سماها إن تشأ أو بي تراها
لا ترى في الدين إلا مغرباً بجلاها أو منجها لقذاها

ذكرونا سلفاً قاموا على ضيرة غراء والدمر طواها
أمة بذكي التقى غيرتها مثلاً بذكي الندى نار قواها
شرف لو آنته الشمس في افقه الأعلى لظنته أباهها

أويحدي مجد أسلاف إذا غرقت أجفان خلف في كراها
 أمة تلهو بذكرى نالد عن طريف لم ترم عهد صباها

فابثوها مما تسو كما سميت الجوزاء تزهو في سناها
 ما الفغار الحق إلا نهضة أحكم الإيمان والعلم هراها



دور الكتب

في حلب قديماً وحديثاً^(١)

سأدني :

لم تقف مهمة أجدادنا العظام وسلطاننا الصالح عند تأسيس المدارس وتشيد بنائها ، بل لنهم ذلوا كل عقبة تعوق عن تحصيل العلم وتحول دون الورد إلى مناهله واجتناء ثمراته .

وقد وجدوا أن من أعظم الوسائل لرفع منار العلوم ونشر ألوية المعارف ، تأسيس خزائن الكتب في المدارس التي أنشأوها وتنظيم شؤونها واسنادها إلى أهل الفضل وذوي المعرفة والخبرة بها . فأخذوا في التباري في هذا المضمار ، وتسابقوا في حلبة هذا الميدان ، ووقفوا من الكتب على اختلاف العلوم والفنون ما لم يبق إلى الآن لحد بالملايين .

غير أن الحوادث وللصائب العظمى التي حلت بالإسلام في كثير من الأقطار شنت شمل هذه الخزائن ومنقتها كل عمق ، ولما اتجه العالم الغربي

(١) مجلة المجمع : ألقى الاستاذ محمد راغب الطباخ عضو مجعنا العلمي هذه المحاضرة النفيية في حفلة افتتاح دار الكتب الوطنية بحلب ، ويرى القارئ وصف هذه الحفلة في باب الآراء والأفكار من هذا الجزء .

كان في طليعة أعماله أن وجه نظره واهتمامه إلى الاستعواذ على هذه الكتب بشئ الوسائل فتم له ما أراد ، وأنشأ في المواسم الأوروبية وغيرها مكاتب حافلة اشتملت على آلاف من الكتب العربية والفارسية والتركية ، وكثير منها من النواذر التي لا تجد منها شيئاً في بلاد الشرق ، وأكبوا على ترجمتها ونشرها والاستفادة منها وما زالوا دائبين على ذلك إلى وقتنا هذا .

ولو أردنا أن نذكر للمكاتب التي شيدها سلاطين المسلمين وأمرائهم وعلمائهم وذوو اليسار منهم في مختلف الأقطار الإسلامية في الشرق والغرب لاحتجنا إلى مؤلف حافل ، غير أننا بمناسبة الاحتفال في هذا اليوم بافتتاح دار الكتب الوطنية التي هي فرع المجمع العلمي العربي في دمشق احببنا أن نقصر بمحاضرتنا هذه على ذكر دور الكتب في حلب قديماً وحديثاً ، ومنها يعلم أن الشياء كانت غنية بهذه الدخائر الثمينة جارت غيرها من البلاد العربية الكبيرة ، ولا ريب أن دور الكتب في الأم هي مقياس رقيها وعنوان تقدمها .

يرشدنا التاريخ إلى أن حركة العلم والأدب كانت في القرون الأولى والثاني ضئيلة في حلب وما حولها إلا أنها أخذت تنقوى في القرن الثالث للهجرة ، فقد ظهر فيها وفيها حولها حفاظ في الحديث وبناء في الأدب ، وحسبك من هؤلاء الوليد بن عبيد الشاعر المشهور المتوفى سنة ٢٨٤

وكانت حلب في ذلك الوقت قد أخذت يحفظها وافر من العمران وازدهمت بالسكان فتطاوت إليها أغناق الملوك والأمراء ومن جملتهم سيف الدولة بن حمدان فنهض إليها بجيشه واستولى عليها وذلك سنة ١٣٢٢ ومن ذلك الحين عظمت الحركة العلمية فيها وقامت دولة الأدب ، وذلك لما كان عليه سيف الدولة من العلم والفضل واغداقه الأموال الطائلة على العلماء والأدباء وصارت الشياء في هذه محط الرجال وموتلاً لعظام الرجال ، وأسس فيها مكتبة عظيمة عنها انبثت أنوار العلوم وتفتحت ينابيع الفنون ومنها انتهل المتعطشون .

قال الحافظ الذهبي في تاريخه : كان في خزانة الكتب بحلب عشرة آلاف مجلد من وقف سيف الدولة بن حمدان وغيره ، وكان من جملة المتولين على هذه

الخزانة ثابت بن أسلم الشيعي المتوفى سنة ٤٦٠ فآلف كتاباً في كشف عوار الاسماعيلية فحمل الى صاحب مصر فسلمه وأحرقت تلك الخزانة .

وقال الامام الكبير والوزير الخطير عمر بن العديم في كتابه الانصاف والشعري في دفع الظلم والتجري عن أبي العلاء المعري الذي نشرناه على قص قليل فيه في الجزء الرابع من تاريخنا (أعلام النبلاء) : وكان بحلب خزانة كتب في الشرقية التي يجامع حلب في موضع خزانة الكتب اليوم ، واتفقت فتنته في بعض أيام عاشوراء بين أهل السنة والشيعة ، ونهبت خزانة الكتب وكان ذلك في زمن أبي العلاء ولم يبق في خزانة الكتب إلا القليل ، وجدد الكتب فيها بعد ذلك الوزير أبو النجم هبة الله بن بديع وزير الملك رضوان ثم وقف غيره كتباً أخرى ، وقد ذكر أبو محمد عبد الله بن محمد بن سنان الخفاجي (الشاعر المشهور مؤلف كتاب صر القضاة الذي طبع حديثاً في مصر) هذه الخزانة في قصيدته الثمانية التي كتبها من القسطنطينية بداعب أحد أصدقائه بها قال فيها :

أبلغ أبا الحسن السلام وقل له هذا الجفاء عداوة الشيعة
فلأطرفن بما صنعت مكبراً وأبث ما لا يث منك لبنكة
ولأجلسنك للقضية بيننا سيف يوم عاشوراء بالشرقية
حتى أثير عليك فيها فتنة تنسيك يوم خزانة الصوقية

وهذا أبو الحسن سالم بن علي بن نعيم الفقيه الكفرطائي المعروف بالحامي ، وكان من فضلاء حلب وكان سني المذهب وأبو محمد الخفاجي شيعي وكان بينهما مودة ومكانة وبنيكة من غوغاء الشيعة . ثم ذكر صاحب ابن العديم ما يفيد أن أبا العلاء المعري كان يغشى هذه المكتبة في تروده الى حلب .

ماذا حصل في هذه المكتبة بعد ذلك

قال ابن خلكان في تاريخه في ترجمة أبي السادات المعروف بالمعري : حكى أبو البركات الهاشمي قال : لما دخل السلطان صلاح الدين الى

حلب سنة تسع وسبعين وخمسة تزل المسعودي للذكور الى جامع حلب وقد
في خزانة كتبها الموقوفة واختار منها جملة أخذها ، لم يمنه منها مانع ، ولقد
رأبته وهو يحشوها في عدل ، وهذه الحادثة مما يؤخذ عليها السلطان صلاح الدين
رحمه الله .

ثم أسس بعد ذلك في أواسط القرن السابع القاضي الاكرم جمال الدين
يوسف بن ابراهيم وزير حلب دار كتب يجلب وجمع بها ما لا يوصف ، وكان
هذا القاضي الوزير من غواة الكتب ومن عشاقها المتفانين في حبها .

قال ياقوت في معجم الادباء : وكان القاضي الاكرم جماعة لاكتب حربصا
عليها جداً لم أر مع اشتالي على الكتب ويبي لها وتجارت فيها أشد اهتماماً منه
بها ولا أكثر حرصاً منه على اقتنائها ، وحصل له منها ما لم يحصل لأحد ، وكان
مقيماً بحلب (وبها توفي سنة ست وأربعين وستاية)

وقال ابن شاكر في تاريخه فوات الوفيات في ترجمة القاضي الاكرم : وكان
صدراً عنشماً كامل السؤدد جمع من الكتب ما لا يوصف وقصد بها من الآفاق
وكان لا يحب من الدنيا سواها ، ولم يكن له دار ولا زوجة وأوصى بكتبه
للناصر صاحب حلب ، وكانت بساوي خمسين ألف دينار وله حكايات غريبة
في غرامه بالكتب .

قال الصلاح الصفدي في تاريخه المرتب على السنين (في جزء منه هو الآن
من مخطوطات المكتبة الاحمدية بحلب) في ترجمة القاضي الاكرم : وله حكايات
عجيبة في غرامه بالكتب ، منها أنه وقع له نسخة مبيعة من كتاب الانساب
لاين السعدي بخطه يعوزها مجلد من أصل خمسة ، فلم يزل يبحث عنه ويطلبه
من مظانه فلم يحصل له ، فبعد أيام اجتاز بعض من يعرفه بسوق القلانيين ،
فوجدوا أوراقاً منه فأحضرها اليه وذكر القصة ، فأحضر الصائم وسأله عنه
فقال : اشتريته في جملة أوراق وعمليته قوالب للقلانس ، فعحدث عنده من المم
والقيم والوجوم ما لا يمكن التعبير عنه ، حتى أنه بقي أياماً لا يركب الى القلعة
وقطع جلوسه ، وأحضر من تلب على الكتاب كما يتدب على الميت المقود

المؤسس منه ، وحضر عنده الاعيان يسألونه كما يسأل من فقد له عزيز . والحكايات الدالة على عشقه الكتب كثيرة . ١٠ هـ

وكتاب الانساب هذا كتاب عظيم في هذا الفن ذكره ابن خلكان في ترجمة مؤلفه عبد الكريم بن محمد المروزي وانه في ثمان مجلدات وقد اختصره عز الدين بن الاثير في ثلاث مجلدات والمختصر هو الموجود بأيدي الناس والاصل قليل الوجود . قال ذلك عنه ابن خلكان وهو من اهل القرن السابع . وهذا الكتاب يحتاج اليه مزاولو علم الحديث والتاريخ والادب والجغرافية فانه يوفقك على الصواب من اسماء الرجال والبقاع الى غير ذلك من الفوائد ، يوجد الان منه نسخة قديمة في مكتبة كوبرهلي زاده محمد باشا في الاسنانه رقمها ١٠١٠ . وقد سبقنا الالمانيون الى طبع هذا السفر النفيس عندهم بالتوتوغراف (المصور الشمسي) وجاء منه نسخة الى حلب الى بعض باعة الكتب بيعت آخرأ على ما اظن الى مكتبة للمدرسة الخلوتية ، ولا أدري أطمعه الالمانيون على هذه النسخة الموجودة في الاسنانه ام على غيرها ، وعلى كل فان نسخه الاصلية نادرة الوجود . ومن جملة المكاتب المظيطة التي است في حلب مكتبة العلامة شرف الدين الشيخ عبد الرحمن المعجمي باني المدرسة الشرفية وراء الجامع الكبير واشتهرت عند الناس بالاشرفية وهو خطأ ، وكانت وفاته سنة ثمان وخمسين وستماية في وقعة التتر لما دخلوا حلب .

قال مترجموه : وقد وقف الواقف رحمه الله تعالى على هذه المدرسة الكتب النفيسة من كل فن من حديث وتفسير وفقه وفحو وغير ذلك ، فمن كتبها مسند الامام الشافعي والامم وجميع كتب الامام الشافعي وكتب الاصحاب كتفسير الثمالي وغيره من التفاسير و كالتهاية والحساوي الكبير والابانة والتممة والنخازر والشامل ، (الى ان قال) وكان بها اربعون نسخة من التنييه وجميع كتب الغزالي وكانت اسماء الكتب مثبتة عند اقاربه في درج كبير فذهب في محنة تيمر . ومن دور الكتب في حلب جامع منكلي بغيا المعروف الان بجامع الرومي في محلة باب قنسرين أنشاه هذا الجامع سنة سبع وستين وسبعماية هجرية .

قال أبو ذر في تاريخه كنوز الذهب : ووقف منكلي بقا كتباً قيمة لهذا الجامع ومنها التفسير للقرطبي والتبصرة لابن الجوزي ومجمع الاحباب للعسبي وغير ذلك من الكتب النفائس وقد ذهب نصف مجمع الاحباب وكان كله في مجلدين فذهب مجلد واحد وهو كتاب جليل ترجم فيه الاولياء والعلماء وتكلم فيه على طريق الصوفية ، ووضع الكتب في خزائن الجامع المذكور . وهذه الخزائن متقنة محكمة فيها الصنائع العظيمة على طريق التجارين وبلغني ان الشيخ فربكاً وهو من الصالحين كان يمار ذلك .

والان لا خزائن هناك ولا كتب وقد رأيت منها تفسير القرطبي في بعض البيوت وهو في (١١) مجلداً من اصل خمسة عشر وقد بيعت هذه المجلدات منذ عهد قريب ، ويطلب على الظن ان هذه النسخة النفيسة أصبحت الان في خزائن المكاتب الغربية .

ومن دور الكتب دار الحديث التي أسسها أحمد مطاف باشا من غلة دراهم قدرها عشرة آلاف دينار ذهباً وقفها في سبيل الخيرات وكتاب هذا الوقف محرر سنة ١٠٠٤ ، ودار الحديث هذه كانت شرقي تربة الواقف الكائنة في محلة الجلوم الملاصقة للخان المعروف بخانات المطاف ، وقد ذكر في كتاب وقته ثمانين كتاباً خطياً وقفها على دار الحديث هذه ، وهي كتب متنوعة من جملتها جلدان من لسان العرب وصل فيها الى حرف الراء وقد نبعثت هذه الكتب واستبدلت هذه الدار بدار في محلة وراء الجامع دعيت بدار الحديث أيضاً لكنها في عداد المدارس للمعطلات التي لا تستفيد منها الامة .

هذا ما عثرت عليه في هذه العجالة من دور الكتب في الشيا قبل الالف ، وكلها أصبحت أثراً بعد عين ونحن نلني تبعه ذلك على أسراء ذلك العصر وعلمائه فانه لولا تهادنهم وسكونهم لحفظ الى هذا الوقت ذلك التراث الجيد ولصكنا نقنط منه ثماراً يافعة ولكن الى الله المشتكى .

ما أنشئ من دور الكتب بعد الالف

من أعيان الشيا في أوائل القرن الحادي عشر رجل يقال له الشيخ أحمد

القاري وكان خليفة للشيخ أبي بكر صاحب المزار المشهور الذي بعد اليوم في جملة آثار حلب القديمة وهو شرقي حلب إلى شمالها .

وكان هذا الرجل ذا تدبير وحسن رأي وصلاح ومعرفة ومغنا يد محبوباً إلى الأمراء الذين يردون حلب وإلى الأهلين فأغدقت عليه الأموال ، فبنى تلك التكية المعروفة إلى اليوم بتكية الشيخ أبي بكر ووقف لها عقارات ومزارع ونظم أموراً على ما يطلبه ذلك العصر ، ومن جملة ما أسسه فيها مكتبة قيمة فيها مختلف العلوم والفنون إلا أنها كانت كغيرها عرضة للنهابين ومنذ عشر سنين كان فيها بقية قليلة في خزانة تجاه ضريح الشيخ أبي بكر ، ورأيت في جملة هذه البقية مصحفاً كريماً على جميعه بالذهب وورقة أي أجزاء من القرآن العظيم وكل جزء منه على كذلك ، ولا أكون مبالفاً إذا قلت لكم إن هذا المصحف وتلك الأجزاء تساوي أكثر من ٣٠٠ ليرة ذهبية وقد فقد ذلك كله ، وتلك البقية من الكتب استلمتها دائرة الأوقاف منذ سنين قلائل وأضافتها إلى كتب مكتبتها .

وهذا الرجل هو الشيخ أحمد القاري وقف كتباً قيمة أيضاً على التكية المولوية ، وهي بما بني في أواسط القرن العاشر وكان هو مولوباً أيضاً ، وأظن أن هناك أشخاصاً آخرين ممن تولوا أمر هذه التكية وقفوا فيها كتباً كثيرة إلا أنها أيضاً كانت معرضة للنهب لعدم انتظام أمرها فقد منها الكثير ، وفي فهرست كتبها الأخيرة عدد الكتب يناهز ١٢٠٠ ولما أحضرتها دائرة الأوقاف بلغت ٩٥٠ كتاباً ، إلا أن اللهم من هذه المكتبة لا يزيد على خمسين كتاباً وهي اليوم بحالة لا يستفاد منها مطلقاً وذلك مما يؤسف له ، وقد قلنا إن تبعه ذلك ملقاة على عائق أمراء حلب وعلمائها فهم المسؤولون عن ذلك كله (فكلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته) .

وفي القرن الثاني عشر في أواسطه وأواخره أسس في الشياخ خمس مكاتب الأولى أسسها أحمد أفندي طه زاده وتعرف اليوم بالمكتبة الاحمدية وهي في مدرسته التي أنشأها في محلة العلوم ، تحوي ألفاً وأربعمائة وخمسين كتاباً تبلغ

ثلاثة آلاف مجلدة كلها مخطوطة ، وفيها الكثير من النفائس ، وبالرغم عن تشديد الواقع في أمرها فانها لم تسلم من ايدي العابثين وعلى ما اقدر انها تقصت من حين انشائها الى الان نحو ١٥٠ كتابا منها نحو السبعين فقدت منذ خمسين سنة الى الان ، وهي بالنسبة الى غيرها تعد مخفوظة بالجملة . ومن جملة قائمها اسطرلاب نحاسي بدبعم الصنعة محكم لا ثقل قيمته عن خمسين ليرة ذهبية ، وفيها كرتان قديمتان من صنم اوربة الواحدة سماوية والاخرى ارضية بلغني ان زائرة ايطالية عالة بالآثار اكدت ان هاتين الكرتين قل ان تجد كرة معاصرة لها في المتاحف الاوربية .

الثانية : اسمها المرحوم عثمان باشا الدوركي بافي المدرسة العثمانية واضاف اليها المرحوم نقي الدين باشا المدرس الحلي كتبها مخطوطة ومطبوعة وذلك في اوائل هذا القرن ، وفيها من وقف هذين العتيقين كتب من النفاسة بمكان ولم تسلم ايضا من الابددي الاثيمة لعدم انتظام امر قوامها ، وبعض هذه الكتب لقلة الاهتمام بها اصابها الامطار فالتصقت اوراقها بعضها ببعض ، والغلاصة ان الخلل في هذه المكتبة ليس اقل من الخلل الواقع في لوقافها وهذا مشاهد معلوم .

الثالثة : اسمها المرحوم احمد افندي الكواكبي في مدرسته التي انشأها في الجلولم ، وكانت لا ثقل اهمية عن المكتبة الاحمدية ، وقد بددت كلها وبضم اجزاء منها آل الى مكتبة الاوقاف العامة ، وقد كان فيها عدة كتب هي من تأليف بني الكواكبي منها ذيل في تراجم الرجال لمحمد افندي الكواكبي ورحلة قبية الى احمد افندي الكواكبي جد احمد افندي الواقف .

الرابعة : مكتبة اسمها الشيخ محمد البغشي شيخ سجادة التكية الاخلاصية في محلة البياضنة ، وزاد فيها بعد ذلك الشيخ ابو الوفا الرفاعي جد بني الرفاعي القاطنين بها الان ، ولم تسلم كثيرا من المكاتب بل امتدت اليها بعض الابددي ولم يزل منها جملة حسنة في خزانة آل الرفاعي ، وهي غنية بكتب الحديث والرجال وفيها ما لا يوجد في غيرها ، وقد كنت نشرت قائمها في مجلة مجمننا العلمي العربي .

الخامسة : المكتبة المارونية وهي في دار البطريركية المارونية ، وكون تأسيسها منذ قرنين اقله غنا لا يقيها .

وفيه من النفائس في كتب الادب : مباحج الفكر ومناهج العبر لمحمد ابن ابراهيم الانصاري المعروف بالطوطاط المتوفى سنة ثمان عشرة وسبعائة ، ومن هذا الكتاب عدة نسخ في الاسنانة وهو جدير بالطبع .

وفي القرن الثالث عشر انشأ في المدرسة البهائية المعروفة بالصلاحيه ايضا مكتبة فيها الان نحو ٧٠ كتاباً ، وكذلك في المدرسة المنصورية في محلة انقرة انشأها الشيخ منصور السرميني وقد تبعت واحضرت البقية الباقية منها سنة ١٣٤٥ الى مكتبة الاوقاف .

ومكتبة انشأها اسماعيل باشا واقف المدرسة الاسماعيلية في مدرسته ، وقد بقي منها بقية أحضرت أيضاً إلى مكتبة الاوقاف .

ومكتبة في خزانة جامع السكاكيني في محلة القصيلة بقي منها بقية أحضرت الى مكتبة الاوقاف .

ومكتبة في خزانة المدرسة الطرنطائية في محلة محمد بك في باب النيرب عند بني الباونجكي لم يزل منها بقية إلى اليوم .

ومكتبة في المدرسة القرناصية في محلة القرافرة بددت أيضاً وأصبحت في خبر كان .

ما أسس من المكاتب في هذا القرن

مكتبتان هاتان وقفهما رجلان جليلان في هذا القرن :

الاولى : مكتبة وقفها محمود أندي الجزار ، وضعت بعد وفاته في الجامع الكبير .

والثانية : مكتبة الحاج عبد القادر الحايوي بقيت في بيته بعد وفاته ، ثم

أحضرت للمكتبتان منذ خمسة عشر عاماً إلى المدرسة المنصورية ثم نقلتا إلى المدرسة الشرقية التي تقدم ذكرها ، وأضيف إليها ما تقدم ذكره من البقية الباقية في تكية الشيخ أبي بكر والمنصورية وجامع السكاكيني والمدرسة الاسماعيلية واشتريت لها بعض الكتب المطبوعة فتألف من ذلك مكتبة حنة تابعة لإدارة

الأوقاف ، لكنها في حاجة كبرى إلى الزيادة بما طبع في مصر وأدرة
وغيرها ليكون منها مكتبة حافلة يوتوي منها رواد مناهل العلم ، فيسبى أن تلي
دائرة الأوقاف نداهنا وتضع لها في ميزانيتها كل سنة مقداراً حسناً يكون سبب
نموها وانتظامها .

ومنذ سنوات وقف الشيخ أحمد المديني رحمه الله كتباً مخطوطة ومطبوعة
على مدرسة في محلة قارلق ولم تزل هناك إلى الآن .

وآخر مكتبة أسست في الشباه هي مكتبة فرع المجمع العلمي العربي بدمشق
وكان ذلك منذ أربعة عشر عاماً أرسل إليها المجمع من تأميمها إلى الآن نحو
١٩٠٠ مجلد ، وفي هذه السنة أرسل إليها ١٢٠٠ كتاب فصار فيها جملة صالحة
إلا أن المكان الذي كانت فيه وهو تلك الحجرة التي هي في الطابق العلوي
في خان الكرك التابع لدائرة الأوقاف كان غير صالح لوضع مكتبة فيه وذلك
لضعفه وعدم ارتفاع سقفه ، والانسان يضيق به ذراعاً بعد قصوده فيه قليلاً وتغريه
السامة فيخادر المكان وهو لم يشف غليلاً ، وأمكنة المطالعة يقتضي أن تكون
فسيحة الأرجاء مرتفعة السقف ينشرح لها الصدر وتوافح بها النفس ليكون
ذلك سبباً للدأب في المطالعة والاسترسال فيها من غير ملل .

وظالما ذاكرت المجمع العلمي بدمشق وفي حلب عند حضور رئيسه وبعض
أعضائه عن حالة هذا المكان فلم يجد ذلك شيئاً ، إلى أن عين محافظ حلب
المحبوب الأمير مصطفى الشهابي . فذاكرته في ذلك لأول زيارتي له في فندق
بارون على أثر حضوره فوجدت منه أذناً صافية وقلباً مليئاً شغفا بهذه المشاريع
التي فيها مستنار العقول وحياة البلاد .

ولم تغف حمة المحافظ حفظه الله عند نقل هذه المكتبة من مكانها الضيق
إلى هذا المكان للسمع الجليل بل سعى لدى المجلس البلدي بأن يضع في ميزانيته
مبلغاً والبراً في كل سنة لبنى داراً عظيمة ليكتب ويتناح منه ما يطبع في مصر
وغيرها من الكتب العربية وغير العربية ليجد للمطالع لها جميع ما يحتاج إليه .

وما يشي عليه لا ولا ريب أن هذا العمل مأثرة كبرى لحافظنا يحفظها له التاريخ ويخلد له جيل القديري . والمجلس البلدي يكون في عمله هذا قد اتقى بالمجالس البلدية في البلاد الأوروبية فإن لها مكاتب عظيمة هي في تقدم مستمر .

ولم نسمع في الشرق للمجالس البلدية مكتبة إلا للمجلس البلدي في الاسكندرية فإن له مكتبة قيمة اشتملت على آلاف من المخطوطات والمطبوعات وهو في كل سنة يزيد في عددها وتنظيمها .

فإذا أمرز المجلس البلدي في حلب هذا المشروع لهذا الوجود وقام بهذا العمل الحميد بكون المجلس الثاني الذي قام في الشرق بأمثال هذه المشاريع النافعة للبلاد ، وهو الاول من نوعه في البلاد الشامية .

والذي نرجوه من المجلس البلدي ومن دائرة الاوقاف إذا أجباً أن يكون لنا مكاتب تدر بالفائدة الكبرى على هذه البلاد أن لا يقتصر على اتياع ما طبع وما يطبع فحسب بل عليها أن يأخذ ما تعظم الفائدة به من آثار أملانا التي تسربت إلى مكاتب الغرب والاستانة ومصر بالمصور الشمسي ويستردا بضاعتنا البنا .

وأم هذه الآثار بالنسبة إلى حلب بل إلى بلادنا الشامية جميعها ذلك التاريخ العظيم وهو « بنية الطلب في تاريخ حلب » للامام الكبير والوزير الخطير والمؤرخ الشهير الشاعر النائر ذي الخط الجليل الذي ضرب به المثل ونوه به شعراء عصره كالدين عمر بن أحمد بن المديم الحلبي المتوفى سنة ٦٦٠ وقد أفردت لهذا الرجل العظيم وتاريخه كتاباً خاصاً في سمين صحيفة .

ومعظم تاريخه بخطه في ثمان مجلدات في سراي طوب قبر في الاستانة وجزء منه في لوندرة وجزء في باريس وثلاثة أجزاء في مكتبة أيا صوفية في الاستانة وهي بخطه أيضاً وقد سبقتنا الحكومة المصرية إلى أخذ هذه الاجزاء بالمصور الشمسي ، وقد كان المرحوم أحمد زكي باشا أرسل لي سيم أوراق أخذها عن

النسخة المصرية وما هي أعرضها على أنظاركم الكريمة ، وجزء من هذا التاريخ العظيم في إحدى مكاتب الموصل قد استنسخناه وفيه ترجمة نحو عشرين شاعراً من شعراء المعرة قل منا من يعرف واحداً منهم الى غير ذلك من القوائد التي اشتمل عليها هذا الجزء وما هو بين أيديكم ، وباسترداد هذا الكتاب وأمثاله مما نحن في حاجة اليه وإبرازه لعالم المطبوعات نزداد علماً بمجد آبائنا ومعرفة ببلادنا الشامية وما دثر منها والاحوال المدنية والعمرانية التي كانت عليها ؛ ونقف على ما أنبتته من الرجال وما قاموا به من جليل الاعمال وما خلدوه من الآثار الى غير ذلك من جلي القوائد وعظيم العوائد ، وذلك ولا ريب من أعظم البواش لنهضتنا واستيقاظنا من رقدتنا ، واسترجاع سالف عزنا ومجدنا ، والله الموفق ، والسلام عليكم ورحمة الله .

في ١٨ جمادى الاولى سنة ١٣٥٦

في ٢٦ تموز سنة ١٩٣٧

محمد رافع الطباخ



آراء وأخبار

وفاة

السيد مصطفى صادق الرافعي عضو المجمع العلمي العربي

ينعي المجمع العلمي الى أعضائه أخام الاديب العربي الكبير السيد مصطفى صادق الرافعي الذي استأثر به ربه يوم الاثنين من شهر صفر المنصرم ١٣٥٦ ١٠ - ٥ - ٣٧ وقد انتخبه المجمع العلمي عضواً مزملاً سنة ١٩٢٨ وهو من أعلام العرب في العلم والأدب قضى حياته في خدمة لغته وآدابها شعراً وثنياً في الصحف والمجلات والمصنفات الممتعة ، فهو من زعماء الانشاء المحافظين على أسلوب البلغاء الايناء من السلف ، وبذلك عاش من الكرام الكاتبين الذين ارتقت بهم الكتابة ، فحربت اللغة من بيان العرب بمقدار ما تجاوزت بها عن مضاجع العجمة وستوبته المجلة تأبيناً مفصلاً في الجزء التالي طاب ثراه ، ورحمه الله .

أغلاط دائرة المعارف الاسلامية

اطلعت في العدد التاسع من المجلد الثاني من دائرة المعارف الاسلامية للصربية حديثاً بمصر على ترجمة السيد محمد الآلومي المفسر الشهير وفي من إنشاء الدكتور بروكلان المشرق المعروف ، وقد وجدت فيها غلطات تاريخية

لذلك أحييت أن ألاحظ على كاتبها ، وليس لي من قصد غير خدمة العلم ؛ قال الدكتور بروكلمان :

« ولد الآلومي عام ١٢١٨ هجرية » والصحيح أنه ميلاده في سنة ١٢١٧ هجرية مثلاً هو المذكور في ترجمته في كتابه للمسعى بكشف الطرة عن الغرة نقلاً عن كتاب جلاء العينين في محاكمة الاحمدين تأليف نجل للترجم - ثم قال : « إن الآلومي تنازع هو والباشا التركي (يعني والي بغداد) ورغب أن يدافع عن نفسه وعن حقوقه في عاصمة الدولة العلية ، فرحل اليها في جمادى عام ١٢٦٢ هجرية وبلغ صامسون بعد أن مرّ بالموصل وديار بكر ثم ركب البحر الى الاسكندرية ، ولما لم يقابله الصدر الاعظم بما هو أهله عاد أدراجه الى موطنه دون أن يحقق غرضه » هذا أيضاً خلاف الواقع إذ الآلومي نفسه ذكر في رحلته التي سماها « زهرة الالباب وغرائب الاعتبار » اجتماعه بالصدر الاعظم رشيد باشا وذلك بواسطة شيخ الاسلام حينئذ عارف حكمة ، وقد قابله الصدر بما يليق بجلته من التجلية والاحترام وقضى له مأربه وأغراضه كلها وقد رجع من عنده وهو يلهج بالشناء عليه وعلى شيخ الاسلام المذكور - ثم قال الكاتب : « وقد كتب أحد أقربائه واسمه نعمان خير الدين الآلومي وكان يقطن كذلك في بغداد دفافاً عن ابن نيسية عنوانه جلاء العينين في محاكمة الاحمدين (بلاق عام ١٢٩٨) ذكر الكاتب ان مؤلف الكتاب المذكور هو أحد أقرباء الآلومي بل الصحيح انه نجل السيد محمود الآلومي المترجم ، وذكر الكاتب أيضاً أن مصنفه المذكور مطبوع في بلاق عام ١٢٩٨ وهذا تحريف من الكاتب والصحيح بولاق كما ذكره العلامة مؤرخ مصر نبي الدين المقرئ في المواعظ والاعتبار بذكر المخطوط والاثار والنيوطني في حسن المحاضرة وكما هو مشهور عند العامة فضلاً عن الخاصة ، ثم ذكر الدكتور بروكلمان ان تصدير الآلومي التسمي بروح المعاني طبع في ثمانية اجزاء مطبعة بلاق فيما بين عامي ١٣٠١ و ١٣١٠ هـ والحقيقة ان تصديره طبع مطبعة بولاق في تسع مجلدات ضخمة لا في ثمانية اجزاء ، وقد وهم أئمتنا في قوله : بين عامي ١٣٠١ - ١٣١٠ هـ يعنيه للتي ، والحال ان مدة احتراق

طبع التفسير المذكور كانت تسع سنوات فكان الاصح ان يقال بين أعوام كذا أو بين سنتي كذا .

طرابلس الغرب : على محمد النقيب حسن

رجاء

الى أعلام العربية والاستشراق

رجعت في معنى (السيرار) الذي عده المرزوقي في كتابه (الأئمة والامكنة) من جملة بيوع العرب في الجاهلية إلى المعاجم الآتية :

- ١- تاج العروس (شرح القاموس) .
- ٢- لسان العرب لابن منظور .
- ٣- الصحاح للجوهري .
- ٤- المجمل لابن فارس (نسخة مخطوطة كاملة في المكتبة الظاهرية) .
- ٥- الجهرة لابن دريد .
- ٦- الفائق للزمخشري .
- ٧- أساس البلاغة .
- ٨ - النهاية لابن الأثير .
- ٩- الصبايح للثعلبي .
- ١٠- المختصر لابن سيده .

١١- التهذيب للزهرى (نسخة مخطوطة في المكتبة الاحمدية بطلب) .
ثم تحررت في شروح الحديث وكتب التمهيد عظيمة أن أجدها فيها تعرضاً له في عدد كلام عن البيوع الفاسدة أو التي عنها لم أجدها أحد من أصحاب المراجع المذكورة قد ذكر هذا الضرب من البيع ، ولم يتعرض له غير صاحب محيط المحيط (وقد روينا عبارته) ولم أجد بعد إلى المصدر الذي استقى منه هذا التفسير .

فالمرجو من علماء العربية - من عديم معاجم مخطوطة أو مطبوعة إذا عثروا على النص الموثوق في ذكر بيع السرار ان يتكرموا فيوافوني بالبيان الشافي عن طريق المجمع العلمي العربي بدمشق ولهم الشكر الجزيل -
غرة صفر سنة ١٣٥٦

سيد الوفااتي

حفلة افتتاح دار الكتب الوطنية بحلب

عشية الاربعاء الواقعة في ١٩ جمادى الاولى سنة ١٣٥٦ (٢٧ تموز ١٩٣٧) أقيمت في عاصمة بني حمدان حفلة افتتاح دار الكتب الوطنية ، وقد ضمت جمهوراً من العلماء والاعيان ورجال الصحافة .

وعند افتتاح الحفلة ألقى الاستاذ سامي الكيالي كلمة مفيدة عن دار الكتب ومساهمة دار الامانة (البلدية) في إخراج هذه الخزانة من سجنها القديم ، ثم ألقى الشيخ علي الكحال قيم خزانة الاوقاف كلمة عن خطورة الكتب ومكانتها عند الامم العربية والغربية ، ثم أئند الاديب شارل الخوري قصيدة في الموضوع ، وعلى أثره نهض مؤرخ الشباه ومدير المدارس العلمية فيها الشيخ محمد راغب الطباخ وألقى كلمة ممتعة عن خزائن الكتب الحلية وعن تسابق الحليين في اقتناء نقائس الكتب وإنشاء الخزائن لها ، ولم ينس الاستاذ الفاضل وهو من أعضاء مجمعا العلمي ، ان ينوه بشأن المجمع العلمي ويذكر بده البيضاء في تنشيط العلم والعلماء في حلب وذلك بإنشاء فرع له فيها يضم أفاضل علماء الشباه ، وبإنشاء خزانة كتب تشتمل على نقائس الاسفار .

وبعد ان ألقى الاستاذ الطباخ محاضرته التي نشرناها في هذا الجزء التي محافظ حلب وعضو مجمعا العلمي الامير مصطفى الشهابي كلمة وجيزة قال فيها : « نحن هنا في حرم الادب بعيدون عن السياسة والتحزبات وضوائها المنغصة » . ثم قال : ليس الفضل لي وحدي في إحياء هذه المكتبة بل لرئيس البلدية والمجلس

البلدي واعضاء فرع المجمع العلمي في حلب ، وهم الذين عطفوا على هذا المشروع العلمي وساهموا في إحيائه ، والذي أرجو ان يوفقنا الله لتحقيقه ذلك القرار الذي اتخذته المجلس البلدي بفتح اعتماد بعشرة آلاف ليرة سورية في موازنة بلدية حلب لإنشاء دار كبيرة للكتب وردة لالقاء المحاضرات .

وذكر انه أخذ وعداً صادقاً من الاستاذ سعد الله الجابري وزير الداخلية بأن يضع في موازنة المعارف لعام ١٩٣٨ عشرة آلاف ليرة سورية لهذا المشروع ايضاً . والفضل الذي يعود لمحافظة حلب ، وهو عضو مجتمعا العلمي ، يعود بالنسبة للمجمع العلمي نفسه ، فهو الذي أنشأ خزانة الكتب الحلية ، وقام بتفقات موظفيها مدة أربعة عشر سنة ، ولا يزال بها قائماً ، وأمدّها بتفانيس الكتب ، وآخر ما أرسله هدية اليها ألف ومائتان من المجلدات .

ولقد كان في نية المجمع عند توفر المال ان ينقل خزائنه الحلية الى دار فخمة في سرة المدينة تليق بمكانة العلماء وبتاريخ الشهاب وقد كتبت أمانة سر المجمع الى الحكومة بذلك مراراً ، ومحافظ حلب آخر من راسلته في ذلك فالحمد لله الذي قدّر للمجمع العلمي على يد أعضائه ان يرفع من شأن خزانة الشهاب ، وان يجعلها مثابة للناس وينفع بها العلماء والادباء .



مطبوعات حديثة

السيد رشيد رضا

أو إخوان أربعين سنة

تأليف

الأمير شكيب أرسلان من أعضاء المجمع العلمي العربي

١٣٥٦

مطبعة ابن زيدون بدمشق

١٩٣٧

إن الخلية الخاصة التي تحلى هذا الكتاب بها هي سجية الوفاء للاصدقاء ،
وهي الصفة التي امتاز بها مؤلف هذه السيرة الممتعة الأمير شكيب أرسلان ،
لأنها تشتمل على نحو الف صفحة في ذكر مناقب السيد رشيد رضا الذي يقول
عنه الأمير في المقدمة مانعه : « وبعد هذا فلا شك في أنه إذا وزن عمل كل
من أعيان هذا العصر بل من أعيان كل عصر كان السيد الامام محمد رشيد
رضا من أرجحهم ميزانا ، وأوفاهم قسطا لا يجحد ذلك الا من رانت عليه
الضلالة أو أعماه الغرض ؛ وإني لأجد نشر مناقبه والتبويه بقدره والاشادة
بجسده الكثرة والانارة لبراهينه الساطعة من عزائم الله الموجبة وفرائضه المبرمة
عملا بقوله تعالى : ووزنوا بالقسطاس المستقيم » .

ان سر العظماء تشبه قصائد الرثاء ، ووجه الشبه بينهما ان مؤلفي هذين الصنفين لم يقصدوا من ورائهما جزاءً ولا شكوراً ، فهما آيتان قاطعتان بالوفاء من آيات الثناء ، وجانب الخسارة المادية سيف كتابه النير يغلب في معظم الاعيان جانب الربح ، فالدلالة على وفاء الامير لصديقه أدبية ومادية معاً ، وقد أشاد بفضائله حياً وميتاً في كتاب حاضر العالم الإسلامي واعاد ما نشره فيه في الصفحة ٤٤ من هذه السيرة تحت عنوان (ما قلته في السيد رشيد) .

وقد جمع الامير في تاريخ الاستاذ الرشيد جميع ماله علاقة بها فمن تقريب الامير للوحي المحمدي الى مقدمة السيد رشيد لكتاب الارسلات اللطاف ، الى ما كتبه في المنار عن حديثهما مع أعضاء جمعية الامم ، وعن وفد الصلح والسلام ، ومن جملة فصول هذه السيرة ما قبل في السيد الرشيد عند وفاته في الجرائد والمجلات ، أو ما ألقى في الحفلات .

وفي السيرة كثير من الابحاث التاريخية السياسية منها بحث المشائخ العربية التي نصها الطاغية جمال باشا في دمشق وبيروت ، وكيف غدر بالسيد عبد الحميد الزهراوي ، واستحضره الى المحاكمة في الديوان العرفي بعالية بعد أن كان من أعضاء مجلس الأعيان ، وقد أراد الزهراوي رحمه الله أن يقدم جمالا يبرأته ويستل سخيحة صدره وذكره بما كان بينهما من عهد فقال له : إنه ليس له مدخل في الامر وانه لن يعييه أذى إذا كان الديوان العرفي يحكم يبرأته ، قال الأمير : وحقيقة الحال أنه كل من البداية بنوي البطش به ، وقد كنت بذلت كل ما في وسعي لأجل إقناذ وإقناذ زعماء السوريين الذين ساقهم جمال الى لاشنقة برأيه الافين لاسر يريد الله ، وتمكمت مع أنور عندما زار سورية يخفية عن جمال ، واغضب ذلك جمالا ، ولم أبال غفبه ، وسعيت لدى اتصال للانية في دمشق سعيًا حثيثًا بعد أن استعلفتني على كتمان السر حتى يبرق ، الى سفارة المانية في الآستانة لعلها تتوسط في الامر وتكفي الدولة شر الشقاق بين العرب والترك . . . ولا بد أن تكون الاوراق المحفوظة في سفارة المانية بالاسطانة تشمل على ما أفضيت به الى قنصلهم بدمشق . . . الى ان يقول :

أما السيد رشيد فكان الاتراك دعوه الى الثقام معهم وان ينولي منصباً
شرعياً في الامتانة فخاف أن يكون ذلك استدراجاً وأبى قبول دعوتهم ولم
يقع في الخطأ الذي وقع فيه الزمراوي عفا الله عنه .

لقد كان الامير شكيب من أشرف من كان حول جمال من رجال العرب
دفع الله به كثيراً من الشر والاذى ، وما كان يدافع عن الدولة العثمانية الا
دفاعاً عن العروبة والاسلام وخوفاً عليهما من مثل الانتداب والحماية والاستعمار
وكان شبان العرب وأعضاء المنتدى الادبي في الامتانة لا يرضون عن هذه السياسة
الشكيبية وهي سياسة اسلامية خالصة ، بل كنا نعدّها انتصاراً للترك على العرب ، ولكنه
كان غلماً في عقيدته ومشفقاً من الاستعمار على عروبه ، ولا أزال ذاكراً
زيارتي له في الفندق مع الشهيدين عبد الكريم الخليل رئيس المنتدى وصيف
الدين الخطيب وقد قلنا له : ان العرب لا يطلبون سوى الاصلاح شيئاً ، وهل
في طلبه عداً للترك او خلاف ، فأجابنا : ان هذا الطلب ، والدولة في جهاد
واعداؤها بالمرصاد ، ليس شيئاً من النجدة والانصاف ، وقد أعرب في هذه السيرة
عن فكرته هذه بقوله ص ١٥١ : « اذ كنت ممن لا يميز المضي في الاختلافات
الداخلية الى ذلك الحد الاقصى حينما يكون البلقانيون على أبواب الامتانة
عاصمة الاسلام » .

مسوأة مأثورة للامير شكيب العربي واخلاص منه لامة لا تبادله هذا
الاخلاص ، ولو بقي العرب مع الترك بسفكون دماء الى آخر الحرب لما
كان نصيبهم في هذه الايام غير نصيب الاكراد ، ولما كان لعدي جزاؤهم على
ما أبلاه من البلاء الحسن غير التبريك والاحاد .

وقد جمع الله العرب أخيراً على معرفة هذه الحقيقة ، فإن الامير أمتع الله ببركات
حياته يقول في حاشية له ص ٤٣٦ مانصه : « بعد ان رأيت ما رأيت من
هدم أثرة للاسلام اقتنعت بأن خطر الافرنج على العرب أصبح أهون من خطر
ملاحدة الترك . »

وقد علق الامير على هذه البقرة حواشي مفيدة سيرة وتاريخية وسياسية

ولغوية وأدبية تذكر بجواشي حاضر العالم الاسلامي التي فضلت منها ، والحلة لا تحلى في الدين مالم تستكمل حاشيتها ووردتها ، ومن أين لي أن أحصي ما أفدته من مطالعة هذه السيرة المباركة ، لولا بعض هفوات من الطبع قلما خلا منها كتاب طبع في الشرق ، وقد تحدث والمطبعة دائرة كنقص بعض الحروف مثال ذلك ص ٤٣٤ حماء بالهاء وهي بالتاء المثناة ، أو كزيادتها نحو (فضله) ص ٤٣٩ في (فضله) بالصاد المهملة ، وجاء في حاشية ص ٣٤٥ س ٧ (واقتصر صاحب المصباح) ولعل تنمة القول (على الدعاة) ، وفي الصفحة عينها س ١٦ : القصيدة والصواب القصيا ، وأثوت به أثاوة وإثابة ، والصواب بالتاء المثناة في الالفاظ الثلاثة كما في لسان العرب .

وجاء في صفحة ٤٤٣ : فنصل العجم غيرة الملك ولعله عين الملك ، وفي السطر الثالث من حاشية ص ٤٤٨ اللهم وصوابه اللخمي ، وفي ص ٤٨٩ : لكل مجتهد أجر إن أخطأ وأجر إن أصاب ، والصواب وأجران إن أصاب ، وفي ص ٤٩٣ : يحضون نار الشقاق ، والصواب يحضون ، وفي ص ٥٨٠ : ما يناسب المعركة العجيبة الذي ذكرتموه ، والصواب التي ذكرتموها . وقد نشرنا هذه الهفوات قبل أن تطبع المطبعة فهرس التصويبات ولعلها تكون فيها ، فبارك الله بأمير البيان مؤلف هذه السيرة الطيبة ، وأعز به دولتي العرب والادب معاً .

التوضي

ابن سينا

لأستاذ جميل صليبا

١٥٠ ص متوسطة — مطبعة ابن زيدون بدمشق

هذه هي الحلقة الخامسة من السلسلة الفلسفية التي يعنى بنشرها مكتب النشر العربي بدمشق الذي أنشئنا في مجلتنا^(١) على مهمة رجاله الثلاثة ونشاطهم في نشر عيون الآثار ، والحلقات الأربعة المتقدمة على هذه الحلقة هي : ابن خلدون والغزالي وابن طفيل للدكتورين جميل صليبا وكامل عياد ، والرابعة من افلاطون الى ابن سينا ، والخامسة ابن سينا التي نكتب عنها هذه الكلمة ، وكتابهما للدكتور جميل صليبا رئيس التعليم الثانوي ومفتشه في وزارة المعارف .

الأستاذ جميل صليبا الحكيم « الدكتور » في الفلسفة من أفضل من أكمل تحصيله في مدارس الغرب محافظة على قوميته وغيرة على دوس رجال سلفه الصالح ، ولم يكتب بمصطلحات الفلسفة في الفرنسية أو بما نشر في تعريبها في العربية والتركية ، فعكف على مطالعة كتب السلف في الفلسفة وفي علمي الكلام والتصوف ، وهما العلمان العريان اللذان حضنا الفلسفة ، منتقياً عما وضع علماؤنا من المصطلحات ومختاراً منها ما يدل تمام الدلالة على المعاني الفلسفية الحديثة ، ولذلك جاءت ترجماته ومؤلفاته في لغة عربية قشبية لا تشوبها عجمة ، ولا تخفيها ظلمة ، لصحة تمييزها وتوضيحها وتنويرها .

لا يكتب الأستاذ صليبا الا بعد أن يدرس ويحيط بموضوعه تحليلاً وتنقيحاً او بعبارة أوضح بعد أن يفهم ما يدرس ويمثله جيداً ، ولذلك يجيء ما يكتبه صحيحاً في معناه ومبناه ، فان ظلمة التعبير أثر من ظلمة التفكير ، وبجته هذا عن « ابن سينا » دلالة واضحة على ذلك .

بدأ رسالته بتوطئة عامة ذكر فيها ابن سينا وأنه لم يشتهر عند الأوروبيين

بشرح مذهب أرسطو اشتهار ابن رشد ، غير أن قيمته عند فلاسفة الاشراف أعظم من أن توصف ، وأن كتبه الطبية قد ترجمت الى اللغة اللاتينية كما ترجمت كتبه الفلسفية ، وبحث عمن عني من علماء أوزبكية فلسفته كغليوم الافريني والقديس توما دكينو وروجه باكون ، ثم بين المؤلف الفوارق بين الفلسفة الرشدية وفلسفة ابن سينا والفارابي وإن فلسفتها مستمدة من الفلسفة الافلاطونية ، واستشهد المؤلف على احكامه الصحيحة بشواهد اقتبسها في الحواشي من كتب فلاسفة العرب كتهاوت التهاوت والشفاء ومنطق المشرقيين .

وبحاث الكتاب ممتعة تجلو كثيراً من غوامض ابن سينا حتى تكاد تمثل لك صورته بكثير من الوضوح ، كأبحاث حياته وآثاره وفلسفته ومصادرها العربية والاعجمية ، ومنها بحثه عن منطق ابن سينا في كتابه منطق المشرقيين وعن رأيه في النفس مستخرجاً من كتبه الثلاثة النجاة والشفاء والاشارات .

وختم الحكيم جميل صليبا كتابه هذا ببحث (الاخلاق والتصوف في نظر ابن سينا) فبحث عن العناية واللذة في إدراك الكمال ولذة العارفين ومقاماتهم ورياضة الريد والوصول وصفات العارف الى غير ذلك من الرقائق واللطائف ، فجزاه الله عن فلسفة أئمة العربية خيراً ، فقد كشف عن سرها وقدرها حتى قدرها .

التوضي

ديوان البراعم

٢١٥ صفحة ، بالمطبعة العلمية بحلب

الاستاذ عمر يحيى شاعر حملة انسان نبيل يمتاز بصفات سامية فهو كريم النفس مخلص في الود ، رقيق الحاشية ، دقيق الشعور ، تشجيه الكلمة الطيبة ، ويرغمه المعنى الجميل

اما علمه بالمكتبة الادبية فجد عظيم ، وما حفظه من دررها نظاماً وثراً اعظم ،
قرأ كثيراً ، وحفظ كثيراً ، فلذلك ترى في شعره مسحة لا تراها في شعراء هذا الجيل
فهو جزل ، متخير الالفاظ ، له قوة جعلت بعض من يدرسونه شعره يتقدمونه
ويحملون عليه ، وهذا في رأيي ما كان ينبغي ان يبكر هذا الشاعر من اجله ، فما احوجنا
نحن الآن الى شعراء يحيون الاسلوب الجزل وينهجون نهج شاعر النيل حافظ - بل الله
ثراه - في احياء اللغة الحرة الصحيحة وطرده الالفاظ السميكة والتراكيب الدخيلة المبتذلة .
واما معاني عمر فمنها العادي المطروق ومنها الثمين السامي ومن ارق شعره واسمائه
قوله في وداع غرناطة على لسان آخر ملوكها ابي عبد الله الصغير :

أطل للمليك غداة الجلاء	على مجده والاماني النور
وراح يقلب في افقه الحية	ب مجوناً تسيل الدرر
فراق ولا كفراق الشباب	وشجو يذوب لديه الحجر
يمد الى الدار كف الوداع	ويبكي فتبكي عليه الزمر
ليالٍ نقضت عليها النعم	يرف رفيف الخزامي سحر
وشوق مقيم اليها واني	تعود اصائلها والبكر
هنا السرور فوق قبور الجدود	وتبدو هناك مغاني السر
وشذيل يجري حزين الخريف	كان الزمان به قد أضر
على خفتيه جنان الخلود	وفي حاتيه نعيم النظر
غياض تضرع ريحانها	وأزهر فيها ضياء القمر
عجبت لقلبي كيف اتنى	معي ولعقلي كيف استقر
امنت الزمان وحدثانه	فغاز العدو وأعيا الظفر
فلا تحقرن عدواً رماك	وإن كان في ساعديه قصر

ومن شعره الرقيق قوله في الناعورة وانينها ، وقد تفتن في ذلك كثيراً . وله
شعر قوي ينطق بما لعمر من متانة في عقيدته الوطنية وليس ادل على ذلك من
قصيدته في فيصل وصالح قنباز ونكبة فلسطين .

اسعد طلس

مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق

النسبة ١٣٣٩ هـ الموافقة ١٩٢١ م

تشر في دمشق مرة في الشهر

أيلول وتشرين الأول سنة ١٩٣٧ م

جمادى الثانية ورجب سنة ١٣٥٦ هـ

دمشق :

المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي { في سورية ولبنان ١٥٠ قرشاً سورياً
الدفع مقدماً { وفي جميع الاقطار ٤٠ فرنكاً

مجاميع المجلة عن السنين الماضية

من السنة الاولى ، ثمن السادسة الى كل سنة منها في الداخل ٢٥٠

السابعة الى الثانية عشرة ٢٠٠

الاولى الى السادسة في الخارج ٤٠٠

السابعة الى الثالثة عشرة ٢٢٥

كتاب الورقة

تأليف محمد بن داود بن الجراح^(١)

الكاتب للتوفي سنة ٢٩٦ للهجرة

صاحب الورقة . — محمد بن داود بن الجراح وبكنى أبا عبد الله من أسرة أدب وصياحة ، فقد كان والده داود بن الجراح يكتب للمستعين وله من الكتب : كتاب التاريخ وأخبار الزمان وكتاب الرسائل ، وكانت ابن أخيه علي بن عيسى بن داود على ما يذكره^(٢) ابن النديم بمنزلة من الرياسة يجمل وصفها ، ومن الصناعة والفقه بما هو أشهر وأظهر ، ووزير للمقتدر ثلاث دفنات .

أما محمد بن داود فقد وُزر لعبد الله بن المعتز في يوم خلافة ، وكان عالماً قد لقي الناس ، وأخذ عن العلماء والنصحاء والشعراء ، واتسع اطلاعه على أيام الناس وأخبارهم ودول الملوك وله في ذلك مصنفات ، وكتب بخطه ما لا يحصى كثرة ، وجميع ما يقع بخطه قد قرأه وأصلحه .

مصره . — قال ابن النديم : وظهر بعد فتنة ابن المنيذر إلى مؤنس الخادم

(١) انظر ترجمته في فوات الوفيات لابن شاكر الكندي طبع مصر ٢٠٢ : ٢ ، والفهرست لابن النديم طبع لايبسغ ص ١٢٨ وطبع الرحمانية بمصر ص ١٨٥ ، والكامل لابن الاثير ج ٨ ص ٣٥٦ و٦٥٧ في سنة ٢٩٦ هجرية .

(٢) الفهرست طبع لايبسغ ص ١٢٨ ، طبع مصر ص ١٨٥

وكان له قدم في أمره ، وخافه أبو الحسن بن الفرات فأشار بقتله فقتل ؛
وقال أبو عمرو محمد بن يوسف القاضي ^(١) : لما جرت واقعة ابن المعتز حبست
أنا وابن المثني ومحمد بن داود الجراح ، فكنا في دار في ثلاثة بيوت متلاصقات
وبيني في الوسط ، وإذا أجمعنا الليل تحدثنا من وراء الجدار وأقضي بعضنا الى
بعض ، فلما كان في بعض الليالي دخل اناس بشموع الى بيت محمد بن داود
وأخرجوه وأضجوه للذبح ، فقال يا قوم ذبحنا كالشاة ، أين المصادرات ، أين
أنتم من الأموال ، أنا أقدي نفسي بكذا وكذا ، فلم يسمعوا منه وذبحوه
وأخذوا رأسه والقوه في البئر ، ثم أخرجوا ابن المثني بعد ما ذهبوا وعادوا ،
وقالوا : يا عدو الله يقول لك أمير المؤمنين : سم استحللت نكث يعني ؟ فقال
لعلمي أنه لا يصلح ، فذبحوه وأخذوا رأسه ، وألقوا جثته في البئر ، ومضوا
وعادوا وأخرجوني وقالوا : يقول لك أمير المؤمنين : يا فاعل ، ما الذي حملك
على نكث يعني ؟ قلت : لشقاوتي وقد أخطأت وأنا تائب الى الله تعالى ،
فحملوني الى دار الخلافة ، وابن الفرات جالس ، فوبخني فتصلت واعتذرت ،
فقالوا : وهب لك أمير المؤمنين ذنبك ، واشتريت دمك وجرمك بمائة ألف
دينار ، فقلت : والله ما رأيت بعفها مجتمعا قط ، فغمرني الوزير فأدبت البعض
وسوعت بالباقي ، وكانت وفاة ابن الجراح سنة ست وتسعين ومائتين للهجرة

شعره ٠٠ — ولابن الجراح شعر يدل على صحة طبع وتشاؤم نفس ، ولم
نظفر من شعره القليل بما يكفي للحكم الصادق عليه فمنه قوله :

قد ذهب الناس فلاناس^١ وصار بعد الطمع الياس^٢
وسامن أمر القوم أدنام^٣ وصار تحت الذنب الراس^٤

وقوله :

أعين أخي لو صاحي في مصابه أقوم له يوم الحفاظ وأقصد^١
ومن يفرد الأقوام فيما ينوبهم تبتته الليالي مرة وهو مفرد^٢

كتاب الورقة ٠ — والمترجم مصنفات ممتعة حجة منها كتاب الشعر والشعراء

(١) وفاة الوفيات ٢ : ٢٠٢ .

لطيف ، وكتاب من ممي عمراً في الجاهلية والاسلام ، وكتاب الوزراء ، ولم نعتز منها على غير كتاب الورقة ، قال الكتي في فواته : « سماه بذلك لأنه في أخبار الشعراء ، ولا يزيد في خبر الشاعر الواحد على ورقة ، ولهذا ممي الصولي كتابه في أخبار الوزراء بالأوراق لأنه أطال في أخبار كل واحد بأوراق » .

إن التسمية بالورقة أو الأوراق وتخصيصها بنوع خاص من التأليف يدل على مبلغ التفنن في التصنيف في العصر العباسي ، والحضارة اذا استبحرت سبغ أمة كثر فيها التفنن واختراع ما لم يكن معهوداً من قبل ، وهذه التسمية بالورقة بذكرنا بلفظة الوريقة Feuilleton في اللغة الفرنسية ، وهي تطلق على مقالة في الادب أو العلم أو النقد أو على رواية تظهر تباعاً في إحدى الجرائد وتنتشر ابداً في موضع خاص بها ، وأكثر ما يكون ذلك في أسفل الصفحة من الجريدة .

ولقد أصبح كتاب الورقة لندرته في حكم المفقود ، وبلغنا أنه لا توجد منه نسخة قديمة الا في دار الكتب في طهران ، ثم علمنا أن لدى صديقنا السيد أحمد الصافي النجفي نسخة مخطوطة من كتاب الورقة ، فبادرت الى زيارته مع صديقنا السيد عبد العزيز الميمني ، فألفيناها بخط جميل على ورق صقيل ، وتشتمل على ترجمة خمسة وستين شاعراً منهم خمسة وعشرون ورد ذكرهم في الاغاني والوفيات وأمثالها من كتب التراجم ، والباقيون اربعون شاعراً ليس لهم على أغلب الظن ذكر في هذه المظان .

وقد رأينا أن تنشر ترجمة الأصمعي من كتاب الورقة لتكون مثالا لسائر تراجمه ، وفيها من شر الأصمعي ما لم نظفر به في المخطوطات والمطبوعات التي عرفناها ، وهذه الترجمة ، كما يرى القارئ ، في نحو ورقة أي صحيفة ذات صفحتين ، وهو السبب الذي من أجله سمى ابن الجراح مؤلفه اللطيف بكتاب الورقة كما نقله الكتي في فواته إلينا :

الأصمعي

عبد الملك بن قُريب الباهلي ، ويكنى أبا سعيد البصري ، راوية للشعر والغريب ، موثوق به في الحديث ، روى عنه يحيى بن معين فأكثر ، وصحب الرشيد وأعطاه مالا جزيلا وخص به ، وله أشعار جياذ وأراجيز ، ومن قوله في إسحق بن إبراهيم الموصلي :

إذا تفتيت للشرب الكرام ألا بحث الخليل جمال الحي فانطلقوا
وقيل : أحسنت فاستدعائك ذلك إلى « باقلب ويحك لا يذهب بك الحزن »
وقيل أنت حسان الناس كلهم وابن الحسان فقد يروا وقد صدقوا
فما بهذا تقوم النادبات ولا تبكي عليك إذا ما ضمك الحزن^(١)
وكان الشعر سهلا عليه لو لا على لسانه^(٢) ، وفيه يقول عبد الصمد بن المزدل :
لن تلبسوا منطقي بمشكله الا عن الاصمعي أو خلف
يريد خلف الأحمر ، قال أحمد بن القمام بن يوسف الكاتب عن عمه
علي بن يوسف بن العباس عن الأخنف أنه أنشد الرشيد أبياته التي يقول فيها :

إذا ما شئت ان تبصر شيئا يعجب الناس
فصور ههنا فوزاً وصور ثم عباسا
وقس بينهما شبراً وإث زاد فلا باسا
فأث لم يدنوا حتى ترى رأسيهما راسا
فكذبها وكذبه بما قاست وما قامي
قال فاستحسنها الرشيد وقال : هل سبقك إلى هذا المعنى أحد ؟ فقال :
علي بالاصمعي وسأله : هل تعرف شيئا منه ؟ قال : كثير ، ولكن حاقن :

(١) لغة في الحزن يسكون التون وفتح الحاء أو جمع حزنات ، أو تكون (الحزن)

جمع حزن

(٢) كذا ، ولعل الأصل لو لا ثقل علي لسانه أو حبة

واعجلني الرسول عن البول ، فخرج ثم رجع وقد صنع أياتا مثلها على الراء
وعلى القاف ، قال فيها :

يعجب الخلق ، يعجب البشر ، وأتمها على هذا ، وزعم انه سمعها مذمور
فخجلت وانصرفت محزوناً ، فقلت له لما خرجت : سألتك بالله ، الست انت
صنعتها ؟ قال : بلى ، وانت أيضاً فعاد الرجال ! وكتب الي الكراني أنشدني
عبد الرحمن ابن اخي الاصمعي لعمه أرجوزة طريفة اولها :

ياربّ خود من بنات الاحرار من آل كسرى في ذرى الزند الوار
بستن في مفرقها مك النار كأنها من جسد في الاعطار
وزعفران شرق بالابصار عدا على لبانها عرق صار
يموت فيها فيشر كالطومار مستغنيا عن عمرات العطار
وهي نيف وخمسون بيتاً ، قال ابو هفان : ليس في وصف وقع شيء على
شيء احسن من قول الاصمعي :

كأنما وقع أفلام الرجال بها حسن الطراف بوقع للمسبل الساري
وهذا بقوله في قصيدته التي يرثي بها مفيان بن عيينة أنشدنيها ابن فهم
عن الاصمعي ، ومن قول الاصمعي في الحية :

أرفش أن أسبط أو تثني حسبت ورماً خالط اليرثا^(١)
خالطه من هنا وهذا اذا تراءى الهداء أستنا

التوضي

(١) اليرثاء واليرثاء واليرثاء : الحناء ، وقيل : إذا قلت اليرثاء بفتح الياء
همزت لاغير ، وإذا ضممت جاز الهمز وتركه .

عدي بن الرقاع العاملي

٢

شعره

عاصر عدي بن الرقاع سبعة خلفاء من بني أمية وكان مقدماً عندهم لأن مذهبه السيامي أموي ولا عمل له غير الشعر وقد حدث في زمانهم من الأحداث ما يبعث الشعر في نفس عدي فمن المفروض أن يكون قال كثيراً من الشعر وقد ذكر له ابن النديم في كتاب الفهرست دهباً . ولكن الزمان لم يبق من شعره إلا مقداراً يسيراً مشتتاً في كتب اللغة والأدب والتاريخ وتقوم البلدان من ذلك أبيات قالها في الوقعة التي ظفر بها عبد الملك بن مروان وانتهت بقتل مصعب بن الزبير وقصيدتان مدح بهما الوليد بن عبد الملك سبقت الإشارة إليهما وأبيات مدح بها عمر بن الوليد ومقطوعات في معاني مختلفة كالوصف والغزل والأدب والفخر والمدح والمجاء والتهنئة وكلها لا تبلغ ثلاثمائة بيت وهو مقدار يسير لا يعطينا عن الشاعر صورة تامة واضحة ولكننا نحاول أن ندرس هذه البقية من شعره إلى أن يجود الزمان بشيء مما نحن به علينا

عدي ابن الرقاع شاعر إسلامي والشعراء الإسلاميون عامة كالفرزدق

وجريرو والأخطل وكثير وجيل والراعي ونصيب والقطامي ، وعدي واحد منهم أعذب لغة وأحسن ديباجة وأكثر طلاوة من شعراء الجاهلية وذلك لتأثرهم بلغة القرآن وحسن انسجامه وسمو أسلوبه دع ما اتسح أمامهم من ميادين الحياة الإسلامية في مثلها العليا من دين وملك لم يكونا في أيام الجاهلية .
وربما كان عدي من أكثر هؤلاء الشعراء انسجاماً وثقيفاً لشعره وتهذيباً لقوافيه وهو الذي يخبرنا كيف كان يحبر قصائده ويضقلها ويعود عليها بالتهذيب إذ يقول :

وقصيدة قد بت أجمع بينها حتى أقوم ميلها وسنادها
نظر للثقف في كعوب قتانه حتى يقيم ثقافته مينادها
وهو في فنه صانع ماهر لا يكره الشعر إكراها ولا يقتسر القوافي غمها
ولقد أتبع له من بارع الأبيات في انسجامها ما ذهب مثلاً كقوله :
على الأله على امري ودعته . وأتم نعمته عليه وزادها
فلقد صار عجز هذا البيت رسماً من رسوم الكتاب في رسائهم قال أبو
هلال العسكري في ديوان المعاني في فصل دواء المكتبة : (فأما قولهم وأتم
نعمته عليه وزاد في إحسانه إليه) فهو من قول عدي بن الرقاع :
على الأله الخ
وكقوله :

فلو قبل بكاهم بكيت صباة بسعدى شفت النفس قبل التندم
ولكن بكيت قبل فبيج لي البكا بكاهم فقلت الفضل للمقدم
وكم تبذل الناس بهذين اليتين

قالوا إن عدياً من حاضرة الشعراء لا من باديتهم وإنه كان أثيراً مقدماً عند بني أمية ومعنى ذلك أنه من دواة سياستهم لا من الشعراء الذين يبيعون الشعر

بِعَا . فهل لذلك أثر في شعره ؟ نعم ان اطراد شعره وتساوق أبياته وتلاحم وتهذيب قوافيه وحسن صياغته وما في تشبيهاته من معان حضرية وفي قصائد من ماء وظل ونعيم كقوله:

فقد أبيت أراعي الخود راقدةً على الوسائد مسروراً بها ولما

وقوله :

وما شجاني أنني كنت نائماً أعلل من جرد الكرى بالتنسم
الى أن بكت ورقاء في غصن أبكة تردد مبكها بحسن الترنم
أثر من آثار نعيم العيش ورفاهته فان شعراء البادية يتوسدون في باديتهم
أعضاء المطايا وعدي يراعي الخود على الوسائد ويعمل في ظلال الأيك بدمشق
بنوم هنيء تترنم من فوقه الحمام .

على أن حسن تأنيده في مدحه لبني أمية خلفائهم وامرائهم أدل على لباقة
وتحضره فهو شاعر مجيد من شعراء القصور يحسن القيام برسوم الخلفاء والامراء
في مخاطبتهم على الوجه الأكمل ويمدحهم بما هو أشبه بالدعاية السياسية ويضفي
عليهم رداء الجلال والعظمة فاسمعه يقول في مدح الوليد بن عبد الملك :

صلى الذي الصلوات الطيبات له والمؤمنون إذا ما جمعوا الجمعا
على الذي سبق الافوام ضاحية بالاجر والحمد حتى صاحبا معا
هو الذي جمع الرحمن أمته على يديه وكانوا قبله شيما
عذنا بذى العرش أن نحيا ونفقده وان نكون لراع بعده تبعا
إنت الوليد أمير المؤمنين له ملك عليه أعان الله فارثنا
ويقول في مدحه أيضاً :

صلى الإله على امري ودعته وأنتم نعمته عليه وزادها
أو لا ترى أن البرية كلها ألفت خرائثها اليه تقادها
ولقد أراد الله إذ ولاكها من أمة إصلاحها ورشادها
أعمرت أرض المسلمين فأقبلت وكففت عنها من يروم فسادها
وأصبت في أرض العدو مصيبة عمت أقاصي غورها ونجادها

ظفراً ونصراً ما تناول مثله أحد من الخلفاء كان أرادها
 فإذا نشرت له الشئاء وجدته جمع للكارم طرفها وتلاذها
 تأتيه أسلاب الاعزة عنوة قسراً ويجمع للحروب عتادها
 فهل ترى غمّاً أليق بمخاطبة الخلفاء من هذا النمط تحية الخليفة بالصلاة
 عليه وتعظيم للاسـر المضطلع به وإشادة بعظائم أعماله في سبيل الامة وإخلاص
 في محبته وتأيد للملكة وعرشه بل كيف ترى الفرق بين هذا الاسلوب الحضري
 وبين أسلوب بعض بادية الشعراء الذين اعتادوا أن يصفوا المدوح بالحية الذكر
 ويمدحوه بتأريث النيران وعظم القدور ونحر الجزور ودعوة الجفلى والتداء على
 الطعام وكثرة الهبات أو أن يصفوا عناء سفرهم إلى الخليفة وما لاقوه من المشاق
 ومأم عليه وعبائهم الذين خلفوهم وراءهم من الفاقة ليزيد الخليفة في رفدهم .
 هذا جرير أطبع أهل زمانه على الشعر لم يستقم له في مدح الخلفاء ذلك
 الاسلوب الذي استقام لعدي فانه في مدحه لعمر بن عبد العزيز أشبه بالمستجدي
 منه بالشاعر قال :

إنا نرجو إذا ما الغيث أخلفنا من الخليفة ما نرجو من المطر
 أذكر الجهد والبلوى التي تزلت أم قد كفاني الذي بلغت من خبري
 كم بالواسم من شعثاء أرملة ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر
 يدعوك دعوة ملهوف كأن به مساً من الجن أو خيلاً من البشر
 بمن بعدك تكفي فقد والده كالفرخ في العش لم يدرج ولم يطر
 خليفة الله ما ذا تأمرؤن بنا لنا اليكم ولا في دار منتظر
 لتتبع اليوم ريشي ثم تنهضني وتنزل اليسر مني موضع العسر
 وما ذلك الا لبداوة جزير وبعده عن حياة الحاضرة على أنه بحر لا
 ساحل له .

ولعدي أيضاً أبيات يمدح بها أحد أمراء بني أمية وهو عمر بن الوليد بن
 عبد الملك تدل على لباقة وحسن تأت لو قالها أحد شعراء القصور في هذه الأيام
 لأنثارت إعجاب الناس لما فيها من حذق ولباقة وهي :

وإذا نظرت إلى أميري زادني خفا به نظري إلى الأسراء
تسمر الميون إليه حين يرويه كالبدور فرج بهجة الظلاء
والقوم أشباه وبين خلوتهم بون كذاك تفاضل الأشياء
كالوق منه وابل متابع جود وآخر ما يجود بهاء
والأصل يثبت فرعه متأنلا والكف ليس جانها بسواء
بل مارأيت جبال أرض تستوي فيما غشيت ولا نجوم سما
ولله بورت مجده أبنائه ويموت آخر وهو في الأحياء

وفي شعر عدي غدا النعومة الحضرية مفردات ومعان تدل على الحضارة
كذكر الكتاب والقلم والدواة والبريد والشجار كقوله :
ترجي اغن كأن أمة روقه قلم أصاب من الدواة مدادها
وكقوله :

لمن رسم دار كالكتاب المنعم بمنعرج الوادي فوق للهمز

وقوله :

وتحن بأرض قل ما يحشم السرى بها الغريبات الحسات الحرائر
كثير بها الأعداء تحسر دونها يريد الأمام المستحث القار

وقوله :

مستطير كأنه مابري عند حجر منشور وملاء :

على أن أثر البادية ظاهر جلي في شعره أيضاً فأتى تدرك به روح البادية كما
تبصر أفياء الحاضرة قراء يصف المطايا والمقارز وما فيها من أغلام طامسة
وأطلال دارسة ووحوش رائعة ولكنه ينتزع لما تشبهات مما شاهده في الحاضرة
بجنانة رصف وقوة أمر وجرأة تركيب ولعل عدم انقطاعه عن البادية هو الذي
كفل لشعره السلامة مما يمتري كثيراً ممن شعراء الحواضر وينسخه النقاد بالين
ويعنون به الرقة التي تنفي إلى الاستفاف ونجد هذا الين في شعر عدي بن زيد

العبادي وأمية بن أبي الصلت وابن قيس الرقيات والوليد بن يزيد وكلهم حضريون .

وهكذا نشعر عدي بما فيه من روح البادية ورونتي الحاضرة عربي في جزالته ورصنه وخياله ومعانيه وتفكيره ونظراته لا تجد فيه أثراً من ثقافة أجنبية شأن جميع الشعراء الاسلاميين لان الحياة بجميع مظاهرها أيام بني أمية كانت عربية إسلامية .

لقد أحسن عدي في الوصف فإنه وصف الطيف والغيث والبرق والليل والنحر والمطايا والظباء والوحوش في حر كائنها وما تشبهه من الغبار في عدوها . قال صاحب الاغانى قال عبد الله بن مسلم : « وما يتفرد به (عدي) وبقدم فيه وصف المطية فإنه كان من أوصف الشعراء لها » قال في الخيل :

يخرجن من فرجات النقع دامية كأن آذانها أطراف أقلام
وقال ابن قتيبة : عدي أحسن من وصف الغليظة وولدها .
وقال جرير : سمعت عدي بن الرقاع ينشد الوليد بن عبد الملك قصيدته التي أولها :

عرفت الديار توهماً فاعتادها
فحسنته على آيات منها حتى أنشد في صفة الغليظة والغزال
تزجي اغن كأنك ابوة روقه
فرحمته من هذا التشبيه وقلت بأي شيء يشبه ترى فلما قال :
فلم أحاب من الدواة مدادها
رحمت نفسي منه وحالت الرحمة حسداً .
قال أبو هلال العسكري في ديوان المعاني : (واما قول عدي في صفة
قرون الظبي فليس له شبهه)
ولم يقل أحد كما قال عدي يصف حماري الوحش في عدوها وما يشبهانه
من الغبار :

يتعاوران من الغبار ملاءة غرباء محكة هما نسجاها
تطوى إذا علوا مكانا جاسيا وإذا السنايك اسهلت نشرها
والى ذلك أشار أبو تمام الطائي بقوله :

تثير عجاجة في كل ارض يهيم بها عدي بن الرقاع
وقال ابو هلال العسكري في ديهان المعاني بعد أن أورد بيتي عدي :
(لا اعرف في صفة الغبار أحسن ولا أتم من هذا)

وعدي في غزله محسن رقيق عذب يغلب عليه الوصف الدقيق في المعاني
الغزلية ، من ذلك وصف تفتير العينين ولم يقل أحد مثله . قال نوح بن جرير
يا أبت من أنسب الشعراء ؟ قال أمتني ما قلت قال إني لست أريد من شعرك
لما أريد من شعر غيرك قال ابن الرقاع في قوله :

لولا الحياء وإن رأسي قد عسا فيه للشيب لزرت أم القاسم
وكأنها بين النساء أعارها عينيه أحور من جآذر جاسم
وسنان أقصده النعاس فرنقت في عينه منة وليس بتائم

ثم قال لي ما كان يبالي ان لم يقل بعدها شيئا .

وهذه الايات مما يتغنى به . قال محمد بن عباد كنت عند أبي عمرو وعنده
رجل أعرابي كأنه مدني فقرأت عليه ايات عدي : (لولا الحياء وإن رأسي
قد عسا) فقال ابو عمرو أحسن والله فقال الاعرابي أما والله لو رأيته مشبوحا بين
اربعة وقضبان الدنلى تأخذه لكنت له أشد استحسانا يعني إذا كانت يغني
على العود .

قال القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني في كتاب الوساطة :
« واما قول عدي (وسنان ٠٠٠) فقد زاد به على كل من تقدم وسبق بفضل
جميع من تأخر ولو قلت اقتطع هذا المعنى فصار له وحظر على الشعراء ادعاء
البشرك فيه لما اراني بعدت عن الحق ولا جانبتي الصديق »

وقال ابو هلال العسكري في ديوان المعاني : قال ابو عمرو لاصحابه ما
أحسن ما قيل في العيون ؟ قال بعضهم قول جرير

ان العيون التي في طرفها حور قتلنا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به ومن أضف خلق الله أركاناً
وقال آخر قول ذي الرمة :

وعينان قال الله كونا فكأننا فعولان بالالباب ما نفعل الخمر
وقال آخر بل قوله

بذكرني ميأ من الظي عينه سارراً وفاها الاقحوان المنور
فقال أبو عمرو أحسن من هذا كله قول عدي بن الرقاع العاملي :
وكأنها بين النساء أعارها عينه أحور من جاذر جامم
وسنان أقصده الناس فرقت في عينه سنة وليس بنائم
ومن غزله العذب قوله :

صادتك أخت بني لؤي إذ رمت وأصاب سهمك إذ رمت سواها
وأعارها الحدائق منك مودة واعيد غيرةك ودها وهواها
يضاء تستلب الرجال عقولهم عظمت روادفها ودق حشاها
يا شوق ما بك يوم بان حدودهم من ذي الموبقع بغدوة فراها
وقوله :

وبه شوقي بعد ما كان نائماً هتوف الدجى مشغوفة بالترنم
بك شجوه عند الضحى فتساجمت اليها دموع العين من كل مسجم
فلو قبل مبكها بكيت صباةً بسعدى شفيت النفس قبل التندم
ولكن بكيت قبل فتهيج لي البكا بكها فقلت الفضل للتحقدم
وله نظرات في الادب والحكمة تغلب عليها السذاجة العربية زين بها بعض
قصائده في مناسبات شتى كالآيات التي مدح بها عمر بن الوليد بن عبد الملك
وقد سبق ايرادها وغيرها كقوله :

آخر النفس انما الناس كالعبدان من بين ثابت وهشم

وقوله :

واللهم بفرق بين كل جماعة وبالف بين تباعد وتناه

وقوله :

والله ليس وان طالت معيشته يرى الذي هو لاق قبل ان يقما

وقوله :

إني إذا ما لم تصلي خلتي وتباعدت عني اغتفرت بماذا
ومن المعاني التي نظم بها عدي التهته وهو معنى لم نقل الجاهلية فيه قال
يحيى عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك حين تزوج :-
قمر السماء وشمسها اجتماعاً بالسعد ما غابا وما طلعا
ما وارت الاستار مثلهما فيمن رأيتاه ومن جمعا
دام السرور له بها ولها ونهنا طول الحياة معا

أثر الشام في شعر عدي

الشعر العربي ابن البادية تعبق منه رائحة الشيخ والقيصوم في بوادي الحجاز ونجد
وهضاب اليمن وظلال الشام وشواطئ دجلة وسقي الفرات ، والشاعر العربي لعهد
عدي يعتد روح البادية عمود الشعر وقوامه ولكن بالرغم من ذلك فإن أثر الشام
واضح جلي في شعر عدي فلقد ذكر مدنها وحواضرها وقراها وروبعها ورياضها
وظلالها وأنهارها ومياها وجبالها وباديتها كما ذكر آرامها ووحوشها وطيورها مثل
حمض وخناصرة والاحص وجاسم والمرج والمناظر والازرق واعامق وفلسطين وبيت
رأس والأردن والفرينة وغيرها وطبيعة الشام للنسجمة الساحرة في أرضها وسائها وما
في دمشق يومئذ من جلال الخلافة وعظمة الملك أوحى إلى عدي كثيراً من ذلك
الانسجام واللباقة والتشويق في شعره حتى صار يعتد ذلك فناً خاصاً بالشاميين لا يحيد
غيرهم ولذلك كان عدي ينتقد كثير عزة ويغمره في طعن على شعره ويقول -

(هذا شعر مجازي مقرور إذا أصابه قر الشام جمد وهلك) وهكذا فمدية فخور
بريسته وشاميته معترف بما توحيه طبيعة الشام الساحرة الى الشاعر العربي حتى يرى نفسه
فوق شعراء العربية .

ولقد وجد عدي في بادية الشام مجالا لرياضة الشعر على النحو الجاهلي في بوادي
نجد والحجاز فاعتسف مفازها ووقف على الرسوم وبكى الاطلال ووصف الآل
وحن إلى آكامها وداراتها وربوعها وشيب بغزلاتها واحتاج للمع بروقها .

وهذه أمثلة من شعره يلوح عليها الطابع الشامي :

منعوا الثغرة التي بين حمص	والكهانين ليس فيها عريب
وإذا الربيع تتابعت أنواؤه	فستى خناصرة الاحص فجادها
وكأنها بين النساء أعارها	عينيه أحور من جآذر جاسم

والغريب أن القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني صاحب كتاب الوساطة على
نفوذ بصره وصحة أحكامه في النقد أناء فهم هذا البيت فظن أن ذكر جاسم من حشو
الكلام لا فائدة في ذكره فقال بعد أن قرظ البيت « وقد رأيت ظباء جاسم فلم أرها
إلا كغيرها من الظباء وقد يختلف خلق الظباء وألوانها باختلاف المنشأ والمرتع وأما
العيون فنقل أن يختلف لذلك » وفاته أن عدياً شامي وجاسم من قرى الشام فلجأذرها
منزل في قلبه لا يحتله غيرها .

ومن شعره المطبوع بالطابع الشامي :

فكأنني من ذكركم خالطني	من فلسطين جالس خمر عقار
عنت في الدنان من بيت راس	سنوات وما سببتها التجار

وقوله :

حتى وردن من الازرق نهلا وله على آثارهن حبل

وقوله

فذر ذاوا لکن هل ترى ضوء بارق	وميضاً ترى منه على بعده لمعا
تصعد في ذات الارانب موهنا	إذا هز رعدا خلت في ودقه شغفا

الى ما يشابه هذه الايات في شعره . وهناك ايات يلم فيها بالاحداث السياسية التي
جرت في الشام كوقعة مرج راحط التي كانت بين مروان بن الحكم والضحاك بن قيس
سنة أربع وستين وما كان من بلاء أهل الأردن الحسن مع مروان حتى قتل الضحاك
وتم الأمر مروان قال :

لولا الأمل وأهل الأردن اقتُسمت نار الجماعة يوم المرج نيرانا
وكانت صار مسلحة بن عبد الملك على الروم سنة سبع وثمانين عند طوانة قال :
وكان أمرك من أهل الطوانة من نصر الذي فوقنا والله أعطانا
أمرأ شددت بأذن الله عقده فزاد في ديننا خيرا ودنيانا
بنعم خليل مروم بك



المعجمية العربية

في ضوء الثنائية والألفية السامية

(تابع للمقال السابق)

La lexicologie arabe à la lumière
du bilittéralisme et de la philologie sémitique

٩ (صَلَّى صَلَاةً

حسب قواعد الاعلال في العربية ، أصل صلاة ، صَاوَة وزان فعلة ، قلبت واوها الفاء لتحركها واقتتاح ما قبلها . « صلاة » اسم من الفعل الثلاثي المجرد الوارد ناقصاً ، واوياً أو يائياً ، بالمعاني المضاربة التالية .

العربية

صَلَّى (يصلي) اللحم : شواه ، و - القاء في النار للاحراق ، و - فلانا : خدعه ،
و - زبداء النار ، وفيها : أدخله إياها ، واثواه فيها ، و - الطير :
نصب له الشرك ، و - لفلان في أمر : أوقفه فيه ليهلكه .
صَلَّى النار ، وبها : قاسى حرها ، و - الأمر ، وبه ، عانى شدته ، وصليت
الناقة : وقع ولدها في صلاها ، و - استرخى صلاها لقرب نتائجها .
صَلَّى عصاه على النار : لينها وقومها ، و - يده : سخنها ، و - الشيء القاء في
النار ليحترق ، و - اللحم : احرقه ، و - الرجل الشيء : لزمه .

- تصلي النار، قاساها، و- امتدفا .
 الصلاة النار، و- الوقود .
 الصلاة النار، و- الوقود، و- الشواء .

- صلا صلاه : اصاب صلاه .
 صلى الفرس، نصليبة : اذا جاء مصليا، وهو الذي يتلو السابق، لان رأسه عند
 صلاه، و- الحمار، اتته : طردها وقحمها الطريق، و- الله على رسوله :
 بارك عليه وأحسن الثناء عليه، و- الظمير : ضرب صلاه، أو أصابه،
 و- الرجل : دعا وأقام الصلاة .
 الصلاة مصدر، و- وسط الظهر من الناس والبهائم، و- ما انحدر من
 الوركين .
 الصلاة الدعاء : و- الرحمة، و- الاستغفار، و- حسن الثناء من الله، و-
 عبادة فيها ركوع وسجود، و- احدى الصلوات المفروضة .

السريانية :

- slā , slī مال، انعوج، زاغ، نزل، حل، اتجه، صلى، نصب شركا، عوج،
 حذر، وجه، قوم .
 Salli صلى، بارك، نضرع، صلى، أمال، أحنى، أصلح، رد احداً إلى
 منصبه .
 Slayyā ميل، انحراف، انحناء، منحدر .
 slō, slōtā صلاة .

العبرية :

- Salah شوى
 su مشوي

على أن هذه الثلاثيات الناقصة صادرة عن الثنائيات التالية : وبها يتسنى تنسيق المعاني المتضاربة .

العربية :

صَلَّ ، صَلَّ اتنن اللحم ، أجن الماء ، و - ييس للمي من العداش ؛ و - ييس
السقاء ، و - صوت ، و - صني .
الصَّلَاة المطرة الواسعة والمتفرقة ؛ و - التراب الندي ؛ و - انقطعة من العشب ؛
و - الارض اليابسة ؛ و - الجلد اليابس قبل الدباغ ؛ و - النعل ، و -
صوت المسار .
صَلَّ صَلَّ صوت ؛ و - أوعد وتهدد .

السريانية :

صَلَّ ، طَنْ ، دوى . Sal «a»
صَلَّ ، تقي ، صني ، راق ، صفا . Sal «0»
صَلَّ ، نظف ، صلصل ، صوت ، رن . Saloal
صليل ، طنين ، ولولة ، عويل ، صفاوة . Slalta
جمرة منقعة . Slolita
صَلَّة ، جلد يابس . Salā

العبرية :

طَنْ ، رن ، دوى ، خفق ، ارتد ، صفا ، راق . سقط ، غطس Salal
غرف .
صوت ، طنين Silsol
صوت ، طنين Salsal

ثعليل وتنسيق صل

(١) أول ما دل عليه هذا الحرف انما هو الحرارة ، وهو ظاهر في معاني «صل»
ومزيداتها ، وهذه هي :

صل	:	شوى اللحم ، أي حماه أو ألقاه في النار للاحراق .
صل	:	يده أي سخنها .
صلى	:	النار؛ قامى حرما .
تصلى	:	بمعنى صلي .
اصطلى	:	استدفأ أي حمى .
الصلى	:	النار ، الوقود ، أي المحروق بالنار .
الصلا	:	النار ، الوقود ، الشواء .

وكذا الحال في العبرية . فان Salah يدل على شوى ، Sli مشوي . أما السريانية
فلا أثر فيها لهذا المعنى ، الا في كلمة Slolita جرة منقذة . ومن باب المجاز ، جاء
«صل» بمعنى الخديعة ، ونصب الشرك ، والالقاء في التهلكة . وكذا في السريانية
Sla نصب الشرك . ثم بالمعنى المجازي جاء أيضاً «صل» بمعنى الليونة ، لان النار
تلين وتذوب . ثم بمعنى الملازمة ، لان الحرارة ، إذا تغلغلت في شيء ، لازمته ، أو لا
اقل من أن تبطل في مفارقتها .

(٢) إن المواد القابلة للتخمر ، ومن ثم التثانة ، يتولد ذلك فيها بقوة الحرارة ، ولذا
نرى «صل» بمعنى اتن اللحم ، وأجن الماء . و «الصامة» الجلد المتن .

(٣) إن الحرارة ، إذا دخلت في شيء مبلول أو رطب ، جردته من الرطوبة إلى
حد أن تيبسه ، فلذا ورد الثاني (صل) بمعنى اليبوسة . من ذلك : صلت الإبل :
يبست أمعاؤها من العطش . وصل السقاء : يبس . الصلة : الجلد اليابس قبل الدباغ .

و- النمل ، وهو الجلد اليابس ، و- الأرض اليابسة ، وفي السريانية أثر لهذا المدلول في كلمة Sala : صَلاة ، أو جلد يابس .

(٤) على أن الجلود وغيرها من المواد التي تيبس بفعل الحرارة ، أو التي هي من طبيعتها يابسة ، من شأنها أن تصوت ، لهذا نشأ للمعنى الثالث للتثاني « صل » صوت . وصلت . أمعاء . الأربل : إذا تيبست من العطش فصوتت . من ذلك أيضاً : صلصل : صوت . والصلة . صوت المسار واللجام . وفي السريانية . Sal : صل . طن . رن . Salsal . صلصل . و Slolta . صليل ، طنين . وفي العبرية Salal : دوى ، طن . و Salsal . صوت ، طن ، و Salsal : صوت ، طنين .

ثم من ذلك المعاني المجازية في العربية : صل : أوعد ، تهدد ، لان الوعيد يجري عادة بالصوت العالي أي الصراخ . وفي العبرية salal : خفق ، ارتعد . وفي السريانية slalta : ولولة ، عويل .

(٥) إن الحرارة إذا تيبست الشيء ، انفرت منه المواد الفاسدة ، فيضحي صافياً رائقاً . من ذلك وردت للدلالات التالية ، في العربية صل صني . وفي السريانية sal : صني ، قى ، نظف ، راق ، صفا ، وفي العبرية salal : صفا ، راق .

(٦) ان انقراز الشيء من الشيء ينجم عنه الخروج ومن الخروج الاتجاه أو الميل أو الانحراف ، ومن هذا جاءت للمعاني الآتية : في السريانية sla : اتجه ، مال ، وجه ، عوج . و salli : أمال ، احنى ، رد الرجل الى منصبه ، أصلح ، أي أعاد الشيء الى حاله الاولى الصالحة . و slayya : ميل ، انحراف ، انحناء . و slata : صلاة .

واذا زاد الميل أو الانحناء في الشيء بلغ به الى النزول لا بل الى السقوط حتى الغطس أو الفرق ، وعليه نرى في السريانية sla يعني حل ، نزل ، حدر . و slayya ، منحدر ، وفي العربية ، صلا ، صليت الناقة . وقع الولد في صلاها ، و- استبرخى أي انحدر صلاها . الصلا . وسط الظهر . و- ما انحدر من الركبتين . صلى الفرس . اذا جاء مصائباً ، أي متبعاً وحانياً رأسه فجاء صلابته ، و- الحمار أنته : طرده واتبها ، و- الظهر : ضرب صلاه ، أي منحدره ، الصلة : المطرة النازلة ، الخفيفة ،

للتفرقة . ومن هذا المعنى الصلة ، القطعة من العشب ، والتراب الندي ، وفي العبرية salal سقط ، غطس ، غرق ، وفي الاكدية salalu : ارتقي ، رقد ، سقط .



الصلاة

الصلاة : الدعاء ، و - الرحمة ، و - الاستغفار ، و - حسن الثناء ، و - عبادة فيها سجود وركوع ، و - احدى الصلوات المفروضة . الصلاة شرعا أقوال وأفعال . الصلاة مشتقة من « صل وصلا » « صل » الصوت والطنين ، مصدر الكلام . فهو أصل الصلاة بكونها أقوالا . من ذلك معانيها الدالة على القول ، وهي الدعاء ، البركة ، الرحمة ، الاستغفار ، حسن الثناء ، وبصفتها أفعالا تشتق من (صل) بدلالته على الميل والانحناء والسجود . وهذا المدلول ليس بظاهر في المزيد (صلى) بل هو يتن في المجرد السرياني sla أي امال ونزل . وفي مزيدة salli ، احنى ، تضرع ، بارك ، صلى .

والصلاة بما تتطلبه من الحركات ، كالانحناء والسجود والركوع والنهوض والوقوف ، كانت دارجة بين الرهبان الآراميين السريان المنتشرة اديارهم على طول طريق الحجاز التي كانت القوافل تقطعها ذهابا وإيابا للتجارة بين مكة والبلاد الشامية . وهذه الصلاة ، بأعمالها الخارجية قد تعلمها العرب الفلاسنة المسيحيون وغيرهم من غير النصارى عند زيارتهم كنائس الرهبان وحضورهم صلواتهم . وبهذه الطريقة دخلت وعمت بينهم اسما وفعلا . واذا كان يرافق هذه الحركات البدنية أقوال روحانية من أدعية وابتهالات ، دلت الصلاة عليها ، واذا كانت تجري الصلاة في الكنائس دعت هذه البيع (صلوات) من باب تسمية المكان باسم العمل الجاري فيه . وهكذا وردت في القرآن (سورة الحج ٤٠) ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع (صلوات) ومساجد يذكر فيها اسم الله . وإلى الآن سبغ شرق الاردن يسمي النصارى العرب كنائسهم (صلوات) .

ومن الأدلة على أن كلمة (الصلاة) سريانية أنها في القرآن وخارج القرآن

الى الان ، تكتب غالب الاحيان « صلو » بالواو . وان لفظت « صلاة » بالالف ، وذلك انها لما دخلت الى العربية كتبت ولفظت على لفظ السريان بالواو . فاذا نقرر هذا نظن ان قول البستاني صاحب « البستان » وغيره بأن الصلاة هي : الدعاء « وهو اصل معانيها » ليس بثبت ، لان الكلمة آتية من الفعل السرياني Salli الدال على الانحناء والسجود والركوع ، اي على افعال الصلاة لا على اقوالها ، لان الاقوال كاللغة والاستغفار ، من الامور المرافقة لهذه الاعمال .

و كذلك ما ورد في محيط المحيط وغيره من المعاجم من ان اشتقاق « الصلاة » من الصلا - وهو العظم الذي عليه الالبان - لان للمصلي بحرك صاوية في الركوع والسجود ؛ او من الملزوم - كان الصلاة ملازمة العبادة ؛ او من العطف وطلب الاضواء والاستمالة : فمذه كلها تأويل وجيه فيها شيء من الصواب لكن الاصح هو ان الصلاة - كما بينا - مشتقة من الفعل السرياني الدال على الانحناء والسجود والركوع ، وقد استعمل الصلاة على هذه الطريقة السريان النصارى ومنهم انتقلت الى النصارى العرب وغيرهم .

اما قول اصحاب التفسير واهل المعاجم مثل صاحب محيط المحيط واقرب الموارد بان « الصلاة » جاءت من العبرية (صلوتا) فتشكره كل الانكار ، ودليلنا ان هذه اللفظة ليست عبرية ؛ ولا وجود لها في التوراة ، وان كانت مستعملة في بعض الكتب عند العبريين وفي لغتهم الحديثة فهي منقولة عن الآرامية وفي آخرها الف الاطلاق عما هو من خصائص الالفاظ الآرامية . واما اشباع الفتحة في العبرية فيكون بالهاء لا بالالف ، والالفاظ المشبعة بالالف في العبرية أصلها دون ريب من الآرامية ، زد على ذلك ان الفعل Sallah العبري كما رأينا - لا يدل الا على شوى ، ولا يعرف قطعاً في هذا اللسان بمعنى انحنى او سجد ، او ركع .

وكل هذا بد لنا على ان الكلمة سريانية اصلاً واشتقاقاً واستعمالاً : اذن هي دخيلة في العبرية والعربية .

(١٠) علم ، غلم

التضارب بين وافر بين مدلولات هذين الفعلين ومشتقاتهما سواء كان ذلك في لغة واحدة من اللغات السامية ، أو بالمقابلة باخراستها ، على ان في الثنائية والالامية السر للتوفيق بينها . وهذا التوفيق في الموضوع الحاضر لا يتم بمجرد ردة الثلاثي الى ثنائي واحد ، وحسب الامر الذي لا يبي بالمرام - بل يورده تارة الى ثنائي وتارة الى ثنائي آخر ، مما يستدل منه على تعدد الاصل الثاني للثلاثي الواحد ، طبقاً للتضارب المعاني .

ومن العلوم عند الالاميين ان العين والغين المفترقتين في العربية هما وحدتان بالعين في السريانية والعبرية والحشية : وقد امتحالت العين ذاتها همزة في الالكديّة ، على ان الالفاظ العبرية والسريانية والحشية تقابل ، حسب المعاني ، طوراً الكلمات المبتدئة بالعين ، وطوراً آخر المبتدئة بالغين ، في العربية .

فاذا تقرر هذا ، لناخذن في التفاصيل :

ان الثنائيات التي يورد اليها الثلاثي (علم او غلم) لاظهار تناسق المعاني واتصال بعضها ببعض هي ثلاثة : (علّ او علا ولم وغلّ) .

علم

(١) هذا فعل « علم » ، فاذا كان على وزن « فعّل » كان الثنائي الصادر عنه « علّ » الظاهر معناه في الناقص « علا » الدال على العلو

والارتفاع ، ومن ثم على الظهور . اذن الاصل الثنائي هو « نعل » والحرف الزائد فيه هو (الميم) .

عَلِمَ (نعل أو علا) : رسم ، لان السمة بشيء عال ، أي ظاهر .

عَلِمَ (نعل أو علا) : لان عمنه على رأسه بعلامة تعرف بها .

عَلِمَ (نعل أو علا) : رسم الفارس نفسه بسيما الحرب .

عَلِمَ (نعل أو علا) : جعل لفلان اماره يعرف بها .

أَعْلَمَ (نعل أو علا) : الحافر البئر : وجدها كثيرة الماء ، أي عاليته .

عَلِمَ (نعل أو علا) : رسم نفسه بسيما الحرب .

عَلِمَ (نعل أو علا) : علق على الترس صوقا ملونا في الحرب ، أي بمنزلة علامة .

عَلِمَ (نعل أو علا) : جعل على الكتاب علامة .

عَلِمَ (نعل أو علا) : جعل القصار للثوب علما من طراز وغيره .

أَعْلَمَ (نعل أو علا) : البرق : لمع في العلم ، أي علا وظهر .

العلامة (نعل أو علا) : سمة ، و- الفصل بين الارضين (علامة) ، و- شيء

منصوب يهتدى به .

العلامة (نعل أو علا) : ما يستدل به .

العلم (نعل أو علا) : العلامة والأثر ، و- المنارة ، و- الفصل بين

الأرضين ، و- شيء ينصب في الطريق يهتدى به

و- سيد القوم (أعلام) ، و- رسم الثوب ،

و- رقبه ، و- الجبل الطويل ، و- الراية ،

و- ما يعقد على الرمح (علامة) وفي كل ذلك

معنى العلو ومن ثم الظهور (

العلماء (نعل أو علا) : الدرر (لظهورها)

ب (واذا كان الوزن « قول » كانت أصل اشتقاقه من ثنائي آخر ،

وهو « لم » أي جمع . إذ من جملة الاشياء المجموعة المعارف ، وينجلى هذا

المدلول في المزيد (ألم) فان أحد معانيه المعرفة ، اذ يقال (ألم بالمعنى)

- عرفه ، وعليه فعل مشتق من (لم) بزيادة المين .
- عِلِمَ (لم) : عرف تيقن .
- () : اتقن الامر أي عرفه عملياً .
- () : أدرك الشيء ، فهمه .
- عَلمَ () : جعله يتعلم ، أي يلم بما فيه الشيء .
- أعلم () : أخبر ، أي جعله يلم بالخبر .
- عالم () : غالب في العلم ، أي في الامام بالشيء .
- تعلم () : مطاوع علم .
- اعتلم () : علم الشيء ، ألم به .
- استعلم () : استخبر ، طلب الامام بالخبر أو بالشيء .
- العالم () : المتصف بالعلم ، الملم بالاشياء .
- المُلَأمَ () : العالم جداً و — النسابة أي الملم بمعرفة الانساب .
- العليم () : العالم ، و — الله تعالى .
- المعلم () : الملهم للصواب والخير .

- ت) ولهذا الفعل الثلاثي (علم) معان آخر تفترض اشتقاقه من عَمَلٍ أو غَلٍ (الدال على الدخول أو الولوج أو التغفل في الشيء . من ذلك :
- عَمَ (عَمَ ، غَل) شق شفته العليا ، أي أولج فيها السكين .
 - علم () انشقت شفته العليا .
 - العَلامَ () لب عجم التبق ، وهو الداخل في أعماقه أي التغفل فيه .
 - العلام () الباشق ، وهو الحاد النظر ، أي الداخل في أعماق الاشياء .
 - () الصقر مثله .
 - الوَلَمَ () ...) الشق في الشفة العليا :

الاعلم () ما يشقنه العليا شق .

السريانية :

'lam (lam) لم ، أحاط (علم ، عرف .

'allem () علم ، هذب ، مدح ، زين

'lem'ida 'ta () حديث العلم ، قليل الخبرة .

(الحبشية)

'alâma (عل) علم ، رسم ، ختم ، سجل (كلها بمعنى وضع علامة)

ta'lâma () رقم ، وقع ، وضع علامة .

ma'alâm (لم) معلم .

« غَلِم »

غلم مشتق من الثنائي (غل) ومعناه دخل أو ولج ، وهذه الدلالة تشع في الناقص (غلى ، يغلى ، وغلا يغلو) ففي الاول يراد الغليان ، وهو أمر يفترض تداخل العناصر بعضها ببعض ، والثاني فيه نتيجة ذلك ، أي إن هذا التداخل ينشأ عنه النمو والارتفاع .

غَلِم (عل ، غلا) غلب شهرة ، أي جاشت وغلت أميانه .

اغْتَلِم () غلم .

() الشراب ، اشتدت سورتها أي غلت .

() امواج البحر ، اشتدت أي غلت .

الغلام () الشاب البالغ ، أي الذي قد غلت فيه عناصر

الشبوية^(١) ، فلذلك غما وطال .

(١) المجازة : لم نعثر على الشبوية في معجم اللغة بل جاء الشبوب والشبابية .

الْغَلَامُ	ز = ((مجازاً) الاجير . لان الاجراء يكونون عادةً من الشبان لقوتهم واقتدارهم على الشغل .
الغليم) = ((مجازاً) العبد . للسبب عينه .
غلا) = (الشاب العريض المفرق ، الكثير الشعرأي البالغ النامي .
غَلَان) = (منبع الماء في الآبار . لان فيه يكثُر الماء فينمو . فيمتدق .
غلا) = ((النون زائدة) غلا . زاد الشيء ، ارتفع .

* * *

« السريانية »

'lēm	(عل أو غل)	غلم ، قوي ، ضخم (كلها بمعنى الغليان والنمو)
'allem) = (أشب . قوي ، جدد . خأد . (لأنه القوي يثبت خالداً)
'laymā) = (غلام بالغ ، شاب ، قوي . ضخم (صفات الشباب)
'alama) = ((مجازاً) غلام ، خادم .
'layemta) = (فتي ، حدث ، جديد .
		فتاة ، شابة .

* * *

العبرية :

'alam	(عل ، غل)	خفي ، جهل ، ستر . اختفى ، هرب ، نسي ، كان مجهولاً غير أكيد . (كلها تدل على معنى الخفاء أو التواري ، أي الدخول أو الولوج)
'allem) = (أخفي ، وارى ، أظلم (أخفي بالظلام) أسر (جمعه سرّاً أي خفياً)

- He 'allem : تنفى ، ابتعد ، تكوم (معنى الخفاء) .
 'elem (غل ، غلى) : غلام ، شاب .
 'alamh (=) : شابة ، عذراء ، آنسة ، امرأة شابة .

* * *

« العالم »

على رأينا أن أصوب اشتقاق لكلمة « عالم » أن تؤخذ من العبرية الدال فيها حرف alam على الخفاء . والثلاثي مشتق من الثنائي 'al أو 'alal العبري ويقابله في السريانية 'al والكليهما معنى الدخول ، لأن الخفي والمستور هو الداخل دخولا يمنع رؤيته . والمائل لهذين الحرفين في العربية هو الثنائي « غل » الدال هو ايضا على الولوج ومن ثم على الخفاء .

(١) اول معنى اذن للفظه (عالم) هو معنى الزمان الخفي او المجهول ، اي الداخل في الغيب ، وهو الازلية - الأبدية .

(٢) من باب اتوسع ، اطلق على الزمان الذي نحن فيه ، اي الدهر .
 (٣) ثم اربد به الخلائق او الكائنات الموجودة في هذا الزمان ، او الكون على وجه الاطلاق .

(٤) اخيراً يدل « العالم » على جمهور الناس ، والخلق كله ، وعلى كل صنف من اصنانه . ودونك صور لفظه في اللغات السامية :

- العربية : عالم
- السريانية : 'alma
- العبرية : 'olam
- الحبشية : 'alam

أما الاكدية ، فالثلاثي الذي لامه ميم لا أثر له فيها ، إنما ورد فيها الثنائي « عل » الصادر منه الناقص « علا » بمعنى ارتفع وصعد في سلم الزمان ، اي تقدم

عمده . من ذلك جاءت الالفاظ الآتية التي اصل الفاء فيها عين ، وقد سقطت ، لانها حلقية ، بقيت الحمزة عوضها - Ullati (علاقي) Ulla (علا) ، Ullani (علاقي) ، وكلها تدل على الازمان الصاعدة ، البعيدة ، القديمة ، اي الدهور ، او الازلية - الابدية .

الادب . ا . س . مرمرجي المومني
من أساتذة المدرسة الكتانية والآثرية
سيف القدس الشريف

ح

المصباح العام

بوفاته السيد الامام

محمد رشيد رضا مفتي البزار^(١)

إنا لله وإنا إليه راجعون

قضى الله بالأمر الذي قد قضى به وكان قضاء الله في الخلق جارياً
فيا ليتني ذقت المنية قبله ولم أرفيه ما يشيب النواصيا



مات السيد الإمام ، فانطفأ
ذلك النور « المزار » الوهاج
الذي امتد شعاعه إلى أقاصي
المعمور أربعين عاماً ، وخفت
ذلك الصوت الداوي الذي ملأ
مسامع الكون هدياً وإرشاداً ،
وسكن ذلك القلب الكبير
الذي أشرب حب الإصلاح
من أول العهد بالحياة . مات
السيد الإمام ، فمات مزار
الإسلام المنير ، وتفسيرا الكبر
والعظيم ، وفتاواه في حل
المشكلات العصرية ، بالأدلة

(١) المجلد : تأخر نشر هذه الترجمة لأسباب لا محل لذكرها هنا ، وقد كنا
وعلمنا القراء بنشر ترجمة وافية للفقيه رحمه الله تعالى .

الجامعة بين المعقول والمنقول ، المثبتة أن الإسلام هو دين الفطرة والعقل والعلم الصالح لجميع الأزمنة والأمكنة والأقوام .

أما بعد فهذه شذرات من سيرة ذلك المصلح العظيم استخرجتها مما خطته يرائته في مدة أربعين عاماً ، وأعظمه بحجة المنار الإسلامي ، وهي (٣٤) مجلداً ، وتفسير القرآن الحكيم وهو اثنا عشر مجلداً ، والجزء الأول من تاريخ الأستاذ الإمام وهو في أكثر من ألف ومائة صفحة ، وكتاب المنار والأزهر عدا ما أعرفه منه (رضي الله عنه) مدة تشر في بصحبته في سفره وإقامته ، في الشام والحجاز ومصر أثناء ستة عشر عاماً ، كنت فيها - كما كان يقول رحمه الله - صديقه الوفي ، وولده الروحي ، ويقول عني : إني أمثال في محبته لي وثقتي بي أخاه الشقيق السيد حسين وصفي ، كذا سمعته من فمه في داره بمصر رحمه الله وجزاه خير الجزاء .

بيته ، سيادته ، نشأته

نشأ الفقيه العظيم في بيت دين وعلم وكرم وصلاح ، وسمعت منه رحمه الله أن أحد أجداده (ولعله الجد الرابع) قد قدم من شط الفرات (ولعله من ماردين) واختار الإقامة في القلمون ، وهي على شاطئ البحر المتوسط من جبل لبنان ، تبعد عن مدينة طرابلس الشام زهاء ثلاثة أميال ، وكان أهل هذه القرية من السادة الأشراف المتواتري النسب ، وأهل بيت الفقيه ممتازون فيهم بأنهم أهل العلم والإرشاد والرئاسة ، ويلقبونهم بالمشايخ للتميز بينهم وبين غيرهم .

وقد اشتهر على بعض العلماء والكتاب - دع الخرم والحساد - نسب السيد الفقيه النبوي ، وقالوا : إن آل رضا ليسوا من سكان القلمون القدماء فكيف يكونون من ساداتها الأشراف ؟ ولقب هؤلاء السيد الفقيه « بالشيخ رشيد » وتقذ خصومه من هذه الناحية فاتخذوا كلمة « الشيخ » غمزاً له

ومطعناً في صحة نسبه الشريف ، والجواب (١) هل يلزم من كونهم ليسوا من قدماء أهل القلمون ألا يكونوا أشرفاً مثلهم ؟ وهل انحصر شرف النسب النبوي في أهل القلمون . (٢) إن لآل رضا سلسلة نسب تثبت أنهم من آل بيت النبوة ، والناس مؤتمنون على أنسابهم كما جاء في الحديث . (٣) إن أهل هذه القرية لم يكونوا يزوجون إلا من كان شريفاً مثلهم ، ووالدة الفقيد شريفة من أهل القلمون . (٤) إن الشرف من جهة الأم ثابت كالشرف من جهة الأب علي السواء ، وإن الأسباط في شرف النسب كالأحفاد ، والانات منهم كالأذكور ، وهل كان شرف الحسن والحسين إلا من جهة أمهما فاطمة الزهراء البتول (عليهم السلام) وهل كان نسل النبي الأظهر إلا منها ؟ وإن الذين أعقبوا من أولادها هم الحسن والحسين وزينب (ع م) ومن هؤلاء تفرعت أغصان تلك الشجرة المباركة في جميع أرجاء الأرض ، فأولاد السيدة زينب من بنين وبنات - في صحة الشرف ونسبه - كأبناء أخويها الحسن والحسين ، وقد أخرج البخاري - في صحيحه عن أبي بكر (رض) قال : بينا النبي (ص) يخطب جاء الحسن فقال النبي (ص) إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين ، فأطلق الابن علي ابن البنت .

والحاصل أن أصل شرف النسبة في هذه الأئمة من النساء ، وأعني السيدة فاطمة الزهراء ، ولم يزد أن هذا يعد من أكبر محاسن الإسلام ، إذ كرم المرأة وجعلها تشاطر الرجل الشرف ، وقد رأينا أن نجلو هذه الحقيقة ، ونزيل شبهة المنكرين وإنشاكين .

نشأ السيد الفقيد متصوفاً دينياً ، شديد الحياء ، كثير العبادة ، عفيف اللسان والقلب ، بعيداً عن كلام الفحش والمجون . وكان في صفه ميلا إلى العزلة ، قايلاً الرغبة في اللعب مع اللذات والأتراب ، شديد العناية بمطالعة كتب الأدب وكتب التصوف .

كتب أقرأ في المنار انتير وصف تلك النشأة الطبية الطاهرة التي نشأها

فقيهاً، نا العظيم في القلدون ، وأتخيل كتاب القرية الذي درس فيه القرآن الكريم ، وتعلم فيه مبادئ القراءة والكتابة . والمسجد القاموني الذي كان يعظ الناس فيه ويخطبهم ، ويؤمهم في الصلوات الخمس أيضاً ، وتلغرفتين المطلتين على البحر في ركني المسجد الشماليين ، وكانت احدهما خلوته وعبادته ، والثانية مطالعة ومذكراته . ومبزل السيد الامام ، ومنازل آله الكرام ، كنت أسرف في اثنار على وصف حياتك المباني والآثار فيجلولي وصفها ، ويخيل إلي أنها ماثلة أمامي وأنا أشاهدها ، على أن الخبر ليس كالعيان ، وما الطف قول الامام ابن حزم - رحمه الله :

ولكن للعيان لطيف معنى لذا سأل المعينة الكليم

ولما ألح بي الشوق لرؤية ذلك المسجد الذي بناه جد المترجم الثالث ، والمنازل الرضوية التي لها منازل في القلب ، ودرجات في الحب ، كما قال أبو الطيب « لك يا منازل في القلوب منازل » امتطيت سيارة من دمشق إلى بيروت ، وصحبت منها صديقي الاستاذ الشيخ محمد سعدي ياسين الدمشقي ، فبلغنا مسجدنا أذن الجمعة ، وسمعنا خطبة الاستاذ المعمر الشيخ محمد كامل عم السيد الفقيد ، ووالد صديقنا الاستاذ السيد عبد الرحمن عاصم ابن عم السيد وتلميذه ، وزوج شقيقته ووكيل مناره ، وقد كان حاضراً فبقنا ليلتنا في ضيافته منشرحي الصدور ، قريري العيون ، بما زرنا من ذلك المنازل العامرة ، ورأينا من تلك الآثار المباركة ، وقد أنشأ هناك لقاء شقيقي السيد الأستاذين السيدين أدهم وحسن رضا وأولها شيخ متعهم ، وانشائي غير متعهم .

قرأت درساً عاماً بعد صلاة العصر في المسجد شرحت فيه حديث النية والمجزة ، « إنما الاعمال بالنيات » ، واختتمته بخطابة أهل القلدون قائلاً : لقد ظهر منكم ونشأ فيكم ، رجل لا كالرجال في فهم حقايد الدين والدفاع عن حوزته ، والوقوف في وجه جميع الطامعين في الاسلام وللعامة

في أهله من جميع الملل والشعوب والاقوام ، ألا وهو السيد محمد رشيد رضا .
منشئ المنار وتفسيره ، وكفاكم بذلك فخراً وفضلاً . ثم اقترحت عليهم أن
يرسلوا منهم كل عام بعثة لتدرس في مصر تحت رعاية هذا الامام ويكونوا
مرشدين ودعاة في الاقطار العربية والاسلامية والممالك الغربية ، وكتبت
إلى السيد بذلك فسر رحمه الله ، وكان ذلك قبل وفاته بنحو عام .

لم يكن طلب فتيه الامه الرشيد للعلم لغرض دينوي من تحويل علم أو جاه ،
أو رغبة في خدمة الحكومة والتبرقي في مناصبها ، وإنما كان يوزع الفطرة ،
وباعث الايمان ، وحب ارشاد الامه والنور بمرضاة الله تعالى ، ولهذا لم تطل
مدته في المدرسة الرشدية الابتدائية في طرابلس ، اذ كانت دروسها باللغة
التركية ، وكانت معدة لتخريج الموظفين ، فتركها بعد أن درس فيها سنة
واحدة ، ودخل المدرسة الوطنية الاسلامية ، التي كان يديرها العلامة المناصلي
الشيخ حسين الجسر رحمه الله ، وكانت تدرس جميع دروسها العربية
والشرعية والمنطق والرياضيات والفلسفة الطبيعية باللغة العربية ، وتدرس اللغتين
التركية والفرنسية . وقد اشتهر الاستاذ الجسر رحمه الله بهذه المدرسة الدينية
الوطنية ، وبكتابه المسبى بالرمالة الحميدية .

لما للمدرسة فقد نشأ بها لتخريج الطلاب في العلوم والآداب ، وإعدادهم
ليكونوا معارفهم ومفضائلهم من مرشدي الأمة ، وقادة الرأي العام فيها ، في
عصر أكثر فيه اختلاط الامم بعضها ببعض ، وتنوعت فيه مطالب الحياة ،
وانفتحت للشرق من الغرب مزايا ورزايا ، وفتحت أبواب العلوم والآداب ،
كما انفتحت أبواب المناكر ، والذلائل ، التي يبعدها الفسق من لوازم المدنية الحديثة
فأراد الاستاذ الجسر أن يكون طلابه حلقة اتصال بين المتوردين والجلادين
وتقطة اعتدال بين الغالين والمقصرين ، فأعد لها الدروس الجملة بين علوم
الدين والعلوم الدنيوية ، ولحسن المؤسف أن الحكومة العثمانية لم تشأ أن تعدها
من المداخل المدنية التي ينبغي حظاؤها من الخدمة العسكرية ، فلفظت إلى هذه

الغباوة ، وعلى أي قاعدة من قواعد الجهل والظلم بذت وجهة نظرها يا ترى !!
 أ كُنْ جريمة وإثماً أن يتعلم طلاب العلوم الدينية على الطريقة العصرية ،
 وأن يدخلوا في منهاجهم ما يحتاجون إليه من العلوم المدنية واللغات الأجنبية
 على أن اللغة التركية كانت لغة الدولة الرسمية ، واللغة الفرنسية هي لغة علم
 وفن ، فماذا على طالب العلم لو درسها واتقنها ما استطاع بنية الإصلاح ؟
 وقد صرح أن النبي (ص) أمر زيد بن ثابت أن يتعلم اللغة العبرية فتعلمها وأنقشها ،
 ولو مد الله في أجل هذه المدرسة الدينية العلمية ذات التربية الإسلامية
 الوطنية ، ليتخرج منها في ذلك العهد — أي منذ نصف قرن تقريباً —
 حزب إسلامي اصلاحي معتدل ، يقف في وجه المدارس الأجنبية والحركات
 التبشيرية ، ويدير الحركة الإصلاحية على طريقة امامي العصر السيد جمال
 الدين الأفغاني ، والشيخ محمد عبده المصري ، رحمهما الله تعالى .

وأما الرسالة الحميدية ، فسبب تأليفها أن مؤلفها رحمه الله كان قرأ بعض
 مقالات مترجمة عن الصحف الأوروبية منسوبة لبعض أخبار الانكليز المدعو
 اسحق طيلر ، قد حاول فيها التوفيق بين معتقد الاسلام ومعتقد المسيحيين ،
 وإقامة الدلائل على تقاربهما ، وتشابه كتبهما ، وبلغ المؤلف أيضاً أن
 بعضاً آخر من رجال الانكليز المتضلعين في اللغات والفنون قد سعي في تلك
 الأيام ببناء معبد للاسلام في البلاد الانكليزية وأنه يباشر هناك نشر جريدة
 عربية يكون جل مقصدها البحث عن حقيقة الدين الاسلامي واشهار فضائله
 لدى غير العارفين بها ، فخطر لصاحب الرسالة اذ وجد مجالاً للكلام وممياً للنداء
 أن يحرر رسالة ينتبان منها حقيقة الدين الاسلامي بأسلوب جديد سهل الفهم
 لا تملة الانفس ، ولا تستوعره الافكار ، يروق العقول الحرة ، ويعجب
 الاذهان المطاقة من قيود التعصب ، هذا بعض ما جاء في طليعة الرسالة
 الحميدية ، وقد اشتملت على اثبات المعبود واجب الوجود ، وتحقيق نبوة خاتم
 الرسل صلوات الله عليهم ثم الكلام على أسرار العبادات ، وحقائق المعاملات
 وأحكام الحدود والتعازير والديات ، وأطال الكلام مع الماديين ففند شكوكهم

وشبهاتهم ، وأبطل دعاويهم ودحض حججهم ، وتكلم على حكمة الجهاد ، وتعدد الزوجات ، والطلاق ، والاسترقاق وتقريره في الشرائع المتقدمة ، وتحرير الرقيق في الاسلام ، وكيفية معاملة أبناء الملأ السماوية في الشريعة الاسلامية وختمها ببيان مأخذ الاسلام الاربعة وهي الكتاب والسنة والاجماع والقياس وتكلم على شروط الاجتهاد ، وقد سد بابه مطلقاً فلا تفتحه عليه رحمه الله .

فهذا الاستاذ المربي الكبير ، والمصلح المؤلف الشهير ، منشى المدرسة الوطنية ومؤلف الرسالة الحميدية ، هو الاستاذ الاول للمترجم ، وهو الذي تخرج على يده في العلوم العربية والشرعية والعقائية ، وقد وصفه هذا التلميذ البار بقوله : وكان له المام واسع بالعلوم المصرية كما يعلم من كتابه « الرسالة الحميدية » وكان كاتباً وشاعراً مصرياً ، يكتب وينظم في كل موضوع بعبارة سهلة ، وكان له أسلوب خاص في التعليم غير أسلوب الازهر ، يتحرى فيه السهولة في البيان ، ويتجنب المناقشة اللفظية ، واستطرادات الحواشي ، فلم يكن يذكر منها إلا ما لا يتم تحرير المسألة إلا به . وتلقى الفقيه الكبير فقه الشافعية وفن الحديث على شيخ الشيوخ في طرابلس الشام الشيخ محمود نشابة الذي حمل شهادات الازهر بثمانية عشر علماً ، وقضى فيه ثلاثين عاماً عالماً ومعلماً ، وكان من مشايخه مثل الباجوري ، ومن اخوانه الانبائي والاشموني .

وحضر على العلامة الفقيه الصوفي الشيخ عبد الغني الرافعي قايلاً من كتاب نيل الاوطار الشوكاني ، وكان الرافعي فقيه النفس مستقل الفكر ممتازاً بين فقهاء عصره بالجمع بين النبوغ في علوم الشرع والتصوف والادب ولي القضاء بولاية اليمن ، فكان إذا ظهر له رجحان مذهب الزيدية مثلاً على مذهب الحنفية الذي نشأ عليه تحصيلاً وعملاً وافئاء وقضاء لا يمتنع من القول بترجيحه .

فكان السيد المترجم رحمه الله بما وهب من سلامة الذوق ، وقوة الاستعداد ، وثوقه الذهن ، وبما رأى أساتذته عليه « الرافعي » من فقه

النفس واستقلال الفكر ، و «التشابه» من حب الاستقصاء والتحقيق في العلم .
 و «الجسر» من الوقوف على روح العصر ، وحاطة العلمية والاجتماعية والسياسية
 والعناية بمطالعة الصحف والمجلات العالمية ، والاقتناع بملحة المسلمين الى
 مجاورة الامم الغربية في العلوم-وتتقنون التي عليها مدار العمران ، والقوة في
 هذا الزمان ، مع المحافظة على اصول الاسلام وهدية وآدابه ، لا جرم كان
 بكل هذه المزايا الموهوبة والمكسوبة عالماً مستقلاً مستدلاً ، ظاهر الحجة قوي
 المعارضة ، شديد المعارضة ، لا يقبل منقولاً لم يثبت دليله ، ولا معقولاً لم
 تستبين سبيله ، وكان له مع اساتذته بسبب هذا الاستقلال في العلم والرأي مواقف
 شهيرة وإليك مثلاً من موقفه مع أستاذه الجسر كما حكاه في مناره ، قال
 رحمه الله (١) :

لما طبعت الرسالة الحميدية أهداني نسخة منها . ثم سألتني بعد أيام هل
 قرأت الرسالة ؟ قلت قرأت بعضها ، قال انه يعجبني رأيك فكيف رأيتم
 قلت بعد الثناء عابها بالاجمال : انني انتقدت منها شيئين (أحدهما) التعبير عن
 المسائل العلمية القطعية التي تعتمدون صحتها ككروية الارض بما يدل على الشك
 او الانكار ، فاعتذر عن هذا بمراعة عقول العوام والمتعصبين الذين يطعنون في
 دين من يقول بهذه المسائل . فقلت اذا لم يتجرأ مثلك من الموثوق بعلمهم
 ودينهم على الجزم بهذه المسائل فمن يجوز بها ومتى يكون ذلك ؟

(والثاني) عدم تقسيم الرسالة الى أبواب وفصول . بوضع لكل منها عنوان
 يدل عليه على نحو ما هو مفصل في الفهرس لتنشيط على المطالعة ، وسهولة
 المراجعة ، فقال : إن اتصال الكلام بعضه ببعض كالماء الجاري من حسن
 الانشاء وأساليب البلاغة ، قلت فلماذا جعل القرآن سوراً وهو أبلغ الكلام
 وافصح ؟

ونقل أيضاً مثلاً آخر ، وهو ماثرة تاريخية لتفقيده ، جمعت بين جمال

قيل لي : ألا تنزع على مقابلة المولوية في تكيتهم التي تشبه جثة
الآخرة في مكانها من خفة نهر أبي علي ؟ قلت نعم ، فذهبت بعد صلاة
الجمعة مع الداعبين ، وكان أول افتتاح موسم هذه المقابلات من فصل الربيع
فجلست في ايوان النظارة (المتفرجين) فتمع البصر برؤية جئات البرتقال
والشم بعجير زهرها ، والسعم بخير ماء النهر من تحتها ، حتى اذا ما آن
وقت المقابلة تراءى أمامنا دراويش المولوية قد اجتمعوا في مجلسهم تحت
ايوان النظارة ، وفي صدورهم شيخهم الرسمي ، وإذا بفيلان منهم مرد حمار
الوجوه ، يلبسون غلائل بيضا ناصعة كجلابيب العرائس ، يرقضون بها غلي
نفات الناي المشجية ، يدورون دورانا فنيا سريعاً فتفرج به غلائلهم فتكفون
دوائر متقاربة ، على أبعاد متناوبة ، لا يبقى بعضها على بقض ، ويمدوت
سواعدهم ، ويميلون أعناقهم ، ويمرون واحداً بعد آخر أمام شيخهم فيركفون
له ، قلت ما هذا ؟ قيل هذا ذكر طريفة مولانا جلال الدين الروحي جامع
المنوي الشريف :

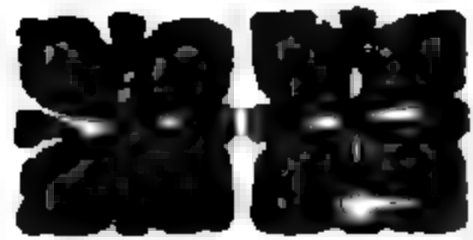
7

يشكروا علي ولا على القوم بقول ولا عمل ، ثم كانت هذه الحادثة الغريبة
حديث موضوع ممزوم مدة طويلة ، فمن عاذل وعاذر .

اتفق في تلك الايام أن دعائي رجل وجيه من معارف والدي الى سيدان
في بستانه مع شيخنا الاستاذ الشيخ حسين الجسر ، والشيخ عبد الله البركة
واثنين آخرين من العلماء ، وهنالك سألتني شيخنا عن الحادثة ، ولم يسألني
عنها في المدرسة ، فذكرتها له باختصار ، قال : اني أنصح لك أن تكف
عن أهل الطريق ، قلت هل لأهل الطريق أحكام شرعية غير الأحكام
العامة لجميع المسلمين ؟ قال لا : ولكن هؤلاء في سماعتهم نية غيرنية صائر الناس
ووجهة إلى الله غير وجهتهم ، ومالك تخصم بالانكار عليهم ، وان من أهل
اللاهوت من يسمعون الاصوات والأوتار في ملاهيهم ، بل بلغني أن بعضهم
يقامرون ليلاً في قهوة العيوني ، قلت إن أهل الطريق ذنبهم أكبر من أهل
اللاهوت ، لانهم جعلوا السماع المتكسر ، ورقص حسان الغلمان عبادة مشروعة ،
فشرعوا لأنفسهم من الدين ما لم يأذن به الله ، على أني لم أر منكراً
آخر ولم أنكره ، وأنا غير مكلف أن أذهب في آخر الليل الى قهوة العيوني
فاستفتحها لأرى ما فيها وأنكر عليه ، فلما اعيتته ، قال : ان مذهبنا
(يعني الحنفي) اشد من مذهبكم (الشافعي) في تحريم السماع ، ولكنني
أنصح لك أن لا تعترض على أهل الطريق !!

يتبع

محمد بهجة البطار



لغة المتنبي

أبو الطيب له ولع ودربة باستعمال الفصيح في شعره ونثره وسائر كلامه ، فإذا حاول العدول عن منهاج اللسان المضرى القويم لم يستطع إليه سبيلاً فما أصدقه في قوله :

وكلمة في طريق خفت أعربها فيُهدى لي فلم أقدر على اللحن
من قصيدته التي مطلعها :

أفاض الناس أغراض لنا الزمن يخلو من المم أخلام من الفطن
فالمتنبي يستسهل بذل نفسه في سبيل صيانة لغته التي يفديها بروحه ، وكأنه يقول :
لا بارك الله في الحياة بعد ضياع اللغة . من أجل ذلك رأى ارتكاب ما فيه خطر على حياته أهون من ارتكاب ما فيه خطر على لغته . وفي البيت
مسألتان : (خفت أعربها) من الفعل المضارع ، وتحريك حاء (اللحن) انبعاث للام
وشاهد الأول قوله تعالى « أفغير الله تأمروني أعبد » أي أن أعبد ، وقول طرفة
ابن العبد :

ألا أيها ذا الزاجري أحضر الوغى وأن أشهد الذات هل أنت مخلي
أي أن أحضر الوغى ، ومن هذا القليل قولهم : سره يحفر بشراً أي أن يحفر ،
وقولهم : خذ قبل يأخذك أي قبل أن يأخذك ، ونسمع بالمعيدي خير من أن تراه
أي أن نسمع . والمتنبي كسائر فصحاء الكوفيين كثيراً ما يستعمل ذلك في قوله :

وتوقدت ألقاسنا حتى لقد
وقوله : أشفت تحترق الموازل بيننا

وما تسمع إلا زيانا علي بأمرها
وقوله : أشفق نند انقاد فكرته
وقوله في ثياب أهديت اليه :

أقر جلدبي بها علي فلا
أقدر حتى المات أبجدها
ويسوغ أن يعود الفعل المضارع مرفوعا مع إختصار أن قبله لأن الحرف عامل
ضعيف ، فاختار أن يحوّل أثره ، ولم يقو على الظهور ، ٤ - ٦ يسوغ أن يبق متصوبا باعتبار
أن المقدّر كالثابت وعليه قول المتنبي :
توفه ومتى ما شئت تبلوه
فكن مملوئيه أو كن له نشبا
في القبر مطالعها :

دمعي جرى فقضى في الربع ما وجبا
وقريحتي كما في الكشاف للزمخشري (أعبد) صفحوط وقريحتي منصوبتان في سورة الزمر
من قوله تعالى : « أنقير الله تأمروني أعبد »
وأما تحريك حاء اللحن بالفتح اتباعا للامها فهو من قبيل تحريك الهاء في نهر
وزهر ودهر . قال أبو النجم :

يا جيلا ظل معدا فاشمخر أشبه لا يستطيع النام الدهر
قال ابن منظور في لسان العرب : إما أن يكون الدهر والدمر لغتين كما
ذهب اليه البصريون في هذا النحو فيقتصر على ما سمع منه ، وإما أن يكون
ذلك فكأن حروف الحروف فيطرد كما ذهب اليه الكوفيون ١٥ - ١٦ والمواد من
اللحن في بيت أبي الطيب الخطأ في الكلام والمدول عن سنن الصواب فيده
ولم يوجد شيئا من مطنيه الاخرى كاللغة والقهم والمظلمة والاعتز والتعريض
والغلة والتطريب ، وإن كان نطق اللحن مشترك في ذلك كله ، إن شاء الله الطيب
في تمسكه بموتته والتزامه فصحاها لمجة ، وبأفادته مطبوع بجوي في ذلك على
متنقضي طبعه ، فهو من أشبه الناس بالاحواشي التي كلن التماقم اليه ليكون

حكما بين سيويه والكسائي فلم يستطع أن ياجن فيقول : فاذا هو اياهنا
ولكن استطاع أن يكذب فيقول : الحق مع الكسائي ولو أكره على
التألف بالنص المتلفش فيه لظهر أن الحق مع سيويه لان لسانه لا يجري
حينئذ الا بقوله : فاذا هو هي علي ملاذهب اليه سيويه ، فكان احتمال عار
الكذب عنده أهون من احتمال عار افتاد لفته الفصحى الجميلة التي بها جله
أحسن الحديث وحياء ، كلما زدته تلاوة زادك حسنا وتلاوة . وليس أبو
الطيب بدعا في عشقه لغة مصرية تجلت له من عرائسها :

وجوه لا تزال تزيد حسنا مثل جمالها خلق الغرام

ومن أشباهه في الشئنة ذلك الأمير جيلة بن عبد الرحمن الذي كان
يكتب باللسان المبين أسماء الاطعمة التي يردها في رقاع
يعث بها الى طاميه ، وكان هذا لا يقدر على الاستقلال بفهما لضعف
عربيته فراجع ابن أبي إسحاق الحضرمي أو يحيى بن يعمر العدواني للاستيضاح
عما كتبه له سيده جيلة في تلك الرقاع ، فاذا عرف ما فيها من أنواع
الاطعمة أتاه به ، وكان من أجل ذلك يطي عليه في إحضارها فقال له :
ويحك أيها الطامي ما بالك تبطي كأنك تريد بإبطائك أن تحماني
على الصيام ، فقال له الطامي : نسيت كلامك أسبل طاملك ، فقال له سيده :
يا ابن اللخناء أقادع عربييتي من أجل عيبك .

ولصحة الطبع في اللغة كان لفصحاء العهد الجاهلي وصدر الاسلام أعلى
مقام بين طبقات أمراء الكلام ، وجهيات أن تظهر عبقرية البيان الا بسلامة
الذوق وحلاقة الاسنان ، ولقد أصلب المحر وطبق المفصل من قال :

نعم عون الفقى اذا طلب العلم ثم ورام الآداب صحة طبع

فاذا الطبع خانه بطل العلم بي وصار العناء في غير تقع

وقال المتنبي :

أبلغ ما يطلب النجاح به الطبع مع وعند التعدي الزلل

لاجرم أن لهؤلاء المطبوعين في كلامهم أن يعجبوا ممن ياجن ويتهاون

بالاعراب ويجيد في كلامه عن سنن الصواب كالأعرابي الذي كان يقول :
عجبت للتجار الذين ياحنون فيستطيعون مع لحنهم أن يربحوا في متاجرتهم ،
وكالذي سمع بعض الخلقاء في العهد العباسي ياحن في كلامه فقال : لولا
القضاء والقدر لما قدر أن يكون هذا خليفة ، ولكن قدر فكانت ، وليس
بضائر فارس الطخروور أبا محمد وشعره شعره قول ابن خالويه فيه : إنه لم
يكن يعرف أن البعير يستعمل بمعنى الحمار ، كأنه اتقرد بمعناه ولم يحوه
سواه .

عبد القادر المبارك

مختصر

= « احتمال السخف أولى من الجهل بالعربية » =

أبو هاشم عبد السلام الجبائي من أئمة المعتزلة ، كان يأخذ علم النحو عن المبرد ،
وكان في المبرد سخف ، ف قيل لأبي هاشم : كيف تحمل سخفه ؟ فقال :
— رأيت احتماله أولى من الجهل بالعربية !!

(انظر ص ٥٦ من رسالة المعتزلة لأحمد بن يحيى
المرتضى ، طبع حيدر آباد الدكن)

خطاب الاستاذ عز الدين التنوخي لأب سر المجمع العلمي العربي

باسم المجمع العلمي أشكر لكم عنايتكم بحضور هذه الحفلة المباركة ،
حفلة تنظيم دار الكتب الظاهرية ، ذات الفضل العظيم على دمشق مدينتنا
الخالدة وعلى سائر البلدان العربية ، وهي لعمر الحق جديرة بأن نحتفل بعيدها
الحسيني أو السنيني لمرور نحو من ستين عاماً على إنشائها ، ولعل هذه الحفلة
تكون ممهدة لذلك العيد العلمي الميمون ، ويكون يومئذ قد مضى على تأسيس
المجمع العلمي عشرون سنة فنحتفل بعيد العشري وعيد المكتبة الحسيني
معاً احتفالاً شعبياً يشارك به نواب المعاهد والجامع والجامعات العلمية
العربية والاجنبية ، ويدعى اليه علماء المشرقيات في ديار الغرب ، وجلهم من
أعضاء مجعنا الذين يستنحون الفرص لزيارة دار الشام عامة ودمشق حاضرتها
خاصة وفي ذلك ما فيه من إعلاء شأن أمتنا العربية ودولتنا الناهضة الفتية .
إن هذه الدار التي نحن مجتمعون الآن في صحنها كانت تعرف بالمدرسة
الظاهرية الجوانية ، وهي بقية ثلاث مئة مدرسة كانت عاصمة في القرون
الوسطى بالعلم والأدب في مدينتنا هذه العظيمة ، وكانت مدرسة للحنفية والشافعية
يُدرسون فيها الحديث وعلومه ، وقد أنشأها الملك الظاهر بيبرس البندقداري
ودفن فيها هو وابنه الملك السعيد سنة ٦٧٦ هـ ، ولا تزال على هذه المدرسة

(١) انظر وصفها في باب (الآراء والاخبار) من هذا الجزء

مسحة باقية من جمالها القديم يبدو في موضعين منها : في مدخل الظاهرية الجميل ، فان الداخل يتمتع ناظره بهندسته العربية الرائعة ومقرنصاته المتبدلة ويشاهد في زاوية المدخل اليسرى اسم مهندسها العربي « ابراهيم بن غانم » ، والموطن الثاني لهذا الجمال هو القبة الظاهرية التي دفن تحتها هذا الملك الشامي المجاهد ودفن الى جانبه ابنه الملك السعيد ، ان هذه القبة لتمتاز على قيب الشام كلها ، ولعلها نادرة القيب في بلاد العرب ، بما ازدانت به من أصناف الرخام الملون الجميل ، فقد ركبت ألواح على جدرانها بتراكيب هندسية عربية ، كما أن هذه القبة بنيفسائها اللامعة ونقوشها الشجرية الفاتنة التي لا عيب فيها غير أغصانها وكبل ثنائيا .

وكان لكل مدرسة في دمشق خزانة كتب خاصة تشتمل على قوائم الكتب وكثير منها بخطوط مؤلفيها ، ثم بلغ من اهمال العلم في دمشق أن أمسي قوام هذه المدارس للفقر وقلة الراتب وضعف الشعور بالواجب يبيعون هذه المخطوطات ، وأقبل الاجانب من قنصل ومستشرقين يشترون تراث السلف بالجنس الاثمان ، مما ألقى في روع عالم الشام وباشت نهبتها العلمية الشيخ طاهر الجزائري أن يجمع شتات هذه المبعثرات من خزائن الكتب ويضعها في القبة الظاهرية ، فأشار على الوالي بذلك وهو حمدي باشا فألف سنة ١٢٩٦ للهجرة لجنة خاصة جعل رئيسها العلامة انسيد علاء الدين عابدين ، فجمعوا هذه الكتب من عشر مدارس ووضعوها في خزائن كبيرة تحيط بضريح الملك الظاهر الذي عاش في حياته تحت ظلال السيوف البواتر ، ودفن بعد مماته تحت ظلال الكتب والدفاتر ، ومع أن القائلين على هذه الكتب المجموعة قد خصصت لهم مرتبات ليحسنوا القيام عليها ، لم ينتفع الناس بها الانتفاع المنشود ، وظلت نصف مسبلة في الخزائن المغفلة ، ولكنها حفظت من النهب والضياع ولا سيما بعد طبع فهرسها الجامع لمخطوطاتها ومطبوعاتها ، وبقي أمر الخزانة الظاهرية على هذه الحال الى أن وسدت الحكومة أمر الولاية عليها الى المجمع العلمي العربي يوم انشائه في سنة ١٩١٩ ، وكان يومئذ في المدرسة

الظاهرية القديمة مدرسة ابتدائية تعرف بانموذج الملك الظاهر ، فبذل المجمع قصارى جهده لنقل هذه المدرسة الى بقعة أخرى من المدينة ، لأن صباح الصبيان وضجة حركاتهم المقلقة تعكز صفو المطالعة ، وتضعف حب البحث والمراجعة ، وقد توفق المجمع بأخوة وانتقلت المدرسة الجديدة من القديمة .

وكان من الوفاء للشيخ طاهر الجزائري الذي له اليد البيضاء على الخزانة الظاهرية أن يقلد الولاية عليها ، فسماه المجمع مديراً عاماً لها وظل يديرها الى أن استأثر الله به ، وجدير بالحكومة إذا أشادت دار كتب عامة لدمشق أن تقيم له تمثالاً في ساحتها كما يجمل بنا أن نسمي حجرة المخطوطات بالخزانة الظاهرية تيمناً باسمه الخالد الميمون .

ورغبة في زيادة كتب الخزانة الظاهرية أرسل المجمع العلمي إلى مصر خلية الشيخ طاهر في منصبه وهو الشيخ حسني الكسم الذي استفرغ في مصر مجهوده مستهدياً للخزانة الظاهرية مطبوعات المؤلفين والكتيبين فحمل اليها مجموعة مباركة تتألف من ١٦٠٠ مجلد ملأت عشرة صناديق ، منها ما أهدته دار الكتب المصرية ، والمكتبات التجارية ، ومنها ما أهداه كبار المؤلفين والناشرين أمثال السادة رشيد رضا وأحمد الاسكندري ومحمد الخضري وأحمد تيمور ورفيق العظم وخير الدين الزركلي .

أما العلامة أحمد تيمور فقد أهدى علاوة على الكتب مجموعة نفيسة من المسكوكات القديمة تشتمل على ٤٨٢ قطعة من ذهبية وفضية ونحاسية وزجاجية ومن خواتم قديمة نقش بعضها على جواهر كريمة ، وهي اليوم محفوظة في قبة التربة العادلية .

وحسبنا أن نوجز القول بأن كتب الخزانة الظاهرية كانت يوم تولى المجمع عليها تشتمل على ٤٠٠٠ مخطوطة وقليل من المطبوعات ، فأصبحت في يوم الناس هذا تشتمل حناياها على ٢٥٠٠٠ مجلد ما بين مخطوط ومطبوع ،

فضلاً عن المجالات المختلفة اللغات ، وفيها من الكتب الفرنسية والانكليزية والالمانية ما يفيد المراجعين والمطالعين .

وقد أهدى اليها قبيل وفاته المؤرخ الدمشقي الكبير المرحوم رفيق العظم خزانة كتبه ، ومثل هذه المأثرة النبيلة قد فعل الشيخ عبد الله الكزبري من بيوتات العلم بدمشق ، فحفظت الظاهرية كتبها في خزانتي خاصتين ، ويتسع بي مجال المقال جداً إذا أردت أن أورد على سامعكم أسماء جميع الذين أعانوا دار الكتب الظاهرية بالمخطوطات والمطبوعات كـ الشيخ سليم البخاري والشيخ محمد بهجة البيطار ، والشيخ أحمد فهمي العطار ، والأمير طاهر الجزائري وأمثالهم جزاهم الله خيراً .

وقد أراد المجمع العلمي أن يتم تنظيم دار الكتب الظاهرية على نمط التنظيم الأوربي الحديث ، فأوفد إلى باريس الأستاذ يوسف العش ليدرس في مدرسة السجلات *Ecole des Chartes* أصول ترتيب الكتب وتنظيم دورها فمكث ثلاث سنوات أخذ في آخرها شهادتها ، ثم زار بعد ذلك خزانة كتب فرنسا في أشهر مدائها مثل ليون ديجون وآفينيون وبوردو وطور وغرونوبل وغيرها ، وسببت لكم طريقة التنظيم^(١) التي اختارها لدار الكتب الظاهرية ثم يعرض على أنظاركم في آخر هذه الحلقة هذه الطريقة التي سهلت سبيل المطالعة ويسرت أساليب المراجعة للمطالعين والمراجعين جميعاً .

هذه هي بعض أعمال المجمع العلمي في دار الكتب انظاهرية ، ولم يقلل الاهتمام بنشر اللغة العربية في سائر البلدان الشامية ، فاهتم بحلب حاضرة الادب على عهد الدولة الحمدانية فافتتح فيها فرع الحلي في تشرين الأول من سنة ١٩٢٣ مختاراً له من أعضائه أفضل علماء حلب المعروفين بخدمة اللغة العربية ، وأنشأ لفرع المجمع العلمي هذا خزانة كتب يرجع اليها الباحثون ، وأرسل اليها في طليعة المرسلات مجموعة من الكتب العربية والتركية والفرنسية تشمل على

(١) أنظرها بعد خطابه المنشور في هذا الجزء

ألف مجلد ٤ وعهد مجمعا الى العلامة الشيخ كامل الغزي بأن يتولى مع إخوانه الأعضاء إدارة هذه الخزانة الحلية .

وأما أنطاكية عاصمة الشام الأولى فقد خشي المجمع العلمي من بغي اللغة التركية على العربية ٤ وأراد أن يشد أزر لغتنا القومية في تلك الربوع لتثبت على نوايب الدهر ٤ ولأجل تحقيق ذلك اختار أحد أعضائه في أنطاكية وهو العلامة الشيخ محمد زين العابدين وعهد اليه أن ينظم سجلا بجزائن الكتب التي لا تزال محفوظة في بعض مدارس أنطاكية وجوامعها ٤ وأرسل اليه مجموعة كبيرة من الكتب العربية ٤ كما أرسل مثل ذلك مجموعة كتب إلى الزبداني ٤ ومثلها إلى جبل الدروز بالأمتس وجبل العرب في هذه الأيام . والمجمع العلمي العربي أول معهد عني في دمشق بآثار البلاد فأنشأ وصنع على عينه دار الآثار الدمشقية ٤ وكان فاتحة أعماله في هذا السبيل أن أوفد أول بعثة أثرية كنت من أعضائها إلى تدمر وحمص ٤ فحمل إلى دمشق كثيراً من نقائس الآثار منها رأساً حثياً كبيراً من الصخر البركاني الأسود عثر عليه في حديقة حمص ٤ ويعتبر هذا الرأس في رأس الآثار الحثية المفيدة ٤ وعلم المجمع العلمي بوجود كثير من العاديات والمتحف الأثرية القديمة في منازل الوجوه والاعيان فاستهدام كثيراً منها ٤ وبذلك تكاثرت الآثار القديمة في صحن العادلية وغرفها ٤ وأيقن المجمع أنه لا قوام للآثار إلا بإرسال طالب علم إلى باريس ليدرس فيها على أساتذتها أصول علم الآثار واللغات السامية القديمة ٤ فأرسل للتخصص بذلك الأمير جعفر الحسني فقام بالمهمة العلمية التي أوفد إلى باريس من أجلها خير قيام ٤ وبعد نيل شهادته الأثرية عاد إلى دمشق وشرع ينظم آثارها ٤ وتزايدت هذه الآثار إلى أن أصبحت دار المجمع أو المدرسة العادلية لا تستوعب جميع معروضاتها ٤ فظل كثير من نقائسها مخبوءاً في الصناديق فشرعت دولة الجمهورية السورية في بناء دار آثار لها ستكون من أجل أنواعها في الشرق إن شاء الله .

أما دار المجمع العلمي العربي فقد كانت من أرقى مدارس العلم بدمشق

وتعرف بالعادلية الكبرى نسبة للملك العادل سيف الدين شقيق الملك الناصر صلاح الدين الايوبي ، وقد بدأ بإنشائها سنة ٦٥٨ للهجرة نور الدين محمود زنكي وبعد وفاته بنى الملك العادل بعضها ثم توفي ودفن في تربتها الموجودة ، فأتمها ولده الملك المعظم ، وقد افتتحت للتدريس في يوم مشهود حضره السلطان المعظم ووجود دولته وكبار العلماء والاعيان ، فالتقى فيها درس الافتتاح القاضى جمال الدين المصري ، ومن درس بها قاضى القضاة بهاء الدين السبكي وامام النحلة ابن مالك الذي كان يسكن داره حارسها اليوم وكان يقف وينادي على بابها لتأدية أمانة العلم : هل من طالب علم ، هل من قارئ نحو ؟ وفي العادلية كان يقيم مؤرخنا العظيم ابن خلكان وله فيها ذكر وعبر ، وفيها أتم النعيمي تأليف كتابه (المدارس في المدارس) الذي يبحث عن مدارس دمشق إبان نهضتها .

وكان آل المنيني يقطنون هذه المدرسة الشافعية الكبرى بحق الولاية عليها فسعت الحكومة الفيصلية لتحرير العادلية للبحث العلمي ، وبهمة حاكمها العسكري السيد رضا الركابي الذي كان أكبر العاملين على انشاء المجمع العلمي وداري الكتب والآثار ، أعطت الحكومة الى آل المنيني مبلغ ٢٠٠٠ ليرة مصرية لينزلوها عن حق التولية ، ثم اتفقت لترميم العادلية على الاصلوب العربي مبلغ ٢٥٠٠ ليرة مصرية فتأسس بنيانها كثيراً ، حتى أصبحت تصلح لاجتماع أعضاء المجمع ومناقشتهم ومحاضراتهم العامة .

ان المجالس الاسبوعية التي كان يجتمع فيها الاعضاء ليتناقشوا في الاوضاع الادارية والمصطلحات العلمية هي من أعمال المجمع العلمي المباركة التي ساعدت كثيراً على انتشار اللغة الفصحى ورسوخها ، وشالها المحاضرات العامة التي كان يلقيها الاعضاء على الرجال والنساء ، بله كان يرسل بعض أعضائه لالقاء المحاضرات في غير دمشق من البلدان الشامية .

وكان المجمع يقيم حفلات التكريم أو التأبين لمشاهير علماء الاقطار العربية الذين خدموا العربية نثراً وشعراً ، سواء أكانوا من أعضاء المجمع أم من غير أعضائه ، وفي ذلك ما فيه من التنشيط والتقدير وتوثيق أواصر الوحدة العربية العلمية والقومية جميعاً ، ومن هذه الحفلات الاعياد الادبية القومية كهمزجان أبي الطيب المتنبي الذي جمع من شمل الامة العربية باجتماع كثير من علمائها وأدبائها ، وبث في فتيان الامة روح الاجلال لادبائهم الخالدين ، وزاد كثيراً من الابحاث المتنبئية شرحاً وتفصيلاً .

والمجمع العلمي هو المقترح الاول لانشاء كلية الآداب التي خرجت على ضيق ملاكها كثيراً من الادباء والمعلمين فسدت بذلك ثلثة واسعة كانت الحاجة حاقة إليها .

ومن أظهر أعمال المجمع العلمي انشاء مجلته العلمية التي تعنى بالابحاث الادبية من لغوية وتاريخية ، وقد بلغ عدد مجلداتها السنوية خمس عشرة مجلدة فضلاً عن الرسائل الادبية التي يمشي بالنشر من مرقدها وعددها يزيد على عشر يري قارئ المجلة اسماءها على غلافها .

ومن أعمال المجمع العلمية استنساخه لنوادير المخطوطات المخدومة من خزائن دمشق والاقطار العربية والغربية إتماماً لمجموعة المخطوطات الظاهرية ، ومنها تيسير السبيل على العلماء والمتشرفين ليتمكنوا من ممارسة المخطوطات التي يريدون نشرها على مخطوطاتها ، ومساعدتهم بذلك على تصحيح ما في خزائنهم من آثارنا العربية .

وكثيراً ما ساعد المجمع العلمي المؤلفين في دمشق على تصحيح كتبهم العلمية والمدروسة قبل طبعها ، وكثيراً ما درب أفاضل الشبان على أصول البحث العلمي فأصبح منهم الكتاب والمؤلفون .

ومن الدرائع التي توصل بها المجمع العلمي لتنشيط روح البحث والتأليف في بلادنا توزيع (الجوائز العلمية) على المجاهدين من المتسابقين في الابحاث

المطلوبة ، اذ كر على صبيل المثال منها : جائزة السيد فخري البارودي لمن يضع أمثلاً كتاب في تسهيل الهجاء ، وجائزة السيد محمد سعيد اليوسف لمن يؤلف أحسن كتاب في تقدم البلاد السورية ، وجائزة السيد خالد العظم لمن يصنف أفضل كتاب في التربية .

وقد رأى المجمع العلمي أن دار الكتب الظاهرية ينقصها آلة تصوير الكتب تصويراً شمسياً أسوة بدور الكتب الراقية في ديار الغرب فاشتري آلة من أتقن آلات التصوير وشرع يصور للعلماء والمستشرقين ودور الكتب الجامعة ما يحتاج اليه من مخطوطات الظاهرية ، والتصوير أصبح في نظر العلماء من النسخ لأن الآلة تنقل المخطوطة كما خطها كاتبها نقلاً تاماً لا مسخ يمازجه ولا تصحيح يطرأ عليه ، أما النسخ اليدوي فما يتهم ولا يطمئن قلب المحقق اليه ، وكثيراً ما كان الناسخ ماسخاً .

والمجمع العلمي عازم على طبع كتاب جليل يعتبره العلماء مع كتاب تاريخ دمشق لابن عساكر من مفاخر دمشق ، وهذا الكتاب (الدارس في المدارس) للسعدي يبحث عن مدارس دمشق في عصور نهضتها العلمية . وعن أوقافها ومدرسيها ومن تخرج فيها من العلماء والادباء مع تراجم المشهورين منهم ، وقد اشترى المجمع العلمي جميع ما يحتاج طبع هذا الكتاب اليه من الورق الجيد ، وهو لا يزال يعد بقيمة العدد لإكمال ضبطه وتسهيل طبعه قريباً .

وقد أشاد المجمع العلمي بذكر دمشق ونهضتها العلمية ، وأكسبها والدولة السورية التي هي عاصمتها اسماً مجداً وشرفاً مخلداً ، فان علماء الأمم الغربية الراقية ولا سيما المستشرقين منهم وأكثرهم أعضاء المجمع العلمي العربي قد أصبحوا يلهجون باسمه ويرسلون الى مجلته بأبحاثهم العربية ويدعونهم الى مؤتمراتهم العلمية ، فكل ما ألقى على المجمع

العلمي من المال لا يبلغ معشار ما نالته دمشق من حسن الاحدوثة
وجميل الذكر .

هذا والمجمع العلمي العربي الذي عاش في الحكومات السابقة ولم تجرأ
على أن تصيبه باذى لا يجشى عليه على عهد هذه الدولة العربية التي يعزف
رجالها بجهادهم في سبيل العروبة ، لا سيما والقائم اليوم على شؤون المعارف
من بينهم هو الطبيب والعالم الاديب السيد عبد الرحمن النكيالي الذي ما فتئ
يبدل جهده في معالجة قضية المجمع العلمي ، ومن أخرى من الطبيب بتشخيص
الداء ووصف الدواء والسلام .

مختصر

تطور دور الكتب العربية العامة

منذ نشأتها حتى اليوم^(١)

إن في تطور دور الكتب العربية خلال التاريخ منذ نشأتها حتى اليوم شاهداً على أنها تمتد جنباً إلى جنب مع حاجات العصور وقامت بسمتها الثقافية وفقاً لتلك الحاجات .

خرج العرب من جزيرتهم وليس بين أيديهم من كتاب إلا القرآن الكريم فراحوا يخرقون البلدان فاتحين معتمدين على هذا الكتاب يجدون فيه ما يطلبون ولكن لم ينقض زمن طويل عليهم حتى دعاهم ذكاؤهم الفطري الى دراسة العلم ومعرفة أخبار المتقدمين وآثارهم فأقبلوا على كتب الاقدمين وشرعوا يترجمونها الى لغتهم ووصل بهم الامر في ذلك الى فتح دار للترجمة منظمة عليها حفاظ وكتاب ومترجمون وكان ذلك في عصر هارون الرشيد . سميت هذه الدار بدار الحكمة او بيت الحكمة ، والحكمة تشمل علوم الاقدمين العقلية أي الفلاسفة بفروعها والطبيعات والرياضيات . أحدثت هذه الدار كما قلنا للترجمة ولكن الترجمة لا تكون إلا من الكتب ولا تكمل وتحسن إلا إذا كان هنالك ما يساعد المترجمين على فهم الكتب التي يترجمونها ، أي إذا وجد مع الكتب المترجمة كتب تشرحها أو تعلق عليها أو تقاربها بالمادة

(١) كلمة محافظ دار الكتب الظاهرية السيد يوسف المش وهي خلاصة أطروحة

بؤلها ليقدما في هذه السنة الى جامعة الصوريون ياريس .

والبحث ، فكان على من أوجد دار الحكمة أن يؤهلها بكتب الحكمة ، وكان ذلك ، فقد غنم هارون الرشيد في واقعة عمورية مقداراً كبيراً من كتب الأقدمين أضافه إلى ما كان عنده من كتبهم ، وكون بها جميعاً دار الحكمة ، فتلك الدار قد جمعت إذن قبل كل شيء كتباً وتكونت فيها خزائن للكتب ، فكانت أول مكتبة عربية أمها القراء والمطالعون والنساخ مستفيدين كل في ناحيته من كتبها سواء منها العربية المترجمة أو الأجنبية غير المترجمة أو العربية الخالصة .

فدور الكتب العربية إذن نشأت نشأتها الأولى على شكل دار للترجمة جمعت فيها الكتب وهيئت للعلماء والباحثين .

ومازال الأمر على ذلك حتى كثرت الكتب المترجمة وعمت وانتشرت وأصبحت مهمة دور الكتب ثانوية ، فكان من الواجب إذن أن يحل محلها شيء آخر ، وماذا يكون هذا الشيء ؟ إن الكتب والمؤلفات العربية كانت قد أخذت في الانتشار في ذلك العصر انتشاراً كبيراً ، وموضوع الكتب العربية هو العلم العربي حقاً ، والعلم عند العرب الدين والأدب والتاريخ ، فكان من الواجب إذن أن يكون هناك دار للعلم ، وقد تم ذلك فإن سابور ابن أردشير أنشأ داراً للعلم في بغداد وأنشأ الخاقم بأمر الله مثلاً في القاهرة ، وبنو عمار على نحوها في طرابلس ، وأنشئت أمثالها في البلدان الأخرى . وكانت الغاية الأولى من هذه الدور حفظ كتب العلم الأصلية وعرضها للمطالعة ، ولكن حصل آنذاك شيء أضيف إلى صفتها هذه صفة ثانية صفة المدارس ، فكان يلقي فيها دروس في العلم والذي أضاف إليها صفة المدرسة أن الناس كانوا في حاجة كبيرة إلى الدرس على أساتذة عالين ، وأصبحت المساجد تضيق بالدروس ، ولم يكن هنالك بعد مدارس فأقبل الناس مضطرين إلى دور العلم يتلقون فيها الدروس عدا عن قراءتهم فيها للكتب وذلك أمر طبيعي

لامكان للاستغراب منه ، علي أنه فريد في نوعه .
وبعد أن أنشئت المدارس في البلاد العربية وانتشرت أي بعد انتهاء
القرن الخامس شرعت دور العلم في الاختفاء ، وظهر مكانها دور الكتب بمغناها
الحقيقي ، ووافق هذه الحركة توسع العلم وانتشاره بين معظم طبقات الشعب
فكان من الواجب إذن أن تخصص له وسائل عامة ، وكان الأمر كذلك في
في هذه الدور ، فكان يرى في كل بلدة عدد كبير منها منتشراً في الأحياء
المختلفة يعمل على تثقيف الشعب وإثراء مداركه .

ولكن يا للأسف لم تدم هذه الحركة طويلاً فقد قضى الشر الفاتحون
على هذه الدور وأحرقوها ودمروها وعاثوا فيها فساداً ، ولم يثن الحكماء الذين
استولوا على البلاد بعد هذه الفتوح أن يعم العلم مرة ثانية في طبقات الشعب ،
فالعلم تقمة على الظالم تضرب على يده مهما كانت قوية ولم يكونوا بقادرين
على أن يقضوا على العلم قضاء تاماً ، لأنهم دخلوا في الإسلام ، ولأن الجهل
مهما بلغ بالناس فلا يأتي على عقيدتهم الراسخة ، فاضطروا إلى حصر العلم
بطبقة خاصة من الشعب يفقدون عليها إيمانهم فتبقى وفيه لهم ، فأنشأوا
المدارس الدينية ، وكذلك شرعت دور الكتب في الاختفاء مائجة إلى هذه
المدارس التي كانت قسماً منها في السابق ، ومنذ ذلك التاريخ أي من أوائل
القرن الثامن أصبحت لا تجد مكتبات عامة إلا في المدارس ، ودام الأمر على
ذلك حتى أواخر القرن الماضي .

وفيه شرع في إنشاء دور كتب عامة ووافق ذلك نهضة حديثة شرعت
تنتشر في بلاد العرب قاضية على ظلام الجهل : ولكننا رغم ذلك لا تزال
نشاهد دور كتب عظيمة الأهمية محصورة في مدارس قديمة هي تراث الماضي ،
على أن التطور الذي ذكرناه سوف يقضي عليها حتماً ويجعلها تلتجئ إلى دور
الكتب العامة ، ففيها تظهر قيمتها وفيها يقبل عليها الباحثون بالدرس والتحصيل
والنشر .

إن دور الكتب العربية كما ترى سارت مع روح العصر ووافقتة موافقة

تامة وقامت بما عليها حق القيام ، فمن دار للحكمة نشرت علوم الأقدمين ، وأنت عليها بالترجمة إلى دار للعلم أساس أمرها الكتب والمطالعة ، ولكنها لم تخل من التدريس ، إلى دار كتب عامة بمعنى الكلمة ، ومنها التجأت إلى المدارس لتكون الأساس للمدرسين يسترون بها جهلهم ويعتمدون عليها في إلقاء دروسهم ، ومن ثم عادت إلى حياتها الاستقلالية فشككت لنفسها كياناً خاصاً ، واستعادت اسمها القديم : دار الكتب .

إن بحثنا هذا يقودنا إلى أن نقول بأن دور الكتب التي أسست في عصرنا هذا والذي قبله هي تراث الماضي لا تختلف عن المدرسة بشيء ، وقد يعتاض بالواحدة عن الأخرى وتبادلان بالخدمة فهي لذلك ولنتيجة التطور الذي وصلت إليه مدعوة إلى خدمة كبرى ، إلى عمل قومي فيه تثقيف مختلف طبقات الشعب ، فهي عامة قبل كل شيء ، ولا يتم تثقيف هذه الطبقات إلا بها ، ويجب علينا إذن أن נוصلها إلى هذا العمل وأن نبني الأسباب لتقدمها وأن لا نشل حر كتبها ، وبذلك نكون قد برهننا أننا أمة نغتنم الفرص وتسير مع التطور ولا تقبل الخذلان في مادة العلم .

التنظيمات الجديدة لدار الكتب الظاهرية

رواد دار الكتب الظاهرية قسمان : قسم منهم يأتي للتعليم وقراءة الكتب ، وآخر لدراسة بعض المواد التي يودون ان الكتابة فيها ، أو بمعنى آخر ، قسم منهم طالب للعلم ، وآخر ناشر له . وعلى ذلك كان لا بد من أن يخصص لكل منهم مكان خاص وفهارس خاصة تتفق مع غايتهم ودرجة معرفتهم ، وهذا ما عينا بتحقيقه في التنظيمات الجديدة التي أدخلناها على دار الكتب الظاهرية فقد أنشأنا في هذه الدار قاعتين مختلفتين : قاعة عامة للمطالعة ، وأخرى خاصة بالمؤلفين والباحثين .

نظمنا للقاعة العامة فهرسين : أحدهما باسماء الكتب مرتب على حروف المعجم ، والآخر مرتب على مواضيع العلوم ، اقتصرنا فيه على ذكر الكتب الحديثة والمهمة التي تتفق مع ثقافة التلميذ وثقافة جمهور الناس . وقد حصرنا فيه مواضيع العلوم حصراً ضيقاً لكيلا يتشتت بها فكر المطالع الذي لم يعتد بعد المراجعات العلمية .

أما قاعة التأليف (هكذا سميناها) فقد وضعنا لها فهرسين : أحدهما بأسماء المؤلفين مرتب على حروف المعجم ، وثانيهما مرتب على مواضيع العلوم بصورة مفصلة جداً نشرنا أصنافها وموادها في كتاب خاص مطبوع سميناه « تصنيف العلوم والمعارف العربية »

والعلوم مقسمة في هذا التصنيف الى ٣٥ صنفاً أصلياً ، كل صنف منها مقسم بالتالي إلى مواد خاصة ، لكل منها رقم مشكل على عددتين : أولها رقم الصنف الذي تنتمي اليه ، وثانيها رقمها الخاص حسب ترتيبها العددي في صنفها ، فالمادة الأولى من الصنف الأول رقمها مثلاً (١ - ١) ، والمادة الثالثة من الصنف الرابع رقمها (٤ - ٣) وحلم جراً . ولسهولة الرجوع الى هذا التصنيف ذيلناه بتعداد مفصل لمواضيع العلوم على الترتيب الأبيدي ، ذكرنا فيه أمام كل موضوع منه رقم المادة التي ينتمي اليها من التصنيف ، وهكذا فقد أصبح من السهل معرفة المادة من التصنيف التي تحتوي بحثاً خاصاً يراد الرجوع اليه ، وذلك بالتفتيش عن اسم هذا البحث في التعداد المذكور ، ومتى عثر على اسمه عثر على رقم المادة التي يدخل فيها .

فهذا التصنيف مع ذيله (فضلاً عن كونه مفيداً في تنظيم دار الكتب على أساس علمي) هو مفتاح لفهارس دار الكتب الظاهرية المرتبة على المواضيع ، إذ أن الفهارس محررة على أوراق تضم وترفع حسب الحاجة في دفاتر مجلدة بطريقة خاصة تتفق مع هذا الغاية ، وقد اتبعنا في تنظيمها ، كما ذكرنا سابقاً مواد التصنيف المطبوع وأرقامه ، فأصبح من السهل اذن الانتقال من التصنيف أو من ذيله المرتب على الحروف الأبجدية الى فهارس الدار مباشرة بواسطة

الارقام التي هي نفسها في مواد التصنيف وذيله ، وهي نفسها أيضاً في أوراق فهرس الدار ، وعلى ذلك فقد جمعنا بهذه الصورة بين طريقة الفهارس المرتبة على مواضيع العلوم وبين طريقة الفهارس التحليلية المرتبة على حروف المعجم لمواضيع العلوم والتي مفتاحها ذيل ذلك التصنيف المطبوع .

ولكي تتم الفائدة انتخبنا لقاعة التأليف ما يقرب من ألف مجلد في مختلف العلوم لتكون المراجع الاولى للمؤلفين ، ووضعنا في القاعة نفسها خزانة تعرض فيها الكتب التي ترد حديثاً على الدار ، وأخرى تعرض فيها الاعداد الاخيرة من المجلات .

أما ترتيب الكتب في الخزائن فكان على المواضيع حسب التصنيف المطبوع ، ولكن هذا الترتيب طبق فقط على الكتب التي حوتها الدار حتى تاريخ التنظيم ، أما بعد هذا التاريخ فسترتب الكتب الواردة حسب طولها . وقد فصّلنا في هذا الترتيب المجلات والكتب الدورية عن الكتب العادية ، وفصّلنا عنها جميعاً الكتب الصغيرة التي لا يتجاوز عدد صفحاتها المائة .

أما ساعات العمل في قاعتي المطالعة المختلفتين فهي كما يأتي :

صباحاً : من الساعة ٩ إلى الساعة ١٢

مساءً : من الساعة ٣ إلى الساعة ٦

ويضاف الى ذلك ثلاث ساعات تبدأ بالساعة ٦ مساءً فتفتح فيها قاعة التأليف فقط للمطالعين عامة دون الفرق بين المؤلفين منهم وغير المؤلفين ، وذلك ليطلع الجمهور على الكتب الموجودة في قاعة التأليف وعلى الفهارس التي تحويها .

وانا لآرجو أن تكون هذه التنظيمات الجديدة عوناً للمطالعين على الاستفادة من دار الكتب الظاهرية استفادة كاملة تامة .

يوسف المشي

لتعلموا له باسم شكيب

ان صفت شعراً فانحُ فهو حبيب أوردت نثراً فاحذُ حذو شكيب
هذا إذا غنى سمعت بشعره الأملح - ان من شياكة التشيب
وشكيب يسمعك البيان وسعره فيريك بالنفثات كل عجب
'سزح' يخال من السلامة سلبلا من رقة الانشاء والأسلوب
وتراه إما مقنعاً بدليله أو 'مطمعاً' بمنيعه المحجوب
فاذا القريب هو البعيد مناله وإذا البعيد لديك جد قريب
ما شيب في مسبوكة بتنافر أو عيب في محبوكة بغريب
طبع يصوغ من الكلام مهذباً فيروع كل مهذب وأديب
والقول إن تصنع غير مشذب لم يجده متكلف التشذيب
روض البلاغة مجذب وبيان أبداً كروض بالحياة خصيب
وله من الشعر البايغ قلائد تركت خلي القلب أي طروب
كجائب الدياج أو كبائك الوه - اج بهجة أعين وقلوب
لو شبت شعر من فصاحة قائل لعجبت من شعره المشبوب

* * *

(١) القصيدة التي افتتح بها كاتب سر المجمع الحفلة التي ألقى بها الامير
شكيب محاضراته (نهضة العرب العلمية) وهي التي ستشر في فاتحة العدد المقبل .

تخذ البراعة في الممارك رحمه لا عيب فيه غير أن منانه
 ناضت عن أحباب قومك نجدة ورددت كيد عدائهم انحورهم
 فالعرب أنت أميرهم ومجبرهم جاهدت في توحيدهم ببراءة
 وحملت في نصر العروبة حملة والدين منتهكا حيت حماه من
 فأزت غامضه لجاهل كنهه فالشرق حتى الصين كنت دليله
 والغرب^(١) أنت نصيره إن نكبة خاصمت في الإسلام كل مخاصم
 لم يبق في شرق الديار وغربها لو كان يذكر في الأذان مناضل
 ذكروك في الصلوات غير مداقع أو جاز أن يتوسلوا بسوى التقي
 ليزود عن حق الحمى المفصوب كلف بدق أخالغ وتريب
 لا قصد شكر أو جزاء مثيب فافتقر ثغر الحق بعد قطوب
 في كشف عادية ودفع كروب سحرت ومقول مدره وخطيب
 تركت عداة العرب في تنبيب أم تعادي روحه وشعوب
 حتى استجاب وكان غير مجيب للدين أو لسراطه الملحوب
 حلت به وبسربه المنهوب وجفوت في الإسلام كل صريب
 من ليس يابح باسمك المحبوب عن دينه أو قومه المحروب
 قبل الشروق على وبعد غروب لتوسلوا لله باسم شكيب !



(١) الغرب إن أطلق أريد به مقابل الشرق أو أوربة ، ونحن أردنا
 به المغرب وبلاده الإسلامية .

كلمة الاستاذ

محمد بهجة البيطار^(١)

اشتهر الأمير شكيب أرسلان بكونه أشهر من كتب في السياسة والتاريخ والأدب ، وبكونه أمير البيان وكاتب الشرق ، فمثل هذا الضعيف لا يستطيع أن يفيد حقه من الوصف أو الثناء والاطراء . إن أمير البيان حفظه الله مجاهد بنفسه وماله ، وعلمه وقلمه ، ولسانه وقوة بيانه ؛ أما جهاده بالنفس والمال فحسبك أنه بذل نفسه وماله في سبيل الله فاشترك في الدفاع عن طرابلس الغرب وبرقة ، ولم يزل ينفق من ماله في سبيل المصالح العامة بسخاء ، وأما جهاده بعلمه وقلمه فقد ملأ صحف الدنيا دفاعاً عن الإسلام والعروبة ، وانك لتقرأ لأمر البيان في اليوم الواحد عشرات المقالات في صحف آسية وإفريقية وأوربية ، عدا ما ينشره من مصنفاته التي هي أغلى من الدر ، فمنها كتاب الحلل السندسية ، وهو المعلمة الأندلسية الكبرى ، ومنها حواشيه على كتاب حاضر العالم الإسلامي ، وهي التي سارت بذكرها الركبان ، ومنها حواشيه على تاريخ الإمام عبد الرحمن بن خلدون وغيرها وكل واحد من هذه الكتب يقع في مجلدات .

وأما جهاده بلسانه وقوة بيانه فيما يصدع به من الحق ، وبما يملأ به مجاله من علم وأدب ، وبما يلقيه من الخطب والمحاضرات في المنتديات والمجامع والمحافل

(١) التي ختم بها محاضرة الأمير .

في الشرق والغرب ، ومن أعلامها هذه المحاضرة التي شنت بها أسماعتنا في ردهة مجتمعاتنا العلمي ، فقد وصف لنا بها نهضة العرب في هذه الحقبة الأخيرة وصفاً جامعاً بالغا .

أقام أمير البيان في بلاد أوروبا أكثر من عشرين عاماً يجاهد في سبيل أمته بكل ما أوتي من قوة ، ويمثل في الأصقاع الغربية علوم الشرق وآدابهم وأخلاقهم ، وليت فئة الشبان المتفرنجين الذين يذهبون إلى بلاد الغرب يحذون حذو الامير في أدبه وخلقه وعفته ، ليكونوا شرقيين بأخلاقهم ، وغربيين بمعارفهم الحديثة المفيدة ، وليت الامة تحتج على الذي ترسله ليمثلها خلقاً وأدباً ، ويتعلم علماً ينفع به أمته ، فيخيب رجاءها فيه - ليتها تحتج الى صحف الغرب وأولي الشأن فيهم لينصفوها منه ، واذا باء بالخيبة والاختفاق فمن حتى الجامعة التي لم تنجح فيها أن تحتج لدى الشرق بأن هذا لا يمثلهم في جدم ، ولا في معارفهم وصناعاتهم فيخسر هذا المسكين أرب أجداده وبلاده ، ومعارف الامة التي شد رحله اليها فيصح فيه قول القائل :

لا إلى هؤلاء ان نسبه وجدوه ، ولا الى هؤلاء

هذا وانا لثرجو من أمير البيان ، ان يعتزم الإقامة في وطنه ، فإننا لننتبط به ونفتخر بمقامه في ديار الشام ، أكثر الله من أمثاله في العلماء الاعلام والمجاهدين الكرام .

محمد بهجة البيطار



آراء وأخبار

حفلة افتتاح

دار الكتب الظاهرية بعد تنظيمها

بعد عودة السيد يوسف المش محافظ دار الكتب الظاهرية من ديار الغرب واختصاصه بتنظيم دور الكتب ، لبث في الظاهرية مدة سنة ونصف يعمل على وضع انقمارس العامة وعلى تنسيقها ، وبعد أن أكمل عمله هذا أراد التفرغ لتصنيف الكتب وفق هذه الترتيبات الحديثة ، فأذنت له وزارة المعارف بإقفال دار الكتب ريثما يتم عمله هذا على هدوء وفراغ بال ، فجدد لتحقيق ذلك الى أن أكمل التنظيم المنشود الذي يسهل على المطالعين والمؤلفين أمر الرجوع الى الاسفار المحجوبة في خزائن الظاهرية ، وعلى أثر ذلك أعدت هذه الحفلة لاعلام الناس باستئناف فتح الظاهرية وإرشادهم الى طريقة المراجعة الحديثة ، وفي يوم الجمعة الواقع في ١٧ ايلول ١٩٣٧ فتحت الظاهرية أبوابها للمدعوين الى الحفلة التي كانت ملحوظة برعاية وزير المعارف ، وافتتحت هذه الحفلة بكلمة محافظ دار الكتب مبدئياً الترنيبات الحديثة التي أدخلت عليها وشفعها بكلمة أخرى موضوعها « تطور دور الكتب العربية ^(١) » ثم قام على أثره الاستاذ محمد بهجة البيطار عضو المجمع العلمي فألقى كلمة ممتعة في الجمع بين الثقافتين القديمة والحديثة

(١) نشرت في باب المقالات من هذا الجزء .

ومما مثلان في الظاهرة بما فيها من الكتب القديمة الصغرى والحديثة البيضاء ، وبعد ذلك ألقى كاتب مر المجمع العلمي كلمة موضوعها (أثر المجمع العلمي في إنشاء دور الكتب والآثار في الديار الشامية) ثم ألقى على أثره نائب دمشق السيد فخري البارودي كلمته الطيبة في خطورة دور الكتب العامة وأثرها في الثقافة ، بعده نهض أمير البيان وعضو المجمع العلمي العربي الأمير شكيب أرسلان وألقى كلمة مسبهة بين بها ما كان للأرب في إبان نهضتهم من آثار مباركة في إنشاء دور الكتب ونشر العلم وترقية العلوم وضرب لذلك أمثالا واضحة تؤيد أقواله . وكانت مك الختام كلمة مرتجلة لوزير معارفنا العالم الطيب عبد الرحمن الكيالي أفاض فيها في بيان إهمال الناس لما ورثوه عن آبائهم من الكتب المخطوطة النادرة وتركها لث والغبار ، وحث الناس مينا أن أجمل وسيلة لحفظ تراث أجدادهم أن يهدوها الى دور الكتب العامة الحريصة على صيانتها ونشر ما تشتمل عليه من الفوائد على الناس .

وبعد أن أتم كلمته البليغة دعا بمحافظ الظاهرية المدعوين الى مشاهدة التنظيمات الحديثة وطريقة الانتفاع بها ، فسر الناس بما شاهدوه من الاتقان والاحسان ، وعادت ثاني يوم دار الكتب الى سابق عهدها بجلتها الجديدة المفيدة .

* * *

محاضرة الامير شكيب أرسلان

في الساعة الرابعة من مساء الثلاثاء الواقع في ٣٠ رجب ١٣٥٦ (٤ تشرين الاول ١٩٣٧) ألقى الأمير شكيب أرسلان عضو مجعنا العلمي في صحن دار المجمع محاضرة ممتعة في نهضة العرب العلمية في القرن الاخير ، وكان الجمهور كبيرا فنصت الدار بالمستمعين ، وسنشر هذه المحاضرة الجامعة في فاتحة الجزء الحادي عشر من هذه المجلة .

وفي الأجل المضروب لالقاء المحاضرة قدم كاتب مر المجمع الامير المحاضر

للجمهور ، وأنشد قصيدة له ^(١) في أمير البيان تصف مزايًا ثوره وشعره ، ومبلغ جهاد الأمير في خدمة العروبة والاسلام نشرناها في هذا الجزء ، وبعد ذلك شرع الأمير في تلاوة محاضرته التي استغرقت نحو ساعتين ، وعلى أثره نهض العلامة الشيخ محمد بهجة البيطار وختم هذه الحفلة للبركة بكلمة طيبة ارتجلها في بيان مزايًا الأمير المحاضر كانت مسك الختام .

* * *

اللغة العربية

في محطات الاذاعة البريطانية

جاء في الانباء اللامكية أن وزير المالية البريطانية السير جون سيمون أدلى في مجلس العموم ببيان مطول يستفاد منه أن محطات الاذاعة اللامكية البريطانية ستذيع أيضًا برامجها باللغات العربية والاسبانية والبرتغالية .

* * *

اللغة العربية في عصبة الامم

من توثب الامم من بكسب امته مجدًا وفخارًا ، مثل السيد علي باشا الشامي مندوب مصر الدائم في عصبة الامم فقد تبوأ مقعده أخيرًا في اللجنة السادسة وسعى فيها لجمال لغة العربية لغة رسمية لنشر آثار لجنة التعاون الفكري ، وما كانت من قبل تنشر الا باللغتين الفرنسية والانكليزية ، بيد أن السيد الشامي قد توفق في جداله مع اللجنة واستدلّاه على وجوب نشر هذه الآثار الجليلة باللغة العربية فأكد بها هذا الشرف اللغوي الذي امتازت العربية به امتياز الفرنسية والانكليزية على سائر لغات النشر ، فالامة العربية من مصرية وغير مصرية تشكر النائب النبيل الجليل على نبيل رأيه وجليل مسعاه ، واللغة العربية المبدنة تبتهل الى الله في أن يكثر أمثاله من حماها وأن يبارك لها في حياته .

(١) يراها الفارسي منشورة في هذا الجزء مع كلمة الاستاذ البيطار .

بحر العوام

فيما أصاب فيه العوام

نشر المجمع العلمي هذه الرسالة اللغوية التاديرة لمؤلفها عالم الشام في عصره الشيخ محمد بن ابراهيم المعروف بابن الحنبلي الحلبي ، وقد جاء في الصفحة ١٠٧ منها ما نصه : (نرجو ممن يعثر من العلماء في حلب أو غيرها على نسخة أخرى من بحر العوام أن يتفضل بإنباء المجمع بذلك) وقد أخبرنا العلامة الامير شكيب أرسلان أنه كان قد سمع لأول مرة باسم هذه الرسالة من الشيخ علي يوسف صاحب المؤبد ثم عثر عليها في خزانة كتب السيد عبد الخالق السادات الوفاية بمصر ، وكان قبل ذلك قد سأل الاب أنستاس الكركلي عنها ، فلهذه الرسالة اذن شقيقة في الخزائن الوفاية ، ثم علمنا بوجود شقيقتين أخريين في الخزانين الزكية والتميمورية ، فاجتمع لنا بذلك أربع شقائق .

وامير اليان يعتقد أنا في حاجة ماسة الى نشر مثل هذه الكتب التي تربط لغة الخلف بلغة السلف ، وان غير الفصحى أو اللغة الميمنة من اللغيات لا بعد خطأ ، أقول : وقد كان العرب الفصحاء يتكلمون في الجاهلية وصدر الاسلام بها ، وما القراءات السبع أو السبعة الاحرف الا لهجات صحيحات أجاز النبي (ص) القراءة بها تسهيلا لنشر القرآن ونوسيمًا لنطاق اليان . هذا وان بقاء اللغيات على الالسنه الى يوم العرب هذا ، وهي ترجع الى قبائل عربية عريقة في الفصاحة ، لدليل مبين على نزول هذه القبائل في الاقطار التي يابج أبنائها بها ، فما كن صحيحًا فصيحًا منها حافظنا عليه ، وما كن غير ذلك طرحناه ولم نلتفت اليه ، مع أنا في استعمالنا للفصح الصحيح من لغة العامة نكون قد قربنا بين لغتي الكتاب والخطاب ، فسهلنا لغتنا العربية على الابناء والغرباء ، وليس من المعقول والمقبول في شيء أن نهمل الفاظ لغتنا وهي صحيحة ومأنوسة مستعملة ، ونبحث عن الفاظ غريبة ومهجورة مهمله .

مطبوعات حديثة

كتاب في الشطرنج ومنصوباته وملحه

لمؤلف مجهول اسمه

قد اعتنى بطبعه وتصحيحه، نقلا عن نسخة وحيدة محفوظة في المتحف البريطاني

الأب فيليكس بارينجا اليسوعي

طبع في مدينة مجريط بالاندلس سنة ١٩٣٥ م

نظم هذا الكتاب وسط ٤ وصفحاته خمسون ومئتان ٤ وفي خاتمة انه تم سنة خمس وخمسين وستائة هجرية ٤ وهو مفتتح بمقدمة ضافية قد استغرقت منه تسع عشرة صفحة في حكم الشطرنج وحكمته وسبب وضعه وتعريف طبقات حذائه والتفاوت في القيمة بين منصوباته ككون يذوق خيرا من فيل ٤ والفرق بينه وبين الترد حكما وحكمة وفي المعاني الخطيرة التي يرضيها اليها من عقائد دينية وقواعد حرية بنواميس كونية ٤ وفي المقدمة من الشعر تسعة عشر بيتا للأخطل وأبي تمام وابن أبي البغل وغيرهم في الترد والشطرنج ٤ كما في خاتمة الكتاب واحداً وعشرين بيتاً من الشعر الذي بكثرت استشهاده أدباء الشطرنجيين به لموافقة معانيه لكثير من الاحوال التي قلما يجلو دنت الشطرنج منها كقوله عند ضرورة المخاطرة :

لم يبق من طلب العلا إلا التعرض للحواف

وقول المتحير الذي خفي عليه وجه الصواب وحصل طريق الظفر بقاء كثير من منصوباته :

سيوف لعدي بالوئي بن غالب حداد ولكن أين بالسيف ضارب
وبين المقدمة واثناثة خمس عشرة ومثان من صور رفعة الشطرنج مع بعض
منصوباتها كأنها بين لاعبيها وقد وصلا الى حيث يتوقع كلاهما أو أحدهما
أن تقع الواقعة وتكون القضية وجمهورتها متوجة بعناوين ترشد الى عاقبة الامر
فيها بتسمية غالبيتها ومغلوبها .

والمؤلف يتبع كل صورة منها بفصل طويل قارة ويقصر طوراً حتى ينتهي
بالقول الفصل على رأيه في التصرف بمنصوباتها للوصول الى ما تقتضيه أوضاعها
من المواقب فيظهر على وقف العنوان من هو للمغلوب ومن هو الغالب .

ومن قواعد الشطرنج في هذا الكتاب مما ليس بمداول في هذا العهد ولا
معروف أن فيله يمشي على مدى قطر ثلاث مربعات متصلات الاقطار فلا يتخطاها
ولا يتقاصر عنها وان فرزانه لا يتجاوز مشياً وأكلاً بيتاً واحداً على شرط ان
يكون مما يلي مقره عن طريق الزاوية فلا يستطيع اختراق الاضلاع ولا سلامة
له على ما يليها .

لغة الكتاب كأكثر الكتب العربية للمؤلفة في ذلك القرن السابع للهجرة
لم تسلم من تكلف السجع في صدر المقدمة ولم تبتأ من ألفاظ علمية مبتذلة
كالتقصد وانصاح وايش ما لب راجع الصفحات ١٢ و ١٥٣ و ١٦٤ على ان
الكتاب يمتاز بقوة الحجّة وملطبان المنطق في حسن التعليل الصادر بتحريم
الترد ، كما يمتاز بذكر كثير من النصوص الواردة في شأن الشطرنج عن
أعيان الثقات من كبار علماء الصحابة والتابعين والائمة . ومن مزايي الكتاب
أنه جمع مما قيل في الشطرنج ما تفرق من الكتب للمؤلفة قبله كمروج الذهب
للمسعودي وكالفهرست لابن النديم وكلاهما من نخبة آثار القرن الرابع للهجرة ،
ومن مزاياه بيان قواعد وأسرار شطرنجية خطيرة حفظها بعد أن ضاعت
وكادت .

والاستاذ المستشرق المفضل الذي عني بتصحيح هذا الكتاب وطبعه أنبعه
بكتابين ألفهما بلفته الافرنجية في موضوع الشطرنج أعاد فيهما ما في الكتاب
العربي من الصور الشطرنجية وهما يشتملان على أكثر من خمسمائة صفحة ، وقد
نشر في ثانيهما صوراً شمسية لثلاث صفحات من المخطوط العربي المحفوظ في
المتحف البريطاني ولم ينشرها في المطبوع العربي الذي هو أحق بها ، فعساه
إذا أعاد طبعه ان ينشرها فيه ليكون قد جمع بين الاصل وفرعه ووضع مع
الولد نموذج أمه ، على أن صفحة الكتاب الاولى الشمسية تشتمل على بيان
مصطلحات شطرنجية تختص بالكتاب نفسه وهو خال منها لانها مكتوبة بقلم
غير للؤاف ممن ملكوا ذلك الكتاب كما يظهر في توقيعه وطابع خاتمه هنالك
على ظهر تلك الصفحة الاولى .

هذا ولا ريب في أن الاستاذ المستشرق المفضل عاني في الاعتناء بتصحيحه
جهداً جامداً ، يرى له مطالع الكتاب في كل صفحة منه شاهداً يدل على انه
وفاء حقا من أعمال الفكر وانعام النظر تصريحاً بصحة أو تصحيحاً لخطأ أو
استغناءً عن مبهمة أو احالة على بحث له علاقة بما في تلك الصفحة ، فما من
تصحيح أو تحريف أو ضم في الكتاب الا وتجد إشارة عليه بقلم ذلك الاستاذ
الذي عني بتصحيحه اللهم الا القليل النادر كما في الصفحة السادسة والعشرين
تحت صورة الرقعة الشطرنجية الثامنة حيث وقعت كلمة الشاء مكان كلمة
الفرزان وفاته ان يشير اليها ، اما حنات تصحيحه فانها تجعل مرید احصائها
مبهوراً ، فشكراً له من ذي همة سمت به الى احياء هذا الكتاب الثمين بعد
ان ظل ككثر دفين مئات من السنين .

عبد القادر المبارك



المحبة البيضاء

في صحة نعت الجمهور بفعلاء

الجزء الثاني من البرهان الجلي على علم الكرمل لأمين خير الله

١٣٥٦ - ١٩٢٧

مطبعة الترقى بدمشق

صفحاته ٨٤٤

تختلف أنظار اللغويين اختلافاً بيناً في ناحيتين واضحتين : ناحية التشدد وناحية التساهل ، والغالب أن يكون المتشددون المتزمثون ضيق دائرة المعرفة ، محرومين من رحابة الفكر والصدر ، فيهبجون لكل ما يرونه مخالفاً لمعرفتهم ، وكثيراً ما يؤيد ما خالفوه أو هاجوا من أجله علماء في اللغة وأئمة في النحو والبيان كما يطلب أن يكون المتساهلون أوسع اطلاعاً وأطول في البيان بآناً ، فيجرون على سلائقهم العربية وسجيتهم العلمية في الاشتقاق والتعريب وتسهيل دراسة العربية وتذليل أساليب البيان .

فمن فريق المتشددين الامام الكسائي وأبو هلال العسكري والحري صاحب (درة الفواص في أوام الخواص) ، والجواليقي صاحب (تكملة اصلاح ما تغلط فيه العامة)^(١) وهاشم بن أحمد الحلبي مؤلف (اللحن الخفي) وابن باني السبني وأبو بكر الاشبيلي وأمثالهم ، ومن الفريق الثاني المتساهل فيما لا يمس جوهر العربية ولا أساليب يافت العرب : الامام الخفاجي فيما كتبه على درة الفواص ، ومحمد بن ابراهيم للعروف وابن الحنيلي الحلبي مؤلف كتاب (بحر العوام فيما أصاب به العوام) والامام الزمخشري الذي يرى الاستشهاد بكلام

(١) نشره المجمع العلمي العربي مع كتاب بحر العوام مع تعليقات وتحقيقات

فحول الشعراء وكبار الادباء والمحدثين من رواة اللغة ، ولذلك استشهد بالكثير من شعر المحدثين وهو على حق في ذلك ، لأنه ممن بلغ بهم توسعهم في العربية وتحققهم ببيانها مرتبة الاجتهاد ، ومثله في التساهل الامام محمد بن مالك فإنه يرى الاستشهاد بالحديث مخالفاً للمتشددين الذين يمنعون ذلك بدون حق ولا هدي ولا كتاب مبين .

ونحن الآن في الكلام على كتاب (المحجة البيضاء) أمام متشدد متساهل ، والمتشدد هو الاب أنستاس الكرمل المعروف بأبحاثه في الالفاظ اللغوية وإرجاع بعضها الى اللغات السامية أو الاغريقية القديمة ، وقد رأى فيما اطلع عليه من كتب البلغاء ، أنه لا يصح نعت الجموع بفعلاء ، فلا يجوز لعربي أن يقول : كريات بيضاء ، ولا رياض فيحاء ، ولا صحف أو جرائد غراء ، بل يجب عليه أن يقول : كريات بيض ورياض فيح وجرائد غر ، وأما المتساهل في ذلك فهو الشيخ أمين ظاهر خير الله الشويري ، متابعاً كما يقول « للفصحاء الموثوق بصحة السنتهم الذين يحتج بأقوالهم » .

وليس من معاب على من احتذى حذوم وفي كلامهم الكثير من ذلك الاسلوب الذي يأباه اللانعون ، وقد استشهد لتأييد ما ذهب اليه بعشرين حجة وردت في كتب العرب مثل : الحمر الخشباء والكلم العوراء والمضاب الملساء والقبة البيضاء والكثيبة الشباء والعرب العرباء واخوانها من الحجاج العشرين التي يرى القارئ تفصيلاً في هذا الكتاب .

أما الحمر الخشباء فيقول الكرمل في تجويزها ان الخشباء منقولة الى الاسمية كما نقلوا الخضراء والسمراء والزرقاء ، ويقول الشويري انها صفة على ما يطرد في باب أفعل ، والحمر جمع حمار فجاز نعتها بفعلاء ، واذا كانت الحمر جمع تكسير وبمعنى جماعة جاز نعتها بخشباء على اللحن ، أما كون الخشباء منقولة الى الاسمية فصحيح لانها تجمع على أخاشب ، وما ذهب اليه الشويري صحيح لا غبار عليه لقوله تعالى في سورة الشعراء :

« ان هؤلاء لشرذمة قليلون » ، وقد استشهد بهذه الآية الاب الكرملى وقال مانعه :

« فقد وصفوا بالجمع لان مدلولها مجموع ويميز كذلك أنت تقول : شرذمة قليلة لان لفظها مفرد مؤنث » - ويرى الاستاذ الشويرى وفي قوله هذا حجة له ، لان شرذمة لفظها مفرد ومعناها جمع ، والقرآن قد اختار للمعنى على اللفظ فجاء (قليلون) نعتاً لشرذمة ولو اختار اللفظ لقال قليلة ، فعلى هذا يكون ما ذهب الشويرى اليه صحيحاً من قوله (هضاب ملساء) ، لان معنى هضاب جمع ، وكل جمع مؤنث ، وكل مؤنث ينعت بالافراد ، فهضاب ملساء ومثلها قبة بيضاء وكتيبة شياه .

اما الاب انتاس فيقول :

هنالك فرق بين الجمع وبين اسم الجمع وشبهه ، فلو أنانا بشاهد مثل نساء سمراء لقلنا له أصبت ، لكنه جاء بألفاظ تحتمل الافراد والجمع فلم يفدنا الفائدة التي كنا نوقعها .

والخلاصة ان المتشددين لا يقولون كلاماً المبرد الا ثياب سود وخيل دهم ، وللتساملون كلاماً الشويرى وكثير من كتاب العصر في يومنا هذا على ذلك لا يرون بأساً في نعت الجموع بفعلاء لا فرق بين الجموع وأسمائها وأشباهها ، ولعل كثرة الاستعمال في نظرم مما يجعلها فصيحة فقد قال أئمة المعاني والبيان (حيث ذكر أهل اللغة الفصاحة فرادهم بها كثرة الاستعمال) .

وأختم كلمتي بهذه نصيحة أسديها للشيخ أمين ظاهر خير الله الشويرى : أن يكف عن مجادلة الاب انتاس ومناظرته فانه يعتقد انه لم يناظر أحداً من علماء اللغة الا قتله (كما جاء في آخر المناظرة اللغوية الادبية ص ٩٤) وهي التي دارت رحاها بين الاساتذة المغربي والبستاني والكرملى ، ونشرتها في هذه الآونة مكتبة القدسي ، إذ يقول ناشر المناظرة : « بلغني ان الاب الكرملى إذا ذكر الاستاذ البستاني يترحم عليه ويقول : انت من

غرائب الاتفاق أن تدرك الأستاذ منيته عقب مناظرتي إياه بمدة يسيرة ، وكأنه رحمه الله انما مات متأثراً من صدمة الرد ، ومثله في ذلك الاساتذة جبرضوط والاب منش الحلبي وأسعد خليل داغر ، فقد مات كل واحد منهم بعد مناظرتي إياه متأثرين بقوة الحجة ومفحم البرهان . »

« التوضي »

* * *

مناظرة لغوية ادبية

بين الاساتذة

عبد الله البستاني عبد القادر المغربي أنستاس الكروبي

في ٩٦ صفحة من القطع الوسط

للشباب الاديب السيد حسام الدين القديسي هم مشكورة في طبع الكتب النافعة قديماً وحديثاً ، وآخر ما أتخف للاكتبة العربية به ، طبعه هذه الرسالة طبعاً نظيفاً على ورق صقيل .

ولا بد من كلمة تمهيدية بعرف بها القارئ الظروف الذي نشرت فيه هذه المناظرات ، فقد أعاد الناشر إلى الذهن ذكر معركة حامية قامت منذ سنة عشر عاماً بين الاساتذة المذكورين .

كان المجمع العلمي العربي إذ ذاك في أول نشأته وعنفوان نشاطه ، وكان قد أحدث في الشام اهتماماً خاصاً باللغة العربية وجلب إليها الأنظار بما نشر من بحوث مفيدة يجاهر فيها أعضاؤه ، ومقالات نافعة تعلم الناس وتقوم من ألفتهم ما فيها من عوج ؟ كان المجمع يومئذ معقد الآمال ومطمح الانظار ومحط العناية من مختلف الطبقات الشعبية والحكومية ، فاستطاع أن يرفع مستوى اللغة العربية والتاريخ القومي في البلاد وعجل نضج الحركة الفكرية

فيها . وكان الادباء والعلماء الذين اشرأبت أعناقهم وتطلعت قلوبهم ليحوزوا شرف العضوية فيه عدداً غير قليل . ولقي الجمع من هذا النفر عتقا : لانهم لما أخفقوا ناصبوه العداء ، فشرعوا أقلامهم وأطالوا ألسنتهم في نقد ما يضع من مصطلحات أو يصلح من غلطات ، تقدماً كان نصيب الغرض فيه أوفى من نصيب الحق .

من هؤلاء النفر : الشيخ عبد الله البستاني الذي تشغل مقالاته الاربع في نقد (عثرات الاقلام) التي نشرها المجمع ثلثي الرسالة ، والذي قال فيه الاستاذ المغربي : « أراد أن يهدم بناء مقالاتنا (عثرات الاقلام) ويتخذ من أنقاضها سلاسل يرتقي عليها الى قمة الشهرة واحتكار البراعة في اللغة العربية »^(١) نقد الاستاذ البستاني في مقالته الاولى كلمات وردت في نشرة للمجمع وهذه هي (حبتد يحبتد ، واطن بواطن ، رجل بكل معنى الكلمة ، داخل بسداخل ، حايد ، تأكد ، اتزه ، عناير) وقد تكلف لنقده هذا غاية الشكف ، حتى كان التعقيد والتعقير يشينان أكثر المقال ، وكان في حظاره استعمال أكثر تلك الكلمات قد حجت واما ، الا أنه كان عفيف اللسان ، لم يتعرض لشخص معين بسوء ، وكان الى جانب الادب أقرب منه الى جانب الحق .

ومقالته الثانية رد بها على الشيخ المغربي الذي كان يقده لاذعاً^(٢) وهي تشهد بأن البستاني غير عاجز في ميدان الرد بل هو من فرسانه المجلين .

لكنه يبدو في رده على الكرمللي صائلا سليط اللسان لاذع التنكيت ، بسيط من كلامه ما لا يحيل ، فهو يقول له ص ٢٨ « يا محترم ، من أعظم البلايا أن تكون لي مناظراً » ويقول ص ٢٩ « ومن العجب أنك تقول القضاء ، وانت لا تدري أين تضع الباء » و « لم تخرز من آداب اللغة الا شيئاً يسيراً لا تستدر منه جدوى ولا يسهل عليك تأليف عبارة خالية من حزازة قتلحس كذاباً واضح التعبير وتخرج به على ادب . . . وتدرج في آداب البحث وتبصر في كل ما نثلقه الخ . . . »

والذي يختص به القاري من مقالاته : الاعتقاد بسعة اطلاعه وتمكنه من علوم اللغة ، وبرشاقة أسلوبه ما لم يتكلف ، فإذا فعل فهناك ما شئت من غموض أو - على رأي الأستاذ المغربي - من معازلة وعسلة .

بقي شيء واحد يؤخذ على الأستاذ المغربي وهو أن مذهبه في الالفاظ الدخيلة والعامية مذهب الإباحيين لا يحظر منها شيئاً ، قال حاكياً رأي أعضاء المجمع ثم رأبه الخاص فيها : « فهم^(١) يرفضون قبول كل كلمة اعجمية ويبحثون عن أخرى سواها من اللغة العربية يقوم مقامها ، حتى إذا لم يجدوا قبلوا الاعجمية بعد إفراغها في القوالب العربية . هذا رأي رفاقي ورأي الكثيرين . أما رأيي في أمثال تلك الكلمات فهو غير رأيهم : لاني لا أرى مانعاً يمنع من استعمال العرب أو اللخيل إذا شاع ... »

وقد اطلعت منذ أيام على كتاب معرب بقلم كاتب من أشهر كتاب مصر فرايت فيه كلمات وتراكيب دخيلة ما كنت احسب أن يجري بها قلمه ، وقد اراد أعضاء مجمعنا أن يعنوها من عثرات قلمه وينبهوا اليها ، لكنني ضمنت بها عن هذا الموقف وخبأتها للاستشهاد بها على صحة رأيي وهو وجوب التسامح في الكلمات الدخيلة «

والذي نستغربه من مثل الأستاذ المغربي أن ينكر^٢ على البستاني تصحيحه أخطاء وردت في معجم (اقرب الموارد) وهو ما كان حقيقاً أن يحمده عليه غاية الحمد ، فليس على الأرض اشنع من غلط في معجم ، وهو إذا وجد زلة من كاتب معروف يجعل زلته مذهباً في الصواب جديداً يجب اعتياده في اللغة كأن قائله امرؤ القيس أو علي بن أبي طالب ، وهو تساهل في الأستاذ مشهور والامانة تقضي عليه أن يقول للمخطئ أخطاء ، ولو سار الناس على مذهبه لكان لنا في كل عشرين سنة لغة جديدة ، ونحمد الله على أن الناس في هذه النهضة ماضون قدماً في احياء لغتنا الكريمة وقض ما علق بها من دخيل

مرذول او عامي ساقط ، شأن كل الاسم الحية ذوات الكرامة والعزة ، بل ان كثيراً ليلعنون فيفضلون الاصطلاح القديم المهجوز على العربي المحدث في زماننا مهما كان الاول ثقيلاً والثاني رشيقاً .

واما الاب الكرمللي فقد عاب على البستاني تشدداته ، فاستعرض كل ما قال المتناظران ، فصوب من كلامهما ما صوب ورد ما وجده خليقاً بالرد . ثم ختم الناشر الرسالة بكلمة عادلة لاميير البيان شكيب ارسلان قال فيها : (لكل من استاذنا البستاني والامتاذ المغربي والاب الكرمللي وجهة فيما يقول ، وهذه مسائل قبل فيها الشيء وعكسه كثيراً ، وما اوسع ابواب العريية لمن عرفها .) واظن ان هذا قول فصل في اكثر المناظرات اللغوية .

* * *

قيمة هذه للمناظرة والبحوث التي دارت فيها تاريخية : اذ انها تطلعننا على ما كان يشغل به بعض اللغويين قبل ستة عشر عاماً ، وترينا كيف كانوا يتبادلون النظر ، والا فالجدوى التي يخرج بها القارئ اليوم من تلاوة الرسالة ضئيلة جداً اذا املنا النظرة التاريخية .

سعيد الرفاعي

* * *

الحياة الزراعية

مجلة زراعية اقتصادية مصورة

رئيس تحريرها : المهندس الزراعي طلعت الخربوطلي

سنتها عشرة اعداد موقتاً مطبعة الترقى بدمشق

وصل اليها الجزء الثاني من هذه المجلة الزراعية القيمة التي تصدرها الجمعية الزراعية السورية التي تأسست في دمشق سنة ١٣٥٦ للهجرة (١٩٣٧ م) ويرصد ريعها للجمعية ، وقد ظهرت هذه المجلة في زمن تشتد حاجة البلاد الشامية فيه

الى امثالها لان تقدم الزراعة والصناعة مما يعين على تحسن الاحوال الاقتصادية وتخفيف وطأة هذه الازمة الشاملة .

ان من وضوح الدلالة على مبلغ إفادة هذه المجلة أن بقي القارىء نظرة على فهرسها ففيه أبحاث عن غابات منطقة الزويرة بحوران ، وعن الروائح العطرية والصابون المطيب ، وعن الازهار والحدائق ، وعن البزور القوية الانتاج ، وعن التقليم ، وعن من التفاح وغيره مما تمس اليه حاجة الفلاح السوري ، ولذلك نرى أن هذه الجمعية الزراعية الفتية من أولى الجمعيات الشامية في موازنة الحكومة والامة ، وقد سدت مجلتها هذه النافعة في بناء نهضتنا الحديثة نقرأ لا يسده غيرها ، فتحتنى لما حباها طوبلة طيبة ونجاحاً كاملاً ورواجاً شاملاً .

« التروخى »

* * *

كتاب المثني

لاي الطيب اللغوي

لدى المجمع العلمي مخطوطة قديمة من كتاب المثني لاي الطيب اللغوي صاحب مراتب النحويين ، وقد عزم المجمع على نشرها بعد تصحيحها وتحقيقها ، فهو لذلك يرجو ممن يعلم من علماء العرب والعجم بوجود نسخة ثانية من هذا الكتاب في خزائن الشرق والغرب أن يكتب الى المجمع بذلك ليسعى في تصويرها أو نسخها لكيما يتمكن بمعارضة النسختين ان يخرج الكتاب للناس صحيحاً منقحاً .



مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق

العدد ١٣٣٩ : هو الموافق لسنة ١٩٢١ م

تشر في دمشق مرة في الشهر

تشرين الثاني و كانون الأول سنة ١٩٣٧ م

شعبان و رمضان سنة ١٣٥٦ هـ

دمشق :

المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي { في سورية و لبنان ١٥٠ قرشاً سورياً
الدفعة مقدماً { وفي جميع الاقطار ٤٠ فرنكاً

بجاميع المجلدات عن السنين الماضية

من السنة الاولى الى السادسة ، ثمن كل سنة منها في الداخل ٢٥٠

السابعة الى الثانية عشرة ٢٠٠

الاولى الى السادسة في الخارج ٤٠٠

السابعة الى الثالثة عشرة ٢٢٥

نهضة العرب العلمية

في القرن الأخير

محاضرة الأمير شكيب أرسلان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نمبر

لقد تكلمنا منذ أيام في النادي العربي عن نهضة العرب السياسية وسيهم في طريق الاتحاد فيما بينهم اقداة غيرهم من الامم اللاتي كن مفككات مبعثرات ، فما زلن يسمين في الانضمام إلى أن أصبحن كتلة واحدة . ونحن نتكلم الآن عن نهضة العرب العلمية التي هي في الواقع أساس النهضة السياسية مختارين لهذه المحاضرة مكان المجمع العلمي^(١) الذي هو المنبر الطبيعي للمباحث العلمية كما اخترنا النادي العربي منبراً للكلام عن الوحدة العربية التي هي من مباحثه ، وإنما كان الفرق بين الباحثين أن الواحد منهما سياسي صرف لا يجوز الخوض فيه إلا بالمقدار الذي تسمح به المصلحة ، وأن الآخر علمي بحث بقدر أن يستقصي فيه الباحث ما شاء دون أن يتعرض لمحدور أو يعرض امته لضرر ، وبهذه المناسبة أعلن أنني آسف بل جد آسف من أن أرى بعض اخواننا معتقدين

(١) من غريب الاتفاق أن يأتي الأمير العلامة هذه المحاضرة الجامعة في المجمع العلمي في المكان الذي اجتمع فيه لأول مرة في مستقبل شبابه بمفتي دمشق الشيخ محمد النبي الذي كان يقطن يومئذ في المدرسة العادلية التي كان له حق التولية عليها يومئذ .

ان الانسان إذا حاضِر في باب السياسة وجب عليه أن يفرغ جعبته من أولها إلى آخرها ، وأن يجهر بكل ما يدور في خلده كما لو حاضِر في باب العلم ، فهذا لا شك مذهب من يسميه الافرنج « بالولد الهائل » ومن ليس في الواقع جديراً بأن يطرق باب السياسة أصلاً بل بين هذا والسياسة ما بين المشرق والمغرب ، فتحن لا نرضى أن نكون من الأطفال الهائلين ولا من الذين لا يعرفون إلى أين يذهب الكلام ، بل نحن والله الحمد من أمة اشتهرت بالبرونة والدهاء وسرعة التحظ وقد جاء في أمثالها : اللبيب من الإشارة يفهم ، ولقد كن هاديين الأعظم صلى الله عليه وسلم إذا أراد غزوة ورى بغيرها ، ومنا الذي يقول :

ومن لم يصانع في أمور كثيرة يضر من بانياب وبوطاً بنفسه
وقائل هذا البيت هو الذي قال فيه سيدنا عمر رضي الله عنه أنه أشعر العرب لقوله : ومن ومن ، ثم أبدأ بالكلام عن نهضة العرب العلمية فأقول :
منذ عشر سنوات (أي سنة ١٩٢٧) اقترح علي الطيب الذكر الاستاذ يعقوب صروف صاحب مجلة المقتطف الذي انتهت إليه رئاسة المجلات العلمية أن أكتب إلى المقتطف شيئاً في موضوع النهضة الشرقية في هذه الخمسين سنة الأخيرة ، فكتبت يومئذ فصلاً ظهر في أجزاء المقتطف من تلك السنة وراق العلامة المشار إليه كثيراً وقد بدأته بما يلي :

لا حاجة بنا إلى القول بأن أجلى مجالي هذه النهضة كان في العلم والتعليم ، وعندى انه لا نهضة للأمم سوى النهضة العلمية فإذا وجدت هذه جاءت سائر النهضات من سياسية وعسكرية واجتماعية واقتصادية الخ . . . آخذاً بعضها برقاب بعض . فإذا قلنا إن الشرق الأدنى نهض نهضة علمية كفيينا تعداد سائر مظاهر نهوضه ومما أرج رقيه ، لأن العلم وحده هو المفتاح وبه وحده الدخول إلى داخل البناء ، وكل نهضة لا يكون ظهيرها العلم فما هي إلا ساعة وتضمحل ، وقد يقال ان نهضة شرقنا هذه ضئيلة لا تستحق أن تذكر بالتباسب إلى معالي الأمم الراقية ، واننا لا نبرح متخلفين بمسافر شامعة عن أمد أوربة وأميركة واليابان ، فلماذا نشغل أنفسنا بما لا يشغل حيزاً في التاريخ العام ؟ وعلي هذا نجاب أن ليس العلم متعلقاً بالكمال

وحده ، ولا البحث موقوفاً دائماً على ما بهر النهرى وبلغ مدرة المنتهى ، وإنما العلم هو ما تناولت الدرجات كلها الدنيا منها والقضوى ، والبحث هو الذي به توزن مقادير الاشياء وتحدد نسبة بعضها إلى بعض ونسبتها إلى الوقت ، ثم اذا إذا تحررنا الحقيقة وجدنا الشرق العربي قد اجتاز في هذه الخمسين سنة في طريق العلم والحضارة الحديثة ما لم يتبعها لاوربة أن تجتازه قبلاً في أطول جداً من هذا الرده من الدهر ، وذلك انه من الطبيعي أن يسهل على المتأخر ما لا يسهل على المتقدم ، لأن المتقدم قد يضطر أن يهد الطريق ويسير ، وأما المتأخر فما عليه إلا أن يلحقه ويسير على طريق مذل أمامه .

محمد علي الكبير مؤسس النهضة

فالنهضة الشرقية العربية - نسميها بالعربية إخراجاً لما سواها من نهضات الشرق كنهضة اليابان والصين في الشرق الأدنى بجذائنا - قد بدأت في الواقع منذ أكثر من مائة سنة لعهد محمد علي عزيز مصر فهو أول من لحظ الخطر الحائق من جزاء جموده على أساليب العمران القديمة وجعل نصب عينه 'حديثاً الغرب في أساليبه الجديدة حتى يتأق للشرق أن يقاتل الغرب بسلاحه ويدفع عنه ويستقل بنفسه ، إذ كانت سنة الله منذ وجد العمران على سطح هذه الكرة أنه كلما تقوى جانب منها سطا على الآخر واجتاحه وضرب عليه الذلة والمسكنة .

فمحمد علي هو المؤسس الحقيقي لهذه النهضة الشرقية العربية ليس بوادي النيل فحسب بل في البلاد التي تجاور هذا الوادي المبارك وفي مقدمتها سورية ، وأول ما استنشق السوريون ريح الحضارة الحديثة إنما كان في زمن محمد علي وفي زمن غزاة ولده ابراهيم باشا للشام ، ثم انكفأ ابراهيم باشا إلى مصر سنة ١٨٤٠ وبقيت في سورية آثار الانتباه وتزعة التجدد ، وجد السوريون لاسيما أهل الساحل منهم ينشدون أسباب المدنية الغربية لما رأوا فيها من القوة والرفاهية ، وأنس المرسلون الاميركيون هذا الاستعداد في أهل سورية فأسروا في بيروت كليتهم

الشهيرة التي كانت النبراس الاوث الذي استضاءت به سورية ، ولا يزال هذا النبراس يزهر في آفاق الشرق الى يومنا هذا . ورأت ام اخرى (كالفرنسيين والالمان والاطليان والروس) ان ارض سورية قابلة جداً لبذور المعارف فبشوا فيها المدارس والكتاتيب وكل ذلك كان يبدأ في بيروت ثغر الشام البسام ، ففي بيروت والحق يقال ابتزع زرع العلم المصري وأخرج شطأه ثم أنبت في جميع الشامات ثم غيا جاورها واستغلظ واستوى على سوقه يعجب حتى الزراع الاوربيين اتقهم ، واضطرت الدولة العثمانية ان تنفتح للمكتب الرشدية والاعدادية في سورية ، وأن تقبل كثيرين من شبانها في مكاتبها العالية في القسطنطينية فتخرج فيها ألوف من الناشئة منهم من تقلدوا مناصب ملكية أو عدلية ، ومنهم أطباء وصيادلة ، ومنهم ضباط نبغوا في الفنون العسكرية ولمتازوا بين الأقران . ان ضباط العرب في العراق وسورية واليمن كلهم ممن تخرج في مكتب (بانغالي) في الاستانة ، وقد يزهدون على ثلاثة آلاف ضابط فيما يقال .

ومع ان النهضة العلمية في مصر لم يكن الاصل فيها لا الملكية الاميركية ولا الملكية اليسوعية في بيروت ولا مكاتب الدولة في الاستانة ، لا يتكران مصر كانت ميداناً لجياد القرائح السورية ، وأن أنبع الذين تخرجوا في بيروت إنما ظهروا واشتهروا وتعلقت فتادياهم بمصر ، هذا كما ان مصر على الشام فضل تخرج عدد لا يحصر من أبناء هذه في العلوم اللغوية والشرعية بالجامع الازهر وتخرج عدد كبير من أطباء سورية بالقصر العيني ، فما زال كل من القطرين المصري والشامي يشد الواحد منهما الآخر في كل خرب من ضروب الرقي العقلي ، وقلما جد في أحدهما شيء إلا سمعت رجع صده في الآخر . على ان النهضة الشرقية العربية وان كان قد در قرننا منذ قرن فأكثر لم تسر هذا المسير الحثيث إلا في الخمسين سنة الاخيرة التي شهدتها كتب هذه الاحرف نجيم صفحاتها ، وذلك لاني بدأت بالكتابة في الصحف وبمرافقة الحركة العلمية في ميها منذ ٢٥ سنة متوالية ، غلي الحق إذا بان أدعي معرفة تاريخ هذه النهضة وما دخل فيه من التطورات على قدر ما يستطيع خادم امين للعلم زاول عمله في

مكافحة الجهل طوال مدة خمسين سنة دون أن يتخلف يوماً واحداً .

المصافة

لا نزاع في ان الصحافة العربية قد كانت من أقوى عوامل هذه النهضة بما أثارته من الحركة الفكرية ونقلت من أخبار الغرب الناهض الى أهل الشرق النائم ، وقد كان بحسب معلوماتي ، وربما أكون مخطئاً في بعضها ، أول جريدة عربية صدرت في الشرق جريدة الوقائع المصرية بعهد محمد علي ، ولكن بقيت سورية مدة طويلة لا تصدر فيها جريدة ، ويقال ان أول جريدة صدرت في بلادنا هي جريدة « حديقة الاخبار » أنشأها خليل افندي الخوري من شعراء لبنان في وقته وذلك سنة ١٧٦٠م ثم اصدر المعلم بطرس البستاني الشهير نشرات وطنية في بيروت لذلك العهد ، ولم يلبث ان نشر جريدة اسبوعية باسم الجنة ، ثم جريدة يومية باسم الجنينة ثم مجلة شهرية باسم الجنان ، وقد التزم هذه المادة في التسمية لمناسبتها مع اسمه « البستاني » ، وكان اليسوعيون قد أصدروا في بيروت جريدة باسم البشير تغلب عليها المباحث الدينية الكاثوليكية ، ثم أصدر القس لويس الصابونجي جريدة النحلة ، واصدر غيره جريدة اسمها النجاح ، واصدر الامريكيون جريدة اسمها النشرة الاسبوعية ، ثم تحرك المسلمون فاصدروا جريدة سموها ثمرات الفنون ، وكانت تصدر بإدارة الشيخ عبد القادر القباني ، وقد تولى تحريرها في البداية العلامة الشيخ يوسف الاسير ثم خلفه عليها العلامة الشيخ ابراهيم الاحدب الطرابلسي ، وهذا كله كان بين ١٨٦٠ و ١٨٨٠ اي في مدة عشرين سنة ، فوجدت في بيروت في ذلك العهد عدة مطابع ، وصارت تطبع الكتب العربية بعد ان كانت تطبع الكتب العربية منحصرآ في مطبعة بولاق المصرية وغيرها من مطابع مصر ، وكانت قد صدرت في الاستانة في اثناء حرب القرم سنة ١٨٥٥ جريدة مرآة الاحوال وذلك باسم الدولة وتولى تحريرها رزق الله حسون الكاتب الشهير ، وقد وقعت لي عدة نسخ كانت باقية عندنا من تلك الجريدة فيها اخبار حزب القرم

وغيرها من الاخبار ، وما اذكره انه كان عند ذكر خديوي مصر ياقبه
بسعادة عزيز مصر ، واظن ان جريدة سراة الاحوال هذه هي الجريدة العربية
الثانية بعد تقويم الوقائع المصرية ، وقد بقيت تصدر في عاصمة السلطنة العثمانية
عدة سنوات الى ان فر رزق الله حسون من الاستانة الى اوربة على اثر حادثة
جرت معه ، وقيل فيها انه اختلس مالا للدولة فلاذ بالفرار ، وكان فارس احمد
فارس الشدياق في باريس فقدم الى الاستانة وانشأ جريدة « الجوائب » المشهورة
فكانت في وقتها أشهر جريدة عربية في العالم ، وكان لها مشتركون في جميع الاقطار
الاسلامية ، نظراً لبراعة كاتبها احمد فارس الممدود من اكبر كتاب القرون
الاخيرة ، واما رزق الله حسون فبعد ان فر الى اوربة نشر كتاباً تحت عنوان
« النفقات » نال فيه من الدولة العثمانية ، ومن صاحب الجوائب ، فاشار هذا الى
كتاب النفقات بقوله : « كان حسون لصاً وله سرقات ، فانقلب صلاً وله نفقات » .
واظنتي غير مخطئ اذا قلت انه لذلك العهد او بعده بقليل ظهرت جريدة في
تونس اسمها « الرائد التونسي » وظهرت جريدة أخرى في مصر باسم وادي النيل ،
وربما يكون قد صدر في مصر جرائد أخرى لم أسمع بها ، ولست محاولاً في هذه
العجالة الاحاطة باسماء جميع الجرائد العربية التي صدرت وتوارى صدورها ،
فما انا اذكر الان اشهرها على سبيل التمثيل وأقول : انه لما انتشرت جريدة
الجوائب بمكان احمد فارس من علم اللغة وبراعة الانشاء وسعة المدارك كانت
عاملاً قوياً من عوامل النهضة العربية الادبية ، وصار صاحبها يطبع في الاستانة
من نقائس الكتب العربية التي كانت مجهولة ، والتي اطلع عليها في خزائن
كتب القسطنطينية ما اعجب به العالم العربي كله لا سيما انه نشرها باطبع
اجميل ، وربما كانت خدمته للثقافة العربية بهذه المطبوعات في الدرجة الثانية
عن خدمة مطبعة بولاق ، واني قد ادرست ، وانا ابن ثلاث عشرة سنة او
اربعة عشرة سنة ، عهد احمد فارس في اواخر عمره وكان لا يزال ، وقد بلغ
من العمر عتياً ، يخدم هذه اللغة الشريفة التي كان من اعلامها ، ومن شاء ان
يعلم مدى براعة احمد فارس ومبلغ بلائه في سبيل اللغة العربية والوطن

العربي ، فاليراجع مجموعة كتز الرغائب في منتخبات الجوائب فهي كتاب يحتوي على سبعة مجلدات لا يمكن أن يستغني عنه من أراد الاطلاع على الحركة العلمية العربية والحركة السياسية العالمية بين ١٧٦٠ - ١٨٨٠ .

الحركة العلمية

ولنعد الى سير الحركة العلمية في سورية فنقول : انه إلى حد سنة ١٨٨٠ كانت الجرائد منحصرة في بيروت لا تمتدداها إلى غيرها من مدن سورية ، ولم يكن في دمشق سوى جريدة رسمية للولاية باسم (سورية) وبعد ذلك بكثير أصدر مصطفى واصف جريدة اسمها (الشام) ، وبعده أصدر الامتاذ كرد علي جريدة سياسية في دمشق اسمها (المقتبس) ، وكذلك كانت جريدة رسمية لولاية حلب باسم (الفرات) ، وكل من جريدتي سورية والفرات كانت نصفها بالتركي والنصف الآخر بالعربي وقاما كانت تنشر شيئاً خارجاً عن الأخبار الرسمية . وكانت في بغداد جريدة رسمية اسمها (الزوراء) على هذا النمط أيضاً . وأما بيروت فكانت لا تزال على تقدمها في طريق العلم والعرفان ، وأول مدرسة داخلية في بيروت كانت المدرسة الوطنية التي أسسها المعلم بطرس البستاني ثم أخذت كل طائفة من الطوائف المختلفة التي في ساحل سورية تؤسس مدرسة داخلية في بيروت ، فكانت للروم الكاثوليك مدرسة يقال لها (البطريركية) وللموارنة مدرسة يقال لها (الحكمة) وللمسلمين مدرسة يقال لها المدرسة (السلطانية) تولى ادارتها مدة من الزمن العلامة الشيخ حسين الخسر الطرابلسي صاحب الرسالة الحميدية في التأليف بين العلم والدين ، وكان اليهود أيضاً أسسوا مدرسة داخلية باسم المدرسة (الاسرائيلية) كان يديرها زاي كوهين .

وكان اليسوعيون قد أنشأوا الكلية (اليسوعية) مناظرة للكلية الامريكية ، وكان في لبنان مدرسة فرنسية في كسروان يقال لها (مدرسة عينطورة) انتفع منها كثير ممن اشتهروا في اثقاف اللغة الفرنسية ، ثم شرع أساقفة الموارنة

يؤسسون مدارس لأبناء طائفتهم فكانت مدرسة (قرنة شهبان) ومدرسة (غزير) لبني زوين ومدارس أخرى متعددة ، وقد كان للحوارنة من قبل هذا مدارس قديمة أكليزيكية مثل مدرسة عين ورقة ومدرسة مارعبدا هرهبيا ومدرسة مار يوحنا مارون ، وكان للكاتوليك مدرسة في الشوير ، وقد اطلعت على مطبوعات قديمة ترجع إلى مئة سنة أو أكثر جرى طبعا في كسروان بمطابع للحوارنة منها مطبعة دير سيدة طاميش ، وكانت الموارنة من القديم يطبعون بالعربية والسريانية .

ولا يجوز أن ننسى المدرسة التي قام بإنشائها الأمير ملحم أرسلان بمساعدة سعيد بك تلحوق لطائفة الدروز في قرية عيبة ، فقد كانت من أقدم مدارس لبنان يرجع تأسيسها إلى سنة ١٨٦٢ .

وكانت تقبل الطلبة مجاناً لاعتمادها في نفقاتها على الاوقاف التي ألحقها بها الأمير المشار اليه ، ولما تولى قائممقامية الشوف ابن عمه الأمير مصطفى زاد الاعتناء بها وانتدب لها من الأساتذة مثل العلامة الشيخ أحمد عباس البيروتي وأمثاله ، وهي هي نفس المدرسة التي يشرف على ادارتها الآن الاستاذ عارف النكدي مدير العدلية في الدولة السورية بما اشتهر به من الدراية والأمانة وعلمو المهمة .

ثم نقول : انه كان ازدياد عدد الجرائد متساقفاً مع ازدياد عدد المدارس فظهرت في بيروت بعد الجرائد المتقدم ذكرها جريدة لسان الحال لصاحبها خليل مركيس وجريدة التقدم التي كان يتولى تحريرها أديب اسحق الكاتب المشهور في وقته ، وجريدة المعباح التي أنشأها المطران يوسف الدبس مؤسس مدرسة الحكمة ، وعهد بإدارتها وتحريرها إلى تقولا أفندي النقاش من أعضاء مجلس الامة العثماني ، وإلى بولس زين من ادباء الموارنة ، وكانت مجلة المقتطف قد صدرت في بيروت لصاحبها العلامة الدكتور يعقوب صروف والدكتور فارس نمر ومن أول نشأتها كانت مجلة راقية حافلة بالفوائد العلمية والصناعية والتاريخية واللغوية . وما لا جدال فيه ان للمقتطف أثراً بليغاً في عموم النهضة العربية ولا ينكره إلا كل مكابر - ومن مساعي العلامةين الشهيدين صروف ونمر تأسيس مجمع علمي

في بيروت سموه المجمع العلمي الشرقي قد ضم نخبة العلماء والادباء الذين كان يشار اليهم بالبنان في ذلك الوقت ، ولم يكن هذا المجمع أول مجمع علمي في بيروت بل قد سبقه جمعية علمية تأسست قبل ذلك بنحو من عشرين سنة ، كان رئيسها الأمير محمد الأمين أرسلان ، وكانت من أعضائها الشيخ يوسف الأسير والشيخ ابراهيم الأحذب والشيخ ناصيف اليازجي والمعلم بطرس البستاني صاحب دائرة المعارف والسيد حسين بيهم وسلم أفندي رمضان وغيرهم من علماء ذلك الوقت وأدبائه .

وفي نواحي سنة ١٨٨٤ فيما أتذكر كان الشيخ عبد المجيد الخاني الاديب الدمشقي البارع جاء إلى بيروت فذكر ما رآه فيها من الرقي الفكري ومرد اسماء جرائدها نظماً فقال :

ثمرات مقتطف الجنان بشيرها بلسان مصباح التقدم قائل

ظل المعارف وارفاً في أرض بيرو تورط الفضل فيها قائل^(١)

ثم أنشأ علي بك ناصر الدين مجلة اسمها الصفاء صارت فيما بعد جريدة سياسية ولا تزال إلى هذا اليوم قائمة حق القيام بخدمة العلم والادب ، وقد كان لي فيها أول مقالة صدرت من قلبي وذلك سنة ١٨٨٥ ، وأصدر عبدالقادر أفندي الدنا جريدة باسم بيروت كان يكتب فيها الاستاذ البليغ السيد مرقضي الجزائري ابن أخي المقفور له الامير عبد القادر .

ثمانون جريدة في سورية

ولكن عدد الجرائد لم يزد هذا الازدیاد الرائع إلا بعد إعلان الدستور العثماني ، ومن قبله صدرت جريدة طرابلس التي كان ينشئها الشيخ حسين الجسر ، ولم يكن جريدة سواها تصدر في غير بيروت من مدن سورية إلا انه لما اعلن الدستور العثماني وقررت حرية الصحافة أخذت الجرائد تنتشر بسرعة عظيمة فلما نشبت الحرب الكبرى كان ينشر في سورية وفلسطين ثمانون جريدة

(١) الاولى من القول والثانية من القبلولة .

موزعة بين بيروت ولبنان ودمشق وطرابلس واللاذقية وحمص وحماة وحلب وصيدا وحيفا ويافا والقدس ، وكانت تظهر في هذه البلاد مجلات شهرية واسبوعية لا تقل عن بضع عشرة مجلة ، ولا نجد لزوماً لسرد أسماء جميع هذه الجرائد وهذه المجلات . وهذا أول دليل على سرعة الرقي العلمي في سورية ، وليس في الكلام أفصح من الأرقام ، فوفرة الجرائد دليل على وفرة عدد القراء ، ووفرة عدد القراء دليل على صدق عمل المدارس ، نعم انه لا يزال عدد الاميين كثيراً في هذه البلاد وربما بلغ مع الأسف ٦٠ بالمائة ، ولكن المظنون بحسب ما نراه من إقبال الأهلين على تعليم أبنائهم أنه لا يمضي عشر سنوات حتى ينزل عدد الاميين الى ٢٠ بالمائة . وقد كان في بيروت بضع عشرة مطبعة فتضاعف هذا العدد مرتين وثلاثاً ، وتأسست مطابع كثيرة في سائر المدن السورية ، وليس عمل هذه المطابع كله منحصراً في طبع الجرائد بل هي تقوم بطبع الكتب التي لا تطبع إلا إذا كان أصحاب المطابع يجدون لها عدداً كافياً من المشترين . وإن مكانة الصحافة الآن في سورية ولبنان بالقياس إلى عدد أهلها لا تقل عن مكانة الصحافة في اوروبا ، فاما في مصر فما لا شك فيه ان الصحافة أرقى منها في سورية لأن ثروة مصر أعظم من ثروة سورية بكثير ، وقد كان في أثناء ثورة عرابي باشا أي سنة ١٨٨٢ يصدر في مصر بضع جرائد لا غير منها الاحرام واللطائف والمنفيد وغيرها ، فما زال عدد الجرائد يرتفع إلى أن تضاعف مراراً ، وإن بعض جرائدها اليومية تصدر بثماني صفحات أو ست عشرة صفحة . ومنها جرائد مصورة كثيرة وربما تطبع الواحدة من جرائد مصر الكبرى من ٣٠ إلى ٤٠ ألف نسخة وقد أكد لي أحد الأخباريين الاوربيين الذين يرسلون الاحرام من امهات الجرائد المصرية أن هذه الجريدة لو وضعت في جانب صحف باريس في الاتقان وسعة النفقات وكثرة القراء لكانت معادلة لأحسنها .

ولما كانت الامثال أحسن مظهر لحقائق الاشياء وأبلغ مؤثر في النفوس رأيت الآن إيراد مثال وقع معي ، وكنت قد ذكرته في مجلة المقتطف ، ومنه

يتبين الفرق الهائل بين حالة الصحافة في مصر منذ ٤٠ سنة وحالتها منذ
عشرين سنة :

قلت في المقتطف : انني كنت زرت مصر سنة ١٨٩٠ ء وكنا نجتمع في
محاسن الامام الشيخ محمد عبده ء واكثر ما كنا نسر عند سعد باشا زعلول
وهو يومئذ سعد أفندي زعلول وكان من المحامين المشهورين بمصر ء وكانت
ينتاب تلك الحلقة شيخ شخت الحلقة اسمه الشيخ علي يوسف ء إذا أتى جالس في
آخر المحاسن ما كنا ولبث أكثر المجلس مستمعاً تكاد ترثي له لضعفه ولمسكنته ء وكان
قد بدأ باصدار جريدة اسمها المؤيد كانت تظهر مرتين بالاسبوع وهو يعجز أن
يجعلها يومية إلا أن هذا الرجل على ضوالة جسمه كانت بادية عليه سيما الهمة
والعزم فزرت مرة في مطبعة المؤيد فرأيت جالساً على مقعد رث لا يسع أكثر من
ثلاثة جلوس بعضهم ملزوز إلى بعض ء وأمامه منضدة بدون غطاء عليها من
بقع الحبر ما يهول الناظر وهو يعالج تحرير مقالته في دخول العام الهجري
الجديد حينئذ ء ولا يعرف كيف يتوغلها وذات بجانب الغرفة غرفة ثانية فيها
المطبعة ء وبين الغرفتين باب مفتوح وأنا من مكان جلوسي أرى منضدي
الحروف من خلال ذلك الباب يحفوت الحروف ء ثم اني رأيت الشيخ عالياً
في تعب زائد مع مقالته هذه عن الحول الجديد ء وهو يكتب ويطاش
ويمحو فقلت له : لو قلت كذا وكذا ٠٠٠ فأجاني : بالله عليك تكتب أنت هذه
الانتاحية فكتبتها أمامه ء هذا وبعد ٢٠ سنة من ذلك العهد جئت إلى مصر ء

المؤيد تطبع ٣٠ ألف عدد

وأنا ذاهب إلى حرب طرابلس فماذا وجدت ؟ وجدت جريدة المؤيد من
أعظم الجرائد اليومية في مصر تطبع في كل يوم من ٢٠ إلى ٣٠ ألف نسخة ء
ووجدت إدارة المؤيد تكاد تكون قصرآ من قصور الامراء فيها الزرابي المبشوة
والطنافس الحريرية الفاخرة بدلاً من ذلك المقعد الحقير ء عليه ذلك الغطاء

القديم من الشيت بدون حشوة ، ووجدت مطبعة بخارية من أكبر المطابع كان صاحب المؤيد اشتراها بخمسة آلاف جنيه ، مع أن تلك المطبعة القديمة التي رأيتها من قبل ما كانت لتساوي ١٠٠ جنيه .

ثم وجدت الشيخ علي يوسف نفسه من أكتب كتاب مصر وأسيالهم قلماً ، فضلاً عن اني وجدته عيناً من أعيان مصر وأشهرهم ذكراً ، ولم يغفل الشيخ عن أن يذكرني بزيارتي الاولى عندما كن على تلك الحالة الرثة ، وأت يقابل بها حالة الترف التي رأيتها عليها يوم زيارتي الثانية ، فهذا المثال البارز كافٍ لقياس درجة الرقي الفكري في الشرق^(١) .

انتشار الصحافة في العالم الاسلامي

ولقد كانت الصحافة العربية فيما مضى منحصرة في القطرين المصري والشامي فصارت الآن منبثة في جميع الأقطار العربية ، ففي العراق بضع عشرة جريدة ومجلة منها ما هو في بغداد ومنها ما هو في البصرة ، وكذلك ظهرت جرائد في الحجاز قد كن أولها جريدة القبلة في زمن الملك حسين ، ولما استولى ابن سعود على الحجاز استبدل بها أم القرى ، ثم ظهرت جريدة اسمها صوت الحجاز في مكة وجريدة ومجلة في المدينة المنورة ، وصدرت جريدة الايمان للحكومة اليمنية في صنعاء ، وصدرت جرائد عربية وراء البحار أشهرها جريدة حضرموت في جاوة ، كما انه يوجد في الهند مجلة عربية اسمها الضياء للاستاذ مسعود الندوي .

أما في المهجر فان للعرب نحواً من ٣٠ جريدة ومجلة : منها ما هو في أمريكا الشمالية وما هو في أمريكا الجنوبية ، وفي المهاجر العربية هناك من الكتاب

(١) لا حاجة بنا الآن إلى سرد أسماء الجرائد المصرية الكثيرة ولا إلى سرد أسماء الجرائد السورية الصادرة في دمشق وحلب وبيروت وفلسطين ولا إلى ذكر المجلات الشهيرة كالمقتطف واللال والرسالة وأمثالها ، فان الأعلام الشهيرة لا تعرف ولا تحتاج إلى تعريف .

والشعراء والادباء والأطباء والفلاسفة تفر تفخر بهم أوطانهم ، وهم جزء متمم للعالم العربي الادبي لا يتم إلا بهم ، واني اشبه الجاليات العربية في وسط هاتيك الامم الاجنبية التي تحصى بمئات الملايين بجزائر عربية صغيرة في أرقيانوس من العجوة لانياية له ، وقد احتفظت مع ذلك هذه الجزائر الصغيرة بلغتها العربية وآدابها وأذواقها ومنازعها ومشاربها ، وهذا لعمرى برهان الاصاله والنبالة وعلو الهمة ، فان الذي يجعل بوطنه وقومه ليس بانسان ، وفي نيويورك شارع كبير خاص بالعرب تجد فيه على أبواب المخازن العناوين العربية فوق الانكليزية ، وتنظر المطابع العربية التي تظهر من المآكل الشرقية المتنوعة ما يكون قد درس بتمامه في البلاد العربية الأصلية .

وانك لتسمع الموسيقى ثمة العربية كيفما توجهت سواء من المغنين أو من الآلات الحاكبة ، وإذا نظرت إلى النوافذ وجدت فيها الأصص من الفخار فيها الرياحين وأكثرها من الحب الذي يقال له الرمان في دمشق وفي لبنان الحب ، ويظهر أن العرب يأخذون هذه الرمان أينا ذهبوا في الأرض ، فأني قد وجدت بها بكثرة في اسبانية وهي حافظة اسمها العربي فيقول لها الاسبانول « حبة » أي حبة ، ومن غرائب ما سمعته عن اعتصام السوريين بعاداتهم القومية وهم في المهجر أن كثيرين منهم يسكنون في حارات على حدة ، وربما بنوا قرى منفردة لأنفسهم ، وذلك ليكونوا أحراراً في ممارسة عاداتهم التي كانت لهم في بلادهم الأصلية ، فاذا حصلت أعراس عندهم حسبها واقعة في نفس سورية بما فيها من الأغارب والأناشيد والزغاريد وما يقال له في لبنان « التراويد » ، وقد حضرت في نيويورك عرس فوزي بك البريدي من زحلة ، وقد اجتمع فيه أبناء العرب فخلت نفسي في زحلة أو في أية بلدة من لبنان وكذلك قيل لي انهم في الاماكن التي يسكن فيها السوريون على حدة يمارسون عاداتهم الأصلية بالمآتم فتدب النساء من جهة حول الميت ويندب الرجال من جهة أخرى ، وهم يذهبون ويحيئون وبأيديهم المتاديل يهزونها في الهواء وهي ما كان العرب يقولون له المآلي واحدها مثلاً ، إلا أن بقاء هذه الحالة عند

السوريين المهاجرين لا يعدو العصر الحاضر ، لأن أعقابهم مع الأسف ذائبون إلا ما ندر في الجنسية الأمريكية ، وقاما رأينا من ذرايعهم المولودين في أمريكا من يعزف اللغة العربية لا سيما الذين أمهاتهم من هناك ، وقد عالج بعضهم هذه الحالة وحاولوا استبقاء اللغة العربية بين المولودين في أمريكا من أبائهم ، وفتحوا مكاتب وكتاتيب علمت بوجود اثنين منها في ديترويت ميشغن ، وحدثوني عن غيرهما ولكن هذا العوز لا ينسد مع الأسف ببضعة كتاتيب ، فالسوريون الذين في أمية بكة الشمالية يزيدون على ٢٠٠ ألف نسمة ، وهم في الأمريكتين جميعاً أكثر من نصف مليون .

وقد قيل لي : إن أعلى المهاجرين العرب همياً من جهة الاحتفاظ بلغتهم و مهاجرو العرب في البرازيل الذين عندهم مجلات راقية وجرائد مفيدة كما يوجد مثل ذلك في نيويورك ، ولم يقتصروا في البرازيل على بعض الكتاتيب لاستبقاء عروبة أبائهم ، بل أسسوا هناك لهذا الغرض مدارس عالية ، يدرس الطلبة فيها العربية الفصحى في جانب اللغة البرتغالية التي يتكلم بها أهل البرازيل ، أما إذا بقيت أبواب الهجرة مسدودة على العرب في أمريكا الشمالية فلا يفي عليهم هناك أكثر من نصف قرن حتى ينقرض منها مع الأسف كل شيء ، أصله عربي ، ويصير وجود العرب في تلك القارة خيراً من الأخبار التاريخية .

الصحافة العربية في شمالي افريقية

ولنعد إلى حديث الصحافة العربية الذي كنا في صدره فنقول : إن شمالي افريقية قد نهض في العصر الحاضر نهضة أكيدة ، وكثرت فيه الجرائد العربية والمطابع وصائر أدوات النشر التي تعول عليها كل امة ناهضة ، ولم يكن في بادئ الامر غير تونس جرائد عربية مغربية ، وقد تقدم ذكرنا لجريدة الرائد التونسي التي كانت تصدر فيما أذكر من قبل احتلال فرنسة لتونس أي منذ ستين سنة وبعد ذلك صدرت في تونس جرائد اخرى ، وفي يومنا هذا تصدر في تونس عدة جرائد ومجلات راقية كالزهرة والنهضة والصواب والمجلة الزيتونية وغيرها

وأما الجزائر فقد كانت تصدر فيها منذ خمسين سنة جريدة عربية واحدة اسمها المشرع ، وأظنها كانت الجريدة الرسمية للحكومة ، إلا أن الأهالي منذ بضع عشرة سنة نشروا جرائد متعددة في مدينة الجزائر وفي قسنطينة أتذكر منها « البلاغ » « وادي تراب » ، وأما اليوم فمن أشهرها جريدة البصائر ومجلة الشهاب ، ولم يقتصر اخواننا التوانسة والجزائريون على نشر أنكرهم في الصحف العربية التي أصدروها ، بل لأجل إمكان تقاضهم مع الفرنسيين المحتلين لبلادهم وللخطابة بحقوقهم عمدوا إلى نشر جرائد وطنية عربية اسلامية باللغة الفرنسية وذلك على نسق مجلتنا العربية المنهج الافرنسية الملهج « لانسبون آراب »^(١) ومثل ذلك وقع في المغرب الأقصى الذي كانت السلطة مانعة فيه الأهالي الوطنيين من نشر الجرائد بتاتا ، خلافاً للجانب فقد كان ولا يزال يؤذن لهم في ذلك ، بل كان محظوراً إدخال الجرائد العربية الصادرة في البلاد الاخرى إلى المغرب ، وربما عوقب من وجد قارئاً لجريدة كهذه ، إلا أن الأهالي لم يزالوا يعترضون على السلطة من أجل هذا الضغط الشديد على حرية القراءة في بلادهم حتى سمحت من سنوات لبعض الادباء بإصدار مجلة علمية في الرباط اسمها المغرب أذنت لها في الظهور على شرط أن تكون موالية للحكومة فلنظر الحزب الوطني في المغرب إلى إصدار مجلة افرنسية في نفس باريز باسم المغرب Magreb جعلوا ادارتها بيد ضيف سورية الحالي روبرت جان لونغة^(٢) الذي جاهد هو وأبوه كثيراً في النضال عن المسلمين الذين تحت حكم فرنسا وفي منحهم جميع الحريات التي لهم الحق فيها ، فلما ظهرت مجلة مغرب ، وأقبل شبان ذلك القطر العزيز ينشرون فيها باللغة الافرنسية من المقالات القيمة والآراء السديدة ما أحدث تأثيراً عظيماً في نفس باريس ، انتقمت السلطة من تلك المجلة بمنعها من دخول المغرب نفسه ، فأصبحت في المقيم المتعد مع الوطنيين

(1) La nation arabe .

(2) Robert Gean Longuet

الذين كانت ترأسهم عصبة العمل القومي ، ومنذ سنتين تمكن السيد محمد ابن الحسن الوزاني من زعماء النهضة الوطنية في المغرب من إصدار جريدة في فاس باللغة الفرنسية سماها عمل الشعب ^(١) وجعل مديرها فرنسياً حتى لا تتمكن السلطة من تعطيلها ، فلما ظهرت هذه الجريدة وأخذت تناضل عن حقوق الأهلين وتناقش بشدة الصحف الفرنسية الصادرة هناك ، أمرت السلطة بتعطيل هذه الجريدة خلافاً للقانون ، فبقي أهل المغرب يشنون من هذا الضغط إلى أن تولت فرنسا والله الحمد الوزارة الشعبية في السنة الماضية فراجعوها عصبة العمل القومي في موضوع حربة الاجتماع والكتابة . وما زالت المراجعات مستمرة باصرار إلى أن أذنت السلطة لعصبة العمل القومي بإصدار جريدتين أحدهما بالعربية اسمها الأطلس يتولى تحريرها السيد محمد البزدي ، وأخرى بالفرنسية اسمها العمل الشعبي ^(٢) يحورها السيدان أحمد بلالفرج وعمر عبد الجليل من زعماء الحركة الوطنية المغربية ، وصدرت أيضاً جريدة عمل الشعب للسيد محمد بن الحسن الوزاني ، وجريدة أخرى بالعربية يقال لها الوداد كما أنه صدرت في تطوان من المنطقة التي يحتلها الأسبانيون جريدة الحياة للسيد عبد الخالق الطوريس ومجلة السلاح للسيد محمد داود ، وأما في طرابلس الغرب فلم يكن أيام الدولة العثمانية غير جريدة الولاية الرسمية وفي الوقت الحاضر توجد جريدة للحكومة في طرابلس وأخرى في بنغازي ، ولكن الطرابلسيين يقرؤون الجرائد العربية التي ترد اليهم من الشرق والغرب بلذة زائدة ولا عجب فإن علاقاتهم من جهة الشرق مع مصر والشام ومن جهة الغرب مع تونس هي علاقات أقطار شقيقة ، وفي زنجبار من شرقي افريقية مطبعة سلطانية من قديم الزمن ، اطلعنا على كتب مطبوعة فيها ، ومؤخراً وصلت إلينا جريدة عربية صادرة في جزيرة زنجبار هذه .

فهذه هي لمحة دالة عن الصحافة العربية في الخمسين من السنين الاخيرة

(1) L'action du peuple

(2) L'action populaire

لا تزعم فيها الاحاطة وإنما نجتزئ بالاشارة التي تعطي القارئ صورة صحيحة عن هذا البحث وبالجمله فالصحافة العربية كانت من أنظم عوامل نهضة العرب ولا تزال نتقدم الى الامام .

المراس في العالم العربي

ان الجرائد ليست وحدها هي المقياس الكافي لاجل إعطاء صورة صحيحة عن درجة الرقي ، بل المقياس الاكبر هو المدارس ، فمدينة بيروت مثلاً وعدد سكانها نحو من ٢٠٠ الف نسمة فيها من المدارس والجامعات ما لو قرنته بجامعات أوروبا ومدارسها لم تكن قاصرة عنها ، وربما كانت زائدة عليها إذا روعيت نسبة عدد السكان . وقد كنت منذ ٢٥ سنة في مدينة نابلس التي لم يكن أهلها يزهدون علي ٢٥ الف نسمة ، فبحثت عن عدد المتعلمين في هذه البلدة فكانوا ٢٠٠٠ من الأحداث في المكاتب الاميرية ، وأحصينا عدد طلاب المدارس العالية في الاستانة فبلغوا مائة شاب ، فإذا نظرنا إلى عدد أهالي نابلس وجدنا عدد طلاب العلم من أهلها لا يقل عما يجب أن يكون في أية بلاد راقية ، وليس هذا المثال وحيداً في بابه ، بل له أمثلة كثيرة في سورية وان كنت لا أزال أتأسف من بقاء الامية في البلاد الى هذا الوقت أكثر مما كنت أظن وذلك بغلبة البوادي والقرى المفتقرة إلى التعليم ، ولم يكن هذا كله من تقصير الحكومة وفقد ارادة العمل ، وإنما للميزانية المالية العمومية دخل في نزول درجة التعليم عما يجب أن تكون ، ومن انغريب ان الامية في مصر لا تزال أكثر منها في سورية بالرغم من ان بين القطرين بوناً شاسعاً في درجة الثروة ، أما تقدم التعليم في سائر البلاد العربية فأكثر ما يبرز منه للعيان بمدة قصيرة هو في المملكة العراقية لا سيما بعد أن حصلت على استقلالها ، فانه في وقت قصير أنشئت في العراق عدة مدارس عالية كدار المعلمين في بغداد والموصل ومدرسة الطب والثانوية المركزية وعدة مدارس ثانوية متوسطة ، وعدد لا يحصى من المدارس الابتدائية ، وفي العراق المدارس المسماة (رياض الاطفال)

كثيرة وهي أرقى من أمثالها في سورية ، والفضل يرجع في اثنان هذه الرياض الى المربي العربي الكبير الاستاذ ساطع الحمصري ، ثم قد بلغني أن الكتبية من القاهرة وغيرها يصدرون كل سنة مقادير جسيمة من الكتب المدرسية الى العراق وان هذا يزداد عامًا عامًا .

أما في سورية فجامعتها العلمية تتألف من كلية الطب وكلية الحقوق والمدرسة التجهيزية الكبرى للبنين ، ومن فروعها دار المعلمين الابتدائية والعالية ، ومدرسة تجهيزية اخرى للبنات وفيها دار للدعوات أيضًا ، ومدارس ابتدائية كثيرة ، وفي حلب مدرسة تجهيزية وثلثها في دير الزور وثلثها في حماة واخرى في حمص ، ولو كانت الميزانية المالية كافية لقطعت سورية في أقصر وقت أبعد مرحلة في طريق التعليم ، وهذا ما نأمل الوصول اليه في غير بعيد من الزمن ولا سيما بعد أن نالت البلاد استقلالها فانه لا يرجي نهضة علمية إلا بنهضة سياسية فها نحن نؤمن دائماً ، وقد بلغني من وزير المعارف الدكتور الكيالي أنه لما خافت مكاتب الحكومة في هذه السنة عن استيعاب جميع الاولاد الذين يريد ادخالهم فيها ، أوصى الوزير مديري المدارس الابتدائية بتسجيل جميع من يريد الدخول فيها ، كما أوصى مديري الكتاتيب الاهلية الحرة بأن يقبلوا كل من يأتيهم على أن تؤدي اليهم الحكومة النفقات اللازمة ، فيقظة الامة ولا سيما بعد استقلالها الحديث غير محتاجة الى استدلال .

المجمع العلمي في دمشق ومصر

ولا يجوز لنا أن ننسى ذكر مجمعا العلمي هذا الذي كان أول مجمع على نسق اكاديميات اوروبة في الاقطار الشرقية ، فانه يضم نيفاً ومائة عالم شرقي ومستشرق كلهم من ذوي الشهرة الطائفة سواء في الغرب أو في الشرق ، والمجمع مجلة علمية من أرقى ما صدر من المجلات في العربية وأدقها بحثاً وأحسنها اسلوباً وأجمعها للتوارد وأحفظها بالفوائد ، ولا يستغني متخصص في العربية

إذا أراد جد الاطلاع عليها عن اقتناء مجموعة هذه المجلة منذ صدورها ، وقد سبقت سورية مصر في تأسيس هذا المجمع ، ولكن مصر عادت فسدت هذا العوز بتأسيس مجمعها الحالي ، فكل المجمعين الشقيقين يخدم هذه اللغة الشريفة وثقافتها بكل ما أوتي من قوة ووسائل . ولنا الأمل بأن يسير المجمعان معا الى الامام خطوات واسعة ، وان حكومتى القطرين تشد أزرها بالمال الى الحد الذي يمكنها من القيام بخدمات جلى للعربية والعروبة كما هو الشأن في أكاديميات الممالك الاوروبية ، فان أمام العرب مهمات عظيمة في إثارة دفائن عقولهم وكشف دارس مدينتهم والتنقيب عن دقائق تاريخهم لا يقوم بها إلا هذه المجمع العلمية التي هي أيضاً لا تقوم إلا بتوفير أقطابها من الميزانية المالية ، ولست متعرضاً الآن الى الكلام عما قام به المجمعان الشامي والمصري من الخدمة اللغوية بإيجاد الألفاظ التي تقتضيها حاجة العصر ، وإحياء ما وجد منها في لغتنا بتطبيقه على المعاني المناسبة له ، فان من شاء أن يعرف طائلا من هذا الأمر يقدر أن يراجع مجلات هذين المجمعين .

وإنا نكون غفلنا عن الحق وأهملناه جانباً إذا كنا لا نقول إنه في القرون الأخيرة لولا بقاء الأزهر والأموي والزنيدونية والقرويين لم يكن بق أثر من آثار اللغة العربية فضلاً عن الشريعة الاسلامية ، فهذه المساجد الأربعة هي التي في الدرجة الاولى قد وقت هذه اللغة من البثور ، وهذه الشريعة من البوار ، وقد كانت القوضى في القرون الأخيرة المذكورة قد نسفت عمران هذه البلدان إلا بقايا تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد ، وتسلط على هذه الأقطار ولادة أنوا على الحرث والنسل ، وهدموا كل شيء وطمسوا كل رسم ، ومع هذا فقد بقيت هذه المساجد الأربعة بنوع خاص مع مساجد أخرى كانت تجري مجراها تقيم العربية على أركان ، وتصد غارات الجهل عليها وعلى الشريعة بقدر الامكان ، فكيف ثبتت هذه الشريعة وهذه العربية في وسط هذا الزوال . وكيف بقيتا في بهرة هذا الفناء مدة تزيد على أربعة أو خمسة قرون تعاور العالم الاسلامي فيها الانهيار من كل جانب ، ان هذا لعجب عجاب !

ولا شك أن ثبات الشريعة واللغة في وجه هذه الصدمات السياسية التي تدكك الجبال هو الدليل الكافي على متانة أصولها ورسوخ قواعدها وغزارة القوة الحيوية التي فيها . وفي مصر عدا الأزهر معاهد كثيرة للعلم مثل الجامعة المصرية ومدرسة القضاء الشرعي ومدارس الحقوق والهندسة والزراعة مما لا يتيسر لي استقصاؤه الآن ، وإنما أشير إلى نتائجه الباهرة فإنه لا يكابر مكابر في أن الحركة السياسية الأخيرة التي جرت في مصر في الشتاء الماضي وانتهت باستقلالها بالرغم من معارضة الانكليز تحت مختلف العلى إنما كانت ثمرة هذه المدارس ، لأن الذين تولوا هذا الامر هم العشرة الآلاف طالب الذين ثاروا في القاهرة ثورة الرجل الواحد وتنجزوا الاستقلال التام لوطنهم تنجز المستحيت بأذلين من دونه دماءهم بذل السخي لماله .

أثر الزيتونة والقرويين والاصوي

وكما قام الأزهر بالواجب الذي عليه في مصر وكان أشبه بالصخرة العالية التي كانت تنكسر عليها أمواج الجهل والفوضى كذلك كان جامع الزيتونة في تونس وجامع القرويين في فاس والجامع الأموي في دمشق ، ومنها ومن المساجد الأخرى خرج العلماء الأعلام والمصاييح الذين أناروا الاسلام في دبابي ذلك الظلام ، ومن هؤلاء أيضاً خرج أولئك العلماء الوطنيين الذين أرادوا ادخال العلوم العصرية في البلاد والتحقق بمعارف الاوربيين حتى لا يبقى الشرق مقصراً عن الغرب فكانت الجامعات والمدارس العصرية الكثيرة وكان إرسال البعثات العلمية الى اوروبا من أيام محمد علي إلى اليوم .

النهضة العلمية والرهوة الوهابية

ولا يظن ظان أن الحركة التعليمية في جزيرة العرب قد بقيت كما كانت عليه قبل ، فأما في نجد والحجاز فلا يخفى ان الدعوة الوهابية توجب حمل جميع الناس على التعليم بدون استثناء ، وهو عندهم بمقام الجهاد فترى المعلمين

والفقهاء يجوبون الحواضر والبدو ويفتحون الكتائب الاحداث وربما شرقت قبائل من العرب وغربت والمعلمون معها حتى لا ينقطع التعليم بالرحيل ، فالامية في البلدان الخاضعة لسلطان ابن سعود ستكون نادرة ، ولكن يعترض بعضهم ذائلاً :

ان هذا التعليم النجدي لا يساعد الرقي المدني بل هو من النمط القديم الجامد الذي ليس فيه كبير جداء لأهل هذا العصر ، وهذا القول مردود من وجوه ؛ أولاً أن النجديين يلتزمون تعميم القراءة والكتابة في البدو والحضر فزوال الامية هو بنفسه درجة عالية من العلم ، ثم انهم يحفظون الاحداث القرآن الكريم ويفسرونه لهم بعد رشدهم ، وأي كتاب حث على العلم والتعليم والسير والنظر أكثر من القرآن ، وأي كتاب قدس العلم والعلماء ونوه بالحكمة والحكام أكثر من القرآن .

الاصلاح والعمران في المملكة السعودية

ثم ان منزع النجديين في الدين منزع إصلاح وترقية وتنقية ، ومشربه بعيد بالمرّة عن الخرافات فهو مشرب إصلاحي مستحب جداً في العصر الحاضر ، وإذا سألت الاوربيين أنفسهم قالوا لك : انت مثل هذا المشرب هو الذي فك قيود الافكار وحل عقال العقول في اوربة . وكان فاتحة عهد الارتقاء ، وكثيراً ما أطلق الاوربيون على الوهابيين لقب (بروتستان الاسلام) ، ثم ان هذا الملك عبد العزيز بن سعود امام الوهابيين القائم بتنفيذ مبادئهم لا يقف عن قبول أي علم نافع أو اختراع عصري مفيد ، فهو يجهز مملكته بجميع طرق العمران الحديثة ، وعنده التلغراف السلكي واللاسلكي في جميع بلاده ، وعنده التليفون والراديو ، وعنده السيارات الكهربائية تسير في طول البلاد وعرضها حتى صارت تلك الأرض الشاسعة تطوى طي السجل للكتاب ، ومن أعمال ابن سعود اعتناؤه بالصحة العمومية وتعميله فيها على الوسائل المصرية الحديثة ، وقد بدأ يستخدم الطائرات في الجيش ، ولو كانت ميزانيته المالية تأذن له في الاتفاق

كما يشاء لما سبقه في هذا الميدان سابق ، ولكانت الادوات العصرية في جيشه لا تقل عن مثليها في أي جيش اوروبي ، ولكن المالب قوام الأعمال ، ثم إذا كان المراد من العلم والتعليم هو إيجاد الامنة في السوابل فلا يكون في هذا المعنى أرقى من ملكة ابن سعود لأن الأمن العام ضارب أطنابه في بلاده كلها وواصل الى الدرجة التي يتحدث عنها المؤرخون في الكتب بعد ان كانت تلك الصحارى أشبه بمسبعة تزار فيها انصواري من كل فج ، وبالاخذار فالوهابيون يقبلون كل إصلاح مالم يعادم الدين ، والعلم والدين لا يتصادمان في الحقيقة إلا عند من لم يحسن فهم كل منهما .

النهضة العلمية في اليمن

أما اليمن فإنه يضارع ملكة ابن السعود في أمرين : عموم التعليم والامن الشامل ، فقد بانني انه لا يكاد يوجد في اليمن قرية تخلو من فقيه يعلم الأحداث القراءة والكتابة ، وانه لا توجد مدينة ولا قرية في اليمن إلا فيها حلقات تدريس للعلوم اللغوية والشرعية ، فالامية في اليمن نادرة ، نعم لا يوجد هناك من يعتني بالعلوم العصرية إلا نادراً وهي علة قد تزاح قريباً ، لأن العلوم الادبية لا بد أن تثير حركة في الافكار وتجعل نهضة في النفوس ، وهذه من شأنها أن تهتف بنشيدان العلوم الطبيعية وذلك كما جرى في مصر والشام وغيرهما . هذا وامام اليمن يحيى بن محمد بن حميد الدين هو بنفسه عالم فاضل متبحر سيال القلم لا يغرب عن باله شيء مما يجب لترقية بلاده ، ولذلك نراه مهتماً بالمدرسة العسكرية التي في صنعاء ، وعنده معدل سلاح صغير شأهده بعيني انا وزميلاي هاشم بك الاناسي رئيس الجمهورية السورية والحاج أمين الحسيني مفتي القدس الشريف ورئيس المجلس الاسلامي الاعلى ، وعلينا أن هذا المعمل يقدر أن يعمل البنادق وعلف البنادق كما يصنعونها في اوروبا ، ورأينا مصنوعات هذا المعمل عياناً ، ولنا الأمل بان تتسع دائرة هذا المعمل ، وأن يتأسس في البلدان العربية معامل أسلحة كثيرة تكون وافية بمحاجات

أهلها ، ولا تنسى ان العراق والشام والمملكة السعودية هي في مقدمة الاقطار العربية التي تحتاج إلى مثل هذه المعامل ، لأن على العرب واجباً لا يجوز أن يغفلوا عنه طرفه عين ، وهو أن لا يكونوا عبيالاً على اوروبا في التسليح فانه إن أمكنهم ذلك في زمن الحرب استطاعوا أن يدفعوا الأخطار عن بلادهم وخير للأرض أن تستغني بمائها عن مياه غيرها التي يجوز أن تنقطع عنها .

الشعر والشعراء

أما اللغة العربية من حيث هي ، فقد طارت في هذه الخمسين سنة الاخيرة بجناحين وصارت إلى جلالها الماضي وعنجهيتها القديمة فكثرت في السنين الاخيرة سواد الكتاب والشعراء حتى صاروا يحصون بالآلاف ، وإن لم يكن بالآلاف ، ونبع منهم فحول يقدر الانسان أن يلزمهم في صفوف المنشئين والشعراء من أهل القرون الاولى للإسلام عندما كانت اللغة في ابان سورتها فلا تنظر في جريدة إلا تجد فيها من النظم الفائق والترسل الرائق لسان لم تسمع في عمرك باسمائهم ، هذا عدا المفاخر والعباقرة الذين سارت بذكرهم الركبان وحفظ الرواة من شعرهم كما يحفظون شعر المتنبي وأبي تمام ، ولم يكن منذ خمسين سنة بمصر والشام والعراق والمغرب معشار العدد الذي نجده في يوم الناس هذا من هذه الطبقة الراقية في الادب منذ خمسين سنة أو ستين سنة فما قبل ، وكان إذا نبغ شاعر أو برع كاتب ضرب به المثل لتفرد وخلق الجو من حوله ، والحال انه لو نشرته اليوم من قبره ، وعرضته في الجمع لوجدت أمثاله يعدون بالعشرات ، وإن كانت لا تزال له طلاوة ، فهذه الطلاوة لا ترتفع به إلى صفوف العبقرين وإنما تجعله في صف المجيدين ، وقد كنا في سورية لا نعرف شاعراً أحسن من نصيف اليازجي اللبناني الذي نبغ في بيروت وصارت له تلك الشهرة الطائرة باستحقاق ، وهو لو وجد في زماننا هذا لما كان إلا واحداً من جماعة ، وكان في بيروت من الشعراء المجيدين عمر الانسي البيروتي يقرأ الانسان

شعره بلذة وكان قبل الانسي واليازجي أمين الجندية وبطرس كرامة كلاهما من حمص ولهما قصائد كسبا بها شهرة لا تزال لها إلى اليوم ، ولو انها عاشا في هذا العصر لم تكن لهما هذه الشهرة بالرغم من إجادتهما ، وعلو طبقتها ، وقد سأل الامير بشير الشهابي أمير لبنان في وقته الشيخ أمين الجندي عن المعلم بطرس كرامة قائلاً له : ما نسبة المعلم بطرس اليك في الشعر ؟ فأجابه : نسبة الثعلب إلى الأسد ، ولم يكن هذا الجواب صحيحاً لان لبطرس كرامة من الشعر لا سيما في الغزل والنسيب ما لا يقل رونقاً عن شعر الجندي ، وكان في بغداد ثلاثة شعراء أو أربعة اشتهرت اسمائهم في بلادنا مثل عبد الباقي العمري وصالح التميمي وعبد الحميد الموصلی وعبد الغفار الأخرس ، وكان أكثرهم شهرة عبد الباقي العمري وعبد الحميد الموصلی هنا بسبب مراسلاتهما مع نصيف اليازجي كما ان شهرة صالح التميمي كانت بسبب المناقشة التي وقعت بينه وبين بطرس كرامة ، وهذه الطبقة ، وإن كانت تعد من الطبقة العالية في الأدب ، فان الذين جاءوا بعدها رددوها إلى الوراء فبعد أن كانت من المجلين صارت من المصلين ، اللهم إلا إذا حسبنا الشاعر الارزي الذي لا يزل هؤلاء في قوته ، ومن قبله ابن معنوق الذي كان يضارع الشعراء الأولين .

وأما في مصر فما بدأ الشعر ينهض إلا بنبوغ محمود صفوت وبعده محمود سامي وهو صاحب النهضة الشعرية الكبرى ، وقد أجمع مؤرخو الادب على أنه مجدد الشعر العربي في هذا العصر ، وأنه الذي أعاد اليه دياجته الاولى التي كانت القرون الاخيرة لا تعرف منها شيئاً ، وما كان شوقي وحافظ وغيرهما من شعراء مصر الا مبعوثين في عالم الأدب بأقاص محمود سامي العالية ، واليوم لا يكاد يحصى عدد المجيدين من شعراء مصر وأغرب منه نبوغ شعراء في السودان لا يقل شعرهم في الاجادة عن شعراء الأقطار العربية الاخرى ، وقد نبغ في تونس في القرن الماضي محمد قباد وهو صاحب تشطير (أقفاطم لو شهدت بيطن خبت) الذي دخل فيه مدخلاً لا يفترق عن الاصل ، والذي له قصائد أخرى جياذة ، وجاء بعده شعراء في تونس لم أعلم منهم أحداً بلغ مداه ، وقد هبت

فيج الأدب في هذا العصر في أرجاء الجزائر والمغرب الأقصى ، وظهر شعراء و مترسلون يمكن ان يضعهم القارئ في صعيد واحد مع شعراء الشرق ، ومهما قيل في ترقى الشعراء في هذا العصر الاخير فأعظم منه قد كان ترقى الكتابة التي لم تتقدم في فصاحة الالفاظ وتنقيح الجمل فقط بل علت ببلاغتها وحسن أسلوبها وتشعبها بالمعاني الكثيرة التي أوجدتها الحركة العلمية الحديثة فادبل من الصناعة اللفظية والسجع الرنان بالمسحة العلمية والانشاء المرسل الملائن ، وهذا النوع من الكتابة هو أصعب أنواعها لمن أراد أن يسعى كاتباً ، ولا نزاع في أن ترقى كل من فني الشعر والكتابة في الأدب العربي قد كان وليد النهضة العلمية العامة التي حملت المتأدبين على مراجعة أحسن ما كتب العرب وخلقوه في زوايا المكاتب فسحت لهم بسبب هذه النهضة العلمية إلى طبع الكتب التي لا تزال مجهولة ، أو مما ينحصر اقتناؤه في بيوت الأمراء والكبراء فصارت هذه الكتب من مثل ترسل ابن المقفع والجاحظ وأمثالها مشاعاً بين جميع عشاق الادب ، وكانوا كلما قرأوا كتب الاوربيين شعروا بحاجة الى مادة أغزر من اللغة العربية وأساليب أطلى وفنون أبدع ومجال أوسع فكأن اللغات الاجنبية هي نفسها قد كانت الحافز الاعظم على انقان العرب المحدثين للغتهم وارتوائهم من معينها ، ولا عجب في ذلك فالعلم يزيد بعضه بعضاً سنة الله في خلقه .

الفقه الاسلامي وعلماء الدين

هذا ما كانت من جهة الادب العربي ، وأما من جهة الفقه الاسلامي فلا تقدر ان تقول انه تقدم الى الامام بل رجع في الحقيقة الى الوراء وذلك باستغناء الناس عنه بعلم الحقوق منذ ترجمت النولة العثمانية هذا العلم عن قوانين اورية الى التركية والعربية ، ومن عادة الناس أن يكون أكثر انشغالهم بما ينفعهم في دنياهم ، وليس كل العلم طراز مجالس . نحن أولاء قد أدركنا في أواخر القرن الماضي طبقة عالية من علماء العلوم الشرعية في دمشق مثل الشيخ محمود الحزاوي والشيخ سليم العطار والشيخ بكري العطار والشيخ سعيد

الاسطواني والشيخ الطنطاوي والشيخ علاء الدين عابدين والشيخ محمد البيطار وأخيه الشيخ عبد الرزاق البيطار والشيخ طاهر الجزائري والشيخ عبد الغني الميداني والشيخ محمد الخاني والشيخ جمال الدين القاسمي وغيرهم ، وكان الناس يستفتونهم في النوازل ويعولون على آرائهم في الدين والدنيا ، فلما انتشرت العلوم العصرية ومنها القوانين الاوربية المترجمة التي عملت الدولة بها صار إذا مات واحد من هؤلاء الفقهاء لا يخلفه غيره ، وما زال الامر كذلك إلى ان كانت هذه الطبقة تنقرض بالمرّة ، وكذلك كان في بيروت الشيخ محي الدين اليافي والشيخ يوسف الأسير والشيخ ابراهيم الاحدب ، وسيف طرابلس الشيخ حسين الجسر والشيخ محمود نشابة فمات كل هؤلاء ولم يخلفهم أحد ، وصار النبوغ للمحاميين الذين تخرجوا في المدارس الاوربية أو في مكاتب الدولة العثمانية ، والمحامون بمصر أكثر منهم بالشام لما في مصر من استبحار العمران . إلا انه نظراً لوجود الأزهر ومدرسة القضاء الشرعي في مصر بقي حملة العلوم الشرعية فيها أكثر منهم في سورية ، وكان الواجب على هذه الامة في كل قطر أن لا تهمل هذا العلم الذي هو من مفاخر الثقافة العربية ومن محاسن تاريخها والذي لا يستغني عنه المسلمون في المعاملات الدينية فضلاً عن المسائل الاعتقادية .

الطب والاطباء والعبيد

وأما الطب فهو من العلوم التي يقوم عليها المشاركة أكثر من غيرهم ويوفقون فيها ، ومن الأطباء الشرقيين من يقيمون الآن في اورية ويشتهرون بالنبوغ بين أهلها ، وقد كانت الدولة العثمانية من الدول الراقية في علم الطب حتى يقال انها في الدرجة الخامسة بالنسبة إلى الدول الاخرى ، وقد نبغ فيها عدد كبير من الاطباء الجراحين يعدون في الطبقة العليا بالنسبة إلى أطباء اورية وجراحيا أنفسهم منهم أتراك ومنهم عرب ومنهم أروام ومنهم أرمن ، ولا تقدر أن تقول أن سورية متأخرة في حلبة الطب هذه عن غيرها بل اني أتذكر انه لما نشبت الحرب

العامة ، واحتاجت الدولة إلى أطباء لجيشها ساقط إلى الجيش ٢٠٠ طبيب ذي شهادة من جبل لبنان وحده وبقي عدد كبير منهم في البلاد . واليوم قد ازداد هذا العدد على ما كان عليه قبل ، وبلغني ان في دمشق وحدها اليوم (١٥٠) طبيباً ، وانا نرى خريجي مدارس الطب من السوريين يتعاطون صنعهم هذه في مصر والعراق والسودان والحجاز وغيرها ، وما يقال في الطب يقال في الصيدلة التي لها ممثلون كثيرون من أبناء سورية ، وكذلك بدأ كثير من الشبان يدرسون في أوربة علم الجراثيم (البكتريولوجية) .

مناقشة سورية للبلاد العربية

وما من علم يجده في أوربة إلا أقبل عليه الشرقيون كما أقبل الغربيون وأخذوا منه بنعيب ، فالمباراة إذاً جارية بكل ما يمكن من الهمة ، على أن سورية في علم الطب وتوابعه هي ذات المركز الاول في البلدان العربية ، وذلك لسبقها غيرها إلى ورود حياض العلوم الكونية فلا مصر ولا العراق ولا جزيرة العرب ولا إيران ولا المغرب تضارع سورية في هذا الموضوع ، ولكن نحن على ثقة أن جميع البلاد العربية من الآن إلى ثلاثين وأربعين سنة تصير متساوية بعضها إلى بعض في درجة الرقي العلمي .

ومن العلوم التي يمتاز بها العرب ، ولا سيما السوريين منهم ، العلوم العددية وقد نبغ الكثيرون ممن لا تقدر على احصاء اسمائهم نذكر منهم على سبيل التمثيل الشيخ محمد الطيني في دمشق والمعلم بطرس البستاني والمعلم أسعد الشدودي في بيروت وغيرهم .

ولما كان السوريون من أقوى امم الارض على التجارة كانت علم الحساب من العلوم التي يتخصصون بها بطبيعة الحال ، وكذلك في مصر لا ينكر ترقى العلوم الرياضية التي مصر من مراكز ازدهارها بل تقدر أن تقول ان المهندسين فيها أكثر منهم عدداً في سورية نظراً لأن الزراعة في وادي النيل أرقى بكثير منها في سورية .

بقي علينا أن ننظر كيف يكون اتجاه الامة العربية في المستقبل من جهة الثقافة ! أناخذ بالثقافة الغربية ولوازمها وامتدادها إلى النهاية أم تبقى معنصمة بثقافتها الشرقية الأصلية لا تبغي بها بدلاً ولا عنها حولاً أم تأخذ من الثقافتين معاً وتجعل من ذلك ثقافة خاصة لا شرقية ولا غربية ! هذا سؤال يرد كثيراً على خواطر الباحثين وكل منهم يذهب في الجواب مذهباً ، وأظن أن ثقافة العرب المستقبلية ستكون عصرية آخذة من التجدد بأوفى نصيب لكن مع الاحتفاظ التام بالطابع العربي ، وهذه أشبه بما سبق للثقافة العربية في زمن بني العباس وفي زمن بني امية بالاندلس حينما نقل العرب حكمة اليونان إلى لغتهم واطعموا على علوم فارس والمهند فجعلوا من هذه الثقافات الثلاث ومن الثقافة العربية الأصلية ثقافة جديدة عالية كانت أرقى ثقافة في القرون الوسطى ، لكنها كانت زاهرة بطابعها العربي الذي لم يكن يفارقها بحال من الاحوال ، وهكذا ستكون ثقافة العرب بعد اليوم غير جامدة على القديم الذي ثبت للعرب المحدثين وجوب التعديل فيه والاضافة اليه ، ولن تكون منسلخة من القديم جامدة في التبرؤ منه على النحو الذي نجاه الاتراك الكماليون الغالبون على تركية اليوم ، ولكنها تكون ثقافة جامعة بين القديم والجديد مختارة من كل شيء أحسنه مع بقاء الصبغة العربية التامة غير المفارقة للعرب ، وذلك على النحو الذي نجاه اليابانيون الذين اقتبسوا جميع علوم الاوربيين ولم يغيب عنهم منها شيء ولا فاتهم من صناعات أوربة دقيق ولا جليل ، ولبثوا مع ذلك يابانيين أصلاء في لغتهم وأديبهم وطربهم وطعامهم وشرابهم وجميع مناحي حياتهم ، وحسب العرب قدوة للاقتداء ومثالاً للاحتذاء هذه الامة اليابانية العظيمة التي لا يوجد أشد منها رجوعاً إلى قديم ولا أخذاً منها بجديد .

والآمال معقودة بانه ستكون في الشرق الادنى نهضة عربية علمية تضاهي النهضة العلمية التي رأيناها في الشرق الأقصى .

لماذا تأخر الشرق الأدنى عن الأقصى

وإن كان الشرق الأدنى قد تأخر عن الأقصى في درجة الرقي العصري فلم يكن ذلك كما يتوهم بعضهم من جمود الأمم الشرقية العربية وثقوب اليابانيين عليهم في حب العلم ونشدها وسائل القوة ، وإنما كان الموقع الجغرافي للبلاد العربية قد عرّضها من هجومات الأجانب وغاراتهم المتوالية لما لم يتعرض له اليابانيون بسبب نقاصي ديارهم وبعد مزارعهم بحيث خلا لهم الجو وتمكنوا من أن يتعلموا ويتهذبوا آمنين على حوزتهم ، وهذا فرق طالما غفل عنه الناس ولم يتفطنوا لخطورته ، فحملوا بسبب غفلتهم عنه على الشريعة الإسلامية وجعلوها ظلماً وعدواناً هي المسؤولة عن هذا التأخر ، والمسؤول الحقيقي في الواقع هو الاعتداء الأجنبي المتواصل الذي يتيسر في الشرق الأدنى مالا يتيسر في الشرق الأقصى ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

مكيب ارسلان



الصحافة في طرابلس الغرب

لما اطلع أحد ادباء طرابلس الغرب على محاضرة الامير نشر في جريدة الجزيرة الكلمة الآتية ننشرها في مجلتنا إتماماً للبحث :

« قرأت في عدد ١٥ - ٧٠٥ من مجلتكم الغراء جزءاً من المحاضرة التي ألقاها في قاعة المجمع العلمي الدمشقي أمير البيان عطوفة الأمير شكيب أرسلان باسم النهضة العربية العلمية ، فوجدت ما نصه :

وأما في طرابلس الغرب فلم يكن أيام الدولة العثمانية غير جريدة الولاية الرسمية . وفي الوقت الحاضر توجد جريدة للحكومة في طرابلس وأخرى في بنغازي .

مع أن الذي أعلمه يقيناً ان بطرابلس في العهد العثماني عدة جرائد كالترقي والمرصاد والرقيب والعصر الجديد وأبو قشة (هزلية عربية) وتعميم حزب هزلية تركية ومنشئها من طرابلس ، ومجلة باسم مجلة الفنون مصورة .

وفي العهد الايطالي بطرابلس جريدة العدل والرقيب العتيد وهي التي كان اسمها الرقيب في العهد العثماني ، والله كرى .

وأما في بنغازي فقد صدرت منذ نحو سنتين مجلة مصورة باسم « ليبيا المصورة » زيادة على جريدة باسم يرهد بركة .

وما يجدر ذكره بهذه المناسبة ان جريدة الرقيب التي سميت في العهد الايطالي بالرقيب العتيد كانت أرقى في العهد العثماني .

طرابلس مغربي

جولة في مدارس اليمن

ولما كان عطوفة الامير شكيب قد تناول يبحث المعارف في بلاد اليمن

بصورة مجملة ولما كان منشئ الجزيرة^(١) قد قام برحلة الى تلك البلاد وطاف في مدارس صنعاء رأينا إتماماً للبحث أن نضيف إلى محاضرة الامير ما نشره في جوائده عن مدارس اليمن قائلًا ما نصه :

ان الذين يقولون بان المدارس مفقودة في بلاد اليمن يهرفون بما لا يعرفون إذ يبلغ عدد المدارس في تلك الجهات نحو ٢٠٠ مدرسة بين مدارس صغيرة وكتاتيب وكلها مرتبط رأساً بالحكومة ، وبعضها مؤلف من ثلاثة صفوف وبعضها من أربعة .

نعم ان هذه المدارس لم تبلغ مستوى المدارس الحديثة في هذه البلاد بسبب فقدان الأساتذة الأكفاء ، ولكن حركة بسيطة تقوم بها حكومة جلالة الامام لا بد من أن تؤدي إلى تكوين نهضة ثقافية واسعة النطاق . وفوق ذلك فان في صنعاء عدة مدارس كبرى أذكر منها المدرسة الحربية ودار المعلمين ومدرسة الايتام والمدرسة الزراعية ومدارس الصناعة ومدرسة الإصلاح والكلية العلمية .

والطلاب في جميع مدارس اليمن لا ينفقون على الدراسة بل ان أكثرهم يأكل وينام ويلبس على حساب الحكومة وهذه مأثرة خالدة : نسجلها لجلالة الامام .

وقد التفت من سمو وزير المعارف أن يسمح لي بزيارة مدارس صنعاء فأذن لي بذلك وأرفقني بالشيخ يحيى النهاري وكيل مديرية المعارف وهو شاب يمانى ذكي ونشط .

مدرسة الوبنام

وقد بدأنا أولاً بزيارة مدرسة الايتام التي تعتبر من أرقى مدارس اليمن وهي مؤلفة من سبعة صفوف ستة منها ابتدائية وواحد ثانوي وجلالة الامام (١) هو السيد تيسير ظبيان الكيلاني الدمشقي .

يتفق على هذه المدرسة من جيبه الخاص ويدخل في باب النفقات الطعام واللباس والنوم وغير ذلك ويبلغ عدد طلابها ٣٠٠ طالب أكثرهم من الأيتام .

وقد استقبلنا مديرها الشيخ محمد نقي وأخذ يطوف بنا على غرف التدريس وقد فحصت بعض الطلاب وألقيت عليهم عدة أسئلة في التجويد والعلوم الدينية والحساب والجغرافية والتاريخ والقواعد العربية فوجدتهم رغم رداءة طرق التدريس المتبعة عندهم على جانب عظيم من الذكاء وحسن الاستعداد لتلقف أنواع العلوم .

بيد أنني أرى من واجبي إرضاء لضميري وتنبيهاً لحكومة جلالة الامام أن أدون فيما يلي الملاحظات الآتية :

١- ان الطلاب يحفظون دروسهم عن ظهر قلب دون أن يتدبروا معاني ما يحفظون .

٢- بعض التلاميذ كانوا يجلسون على الارض لعدم وجود مقاعد كافية .

٣- يظهر ان العهد التركي ترك في المدارس بعض الاصطلاحات غير العربية وقد رأيتها متداولة ومستعملة في المدرسة نحو : يوقاحة « تفقد » نواتجي (منلوب) فايدوس « فرصة » وقد نهت مدير المدرسة إلى الكلمات العربية التي تقابل تلك المصطلحات الأعجمية فوعده باستعمالها .

٤- لعل من أغرب ما شهدت في هذه المدرسة أن بعض التلاميذ كانوا مقيدين بالسلاسل من أرجلهم ولما استفسرت عن ذلك قيل إنهم يفرون كثيراً فلم يجدوا وسيلة لمنعهم من الفرار إلا عن طريق الأغلال ! . . .

٥- الطلاب كلهم يرتدون الألبسة العربية اليمنية وهذا أمر لا نعترض عليه ولكن لاحظت أن الطلاب عند أداء بعض التمارين الرياضية ولا سيما عند استعمال المتوازيين والحلقات وغيرها يجدون صعوبة ومشقة فحبذا لو يعد لهم لباس خاص مؤلف من سروال وقميص خفيفاً للالعاب الرياضية .

وما أدهشني وأثلج صدري أن التلاميذ استقبلوني بالاناشيد الوطنية المعروفة في بلادنا ولا سيما نشيد حبيب الطيبي وصرير القلم . . . الخ

وقد شمرت بقوة حناجرهم وعذوبة أصواتهم مع عدم انطباقها على القواعد الموسيقية الحديثة .
 وأخلاصة فإن هذه المدرسة (رغم النقائص الموجودة فيها والمرجو تداركها حالاً) تعتبر من أعظم المؤسسات التعليمية في بلاد اليمن .

مدرسة الصنائع

ثم توجهنا بعد ذلك الى مدرسة الصنائع وزرنا بعض فروعها وأقسامها ولا سيما معامل النسيج والصابون والسجاد . ويشغول إدارة شؤون هذه المدرسة شاب مصري منتدب من قبل الحكومة المصرية اسمه عبد القادر علام ، وقد أطلعني علي خلاصة الأعمال التي قام بها والخطوات التي خطتها هذه المؤسسة الصناعية في مدة لا تزيد عن ثلاثة أشهر . ثم أراني الآلات والمكينات التي أحضرت حديثاً وأكد لي أنه لو وجهت الحكومة العناية الكافية إلى تقاريره لاستطاع أن يؤمن عن طريق صنائع الطلاب فقط جميع حاجات اليمن من المنسوجات .

ثم زرنا معمل الصابون وكان ينتج في اليوم الواحد ما لا يقل عن أربعة آلاف قطعة صابون ، وبدير أعمال هذا المعمل رجل فلسطيني أصله من عكا ، وقد سألت عن الزيت الذي يصنع منه هذا الصابون فقلت لي انه يستخرج من نبات غريب يظهر في اليمن ويشبه الخروع في تأثيره .

ثم زرنا بعد ذلك معمل السجاد وأعجبت بمصنوعات الطلاب من السجاد النفيس والأبسطة الجميلة .

المدرسة العلمية الكبرى

والمدرسة العلمية تعتبر أرقى المعاهد العلمية في اليمن وهي تؤهل طلابها وخريجها بعد نوال الاجازة : (١) لتولي أعمال القضاء (٢) للقيام بشؤون التدريس في مدارس الحكومة (٣) للاندماج في وظائف الحكومة الكبرى . وعلمت ان

أكثر العمال في الأقضية والنواحي متخرجون من هذه المدرسة .

والطلاب فيها يأكلون وينامون ويلبسون على حساب الحكومة ، وقد زرت
غرف نومهم وقاعات التدريس والمطبخ الذي يعد فيه الطعام فألفيتها كلها على أتم
ما يكون بالنسبة لهذه البلاد .

وهذه المدرسة تدرس مختلف العلوم الدينية والعربية فهي تعتبر كالأزهر
في مصر ويبلغ عدد طلابها المئتين وقد اختبرت بعضهم فوجدتهم متفهمين
تماماً لما يلقي عليهم من الدروس ومتبحرين في الشؤون الدينية .

أما الدروس التي يتلقونها في هذه المدرسة فهي القرآن الحكيم ، أصول
الفقه ، مصطلح الحديث ، الحديث ، علم الفرائض ، تفسير القرآن ، التصوف
(ويسمونه علم الباطن) ، الصرف والنحو ، التوحيد ، المعاني والبيان ، المنطق ،
الإنشاء ، المحفوظات ، الأدب العربي ، التاريخ الاسلامي ، تاريخ الأئمة ، تاريخ
اليمن ، الحساب ، علم الاوقات والفلك .

والكتب التي يعتمد عليها في التدريس أكثرها من وضع علماء الزيدية
وبعضها مطبوع والبعض الآخر مخطوط وهذه أهم الكتب التي يدرسها الطلاب
في هذه المدرسة :

التجويد (شرح الجزري) ، مفتاح الفانض في علم الفرائض ، متن الازهار
في فقه الاثثة الاطهار مع الشرح ، الفية ابن مالك وشرحها لابن عقيل ، متن
الاساس في علم الكلام ، تفسير الزمخشري ، متن الغاية في اصول الفقه ، متن
التلخيص ، ملحة الاعراب .

ويبلغ عدد الاساتذة في هذه المدرسة ١٥ أستاذاً أذكر منهم حضرات :

الشيخ عبد الواسع بن يحيى الواسعي (مدير المدرسة)

السيد أحمد بن علي الكحلاني (رئيس المدرسين)

السيد حسين بن محمد الكبسي ، السيد أحمد بن عبدالله الكبسي ، الشيخ

الجمالي علي بن محمد فضة ، الشيخ حسين بن يحيى الواسعي ، السيد عبدالعزيز بن علي بن ابراهيم ، السيد علي بن محمد الشهيد ، الشيخ محمد بن علي الشرفي ، الشيخ علي بن هلال التيب ، الحاج لطفي الفسيل ، السيد عبدالقادر بن عبدالله ، الفقيه محمد مداعس ، القاضي يحيى الانسي .

وحفاظ القرآن السيد علي الطائفي والفقيه حسين الغيثي والفقيه علي الحبيبي .

ملحوظة : القاب العلماء في اليمن القاضي لمن تولى القضاء أو كان والده قاضياً ، والسيد لمن ينتسب لسيدنا علي ، والفقيه والشيخ لائر العلماء .

عدي بن الرقاع العاملي

- ٣ -

مختارات من شعره

دهوان عدي بن الرقاع مفقود ولم يبق من شعره إلا القليل وهذا القليل غير مجموع في مكان واحد يمكن الرجوع اليه بل هو مبثر في بطون الكتب لذلك فقد انصرفت مدة من الزمن أجمع كل ما عثرت عليه من شعره في كتب الأدب واللغة والتاريخ والتراجم وتقويم البلدان ، فقد أجد القصيدة من شعره مفرقة في أماكن متعددة فأضمت بعضها الى بعض وقد أجد أبياتاً من بحر واحد وقافية واحدة منشورة على سبيل الامتداد في كتب اللغة وتقويم البلدان كلسان العرب لابن منظور ومعجم البلدان لياقوت فأجتهدت في ترتيبها وجعلتها قطعة واحدة متتالية بعد التحري والروية . ولم أجد من شعره قصيدة كاملة في مكان واحد إلا قصيدته الدالية التي مدح بها الوليد بن عبد الملك وأولها :

عرف الديار توهمًا فاعتادها من بعد ما شمل البلى أبلادها
قد وردت برمتها في نهاية الأرب للنويري ج ٤ ص ٢٤٧ وشرح
الكامل للمرصفي ج ٧ ص ٤٨ ومجلة الآثار ج ٢ ص ٤٤٤ .

وهاك طائفة مختارة مما جمعت من شعره .

قال :

لو ثوى لا يريها الف حول لم يطل عندها عليه الثواء
أهواها يشفه أم أعيرت منظرًا غير ما أعير النساء

وقال :

وناعمة تجلو بعود أراكة موثرة يسي المعانق طيها
كأن بها خمرًا بماء غمامة إذا ارتشفت بعد الرقاد غروبها
أراك إلى نجد تحن وإنما منى كل نفس حيث كان حبيبها

وقال يحيب الراعي لما هجاه :

حدثت أن روعي الأبل يشتمني والله يصرف أقوامًا عن الرشد
فانك والشعر ذو تزجي قوافيه كبتني الصيد في عريسة الأسد

وقال :

صادتك اخت بني لومي إذ رمت وأصاب سهمك إذ رمت سواها
وأعارها الحدثان منك مودة وأعير غيرك ودها وهواها
بيضاء تستلب الرجال عقولهم عظمت روادفها ودق حشاها
وكانت طعم الزنجيل ولذة صباء ساك بها المسحر فاهها
فاذا تجلجل في القواد خيالها شرق الجفون بعبرة تشجاها
يا شوق ما بك يوم بان حدودها من ذبيح المويقم غدوة فرآها

ومنها يقول في صفة حماري وحش :

يتعاوران من الغبار ملاءة بيضاء محكمة هما نسجاها
تطوى إذا علوا مكاناً جاسياً وإذا السنايك أسهلت نشرها
وقال :

وفي الحدور مها حور مصورة خلقن أحسن مما قال من يصف
إذا كورن خديثاً قلن أحسنه وهن من غير سوء يتقى صدف
وقال يصف غيثاً :

مرن ترفع في ريع شامية مكلل بهاء الماء متطق
تربص الليل حتى قل سائمه على الرويشد أو خرجائه يدق
التي على ذات أحفار كلاكه وشب نيرانه وانجباب يأتلق
نار تعاود منها العود جدته والنار تسفع عيداناً فتحترق
فما به بطن واد غب نضجته وان تراغب إلا مسفه تثق
وقال في طول الليل :

وكان ليلى حين تغرب شمسه بسواد آخر مثله موصول
أرعى النجوم إذا تغور كوكب أبصرت آخر كالسراج يحول

وقال يمدح عمر بن هيرة :

إذا شئت أن تلقى فتى البأس والندی وذا الحسب الزاكي التليد المقدم
فكن عمراً تأتي ولا تعدونه إلى غيره واستخير الناس وافهم
فتى عزلت عنه الفواش كلها فلم تختلط منه بلحم ولا دم

كأن زرور انبطارية علفت
عملس أسفار إذا استقبلت له
بكافح لوحات الهواجر بالضحي
إذا ما رمى أصحابه بجبينه
علاقتها منه يجذع مقوم
مهم كحر النار لم يتلثم
مكافحة للمنخرين وللهم
مري الليلة الظلماء لم يتهكم
وقال يفتخر:

نسبتم مساعدتنا الصوالح فيكم
فان تعدونا الجاهلية انا
بلا ذاك منا ابن المعدل مرة
يقود الينا ابني تزار من الملا
فلما ظننا أنه نازل بنا
ونحن فككنا عن عدي بن حاتم
وما تذكرون الفضل إلا توها
لنحدث في الأقوام بوها وأنها
وعمر بن هند عام اصعد موسما
واهل العراق ساميا متعظا
ضربنا وولينا جمعاً عرمرما
اخي طيب الأجيال قدأ محرما

وقال يمدح عمر بن عبد العزيز:

جمعت اللواتي يحمد الله عبده
فأولهن البر والبر غالب
وثانية كانت من الله نعمة
وثالثة ان ليس فيك هوادة
ورابعة ان لا تزال مع التقى
وخامسة في الحكم انك تنصف الض
عليهن فليهن لك الخير واسلم
وما بك من غيب السرائر يعلم
على المسلمين اذا ولي خير منعم
لمن رام ظلماً أو سعى سعي مجرم
تخب بيمون من الامر مبرم
م ميف وما من علم الله كالعمي

وسادسة ان الذي هو ربنا اص م طفاك فمن يتبعك لا يتندم
وسابعة ان المكدرم كلها سبقت اليها كل ساع وماجم
وثامنة في منصب الناس انه سبأ بك منهم معظم فوق معظم
وتسعة ان البرية كلها يعدون سبأ من أمام متم
وعاشرة ان الخلموم توابع خلماك في فصل من القول بحكم
وقال في الخمر :

فكأنني من ذكركم خالطتي من فلسطين جالس خمر عقار
عقت في الدنان من بيت راس سنوات وما سبتها التجار
فهي صباه نترك المرء أعشى في يياض العينين منها احمرار
وقال :

عرفت بعفر أو برجلتها ربما رماداً وأحجاراً بقين بها سفعا
فما رمتها حتى غدا اليوم نصفه وحتى سرت عيناى كاتهما دمعاً
أسرهم ما لو تغفل بعضها الى حجر صلد تركن به صدعا
أמיד كأني شارب لهبت به عقار ثوت في دنها حججا سبعا
مقدية صباه تشخن شربها اذا ما أرادوا ان يراحوا بها صرعى
عصارة كرم من حديباء لم تكن منابتها مستحدثات ولا قرعا
فذر ذاولكن هل ترى ضوء بارق وميضاً ترى منه على بعده لمعا
تصعد في ذات الأراب موهنا إذا هز رعداً خلت في ودقه شفعاً
فما تركت أركانها من سواده ولا من يياض مسترادا ولا وفعا

وقال :

لولا الحياء وان رأسي قد عسى فيه المشيب لزرت ام القاسم
يصطاد يقظان الرجال حديثها وتطير بهجتها بنوم الحالم
و كأنها بين النساء أمارها عيذه أحور من جاذر جاسم
وسنان أقصده النعاس فرقت في عينه سنة وليس بنائم
هذه طائفة مختارة مما جمعه من شعر عدي بن الرقاع العاملي إذا أضيفت
إلى ما ورد منه على سبيل الاستشهاد في البحثين السابقين صورت
للقاري شاعراً فحلاً من شعراء بني أمية الذين يمثلون الشعر العربي
الخالص .

خليل مردم بك



نظريات الاقتصاد عند البيروني

النظريات الاقتصادية هي حديثة في حد ذاتها ، ولكن كلما أمعنا النظر بالوثائق العربية القديمة رأينا أن السلف الصالح قد تطرق إلى كل ناحية من المعارف ، ولو أننا تابعنا ذلك المسير لكنا اليوم في مقدمة الأمم حضارة ومدنية .

البيروني هو أحد العلماء المسلمين الذي كان له الأثر الأكبر في جمع العلوم الإسلامية فهو أحد ثقات النقادين والباحثين في العلوم التاريخية والجغرافية والطبيعية والرياضية .

ولد أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني في عام ٣١٢ هـ أي ٩٢٢ م . في خوارزم وعاش ردها طويلاً من الزمن في بلاط ملوك عزنة السلطان محمود وخليفته السلطان مودود ، أما الكتب التي أنفها فقد أدرجت بفهرست بروكلمن ودائرة المعارف الإسلامية الألمانية ، وكتاب الصيدنة الذي يبحث عن العقاقير ومنفعتها فقد نشره طبيب العيون في القاهرة وأحد الباحثين عن تاريخ الطب العربي الدكتور ما كس مايرهوف . ونشره رامي رايت R. Ramsay Wright الانكليزي كتاب التمهيد لأوائل صناعة التنجيم ، أما مخطوطة البيروني القيمة التي تبحث عن الاحجار (الجواهر في معرفة الجواهر) والتي اكتشفت فيها النظرية الاقتصادية فاني اعرف لها ثلاث نسخ :

أ : نسخة محفوظة في مكتبة الاسكوريال في أسبانيا تحت عدد ٣٢٢^(١)

(١) انظر مقال شتاينشneider في مجلة الشرق الألمانية ١٨٩٥ عدد ٤٩ ص ٢٥٣

M. Steinschneider, ZDMG. 49, 1895, p.253.

وقد كنت اطلمت على هذه النسخة في مكتبة تاريخ العلوم الطبيعية في برلين فوجدتها مملوءة بالاغلاط .

٢ : نسخة محفوظة في مكتبة السراي في الآستانة كتبت عام ٦٢٦ هـ وقد اطلمت على صورة شمسية لهذه النسخة في جامعة بون ، ويقول الاستاذ كرنسكو في مجلة ثقافة الاسلام الهندية التي تصدر باللغة الانكليزية في حيدر آباد (عام ١٩٣٢ جزء ٥ ، ص ٥٣٠ وما تابعه) ^(١) ان هناك نسختين في الآستانة في حين ان الاستاذ هلمون ريتو المقيم في الآستانة لتدقيق المخطوطات العربية في خزائن المكتبات التركية يعتقد أن هناك نسخة واحدة .

٣ : نسخة محفوظة في مكتبة رشيد أفندي في مدينة قيصري في تركيا ، ومكتبة بروسيا الحكومية تملك صورة شمسية لهذه النسخة التي كانت دليلا في هذا الموضوع .

وقد أتبع لي أن أدرس هذه المخطوطة دراسة متقنة اطلمت فيها على جميع ماخذ البيروني ، وقد عثرت هنا على نظرية اقتصادية لها تماس قوي مع النظريات الاقتصادية الحديثة أقرت بقيمتها كلية الفلاسفة في جامعة بون ^(٢) .

وقد كنت نوهت عن هذه المقالة في مجلة الاعتدال (النجف نيسان ١٩٣٦ ص ٥٦١) . واني الآن سوف أبين ما هذه النظرية ، ولكن قبل الخوض في الموضوع أود أن آتي بنظرة تاريخية سطحية أبين فيها الذين سبقوا البيروني في هذا المضمار .

في العهد اليوناني تطرق أفلاطون وأرسطوطاليس الى البحث في حاجة الانسان الى التعاون ، حتى ان أرسطوطاليس أشار بأن قيمة الدرهم ليست من ذاته بل بحسب الاعتبار ^(٣) . وهناك فيلسوف يوناني يدعى بريسون Bryson

(١) Islamic Cultur VI, 1932 p. 530 ff.

(٢) راجع أطروحتي الدكتورية عن منابع كتاب الاحجار المقدمه لجامعة بون

M. J. Haschmi, Die Quellen des Steinbuches des Beruni (Inaugural - Dissertation), Bonn 1935. P. 44, عام ١٩٣٥ .

(٣) راجع رسالة أوتار سالين (استاذ الاقتصاد في بازل ، سويسرا) عن تاريخ -

الذي بحث أيضاً بفلسفة الاقتصاد ولكننا لا نعلم الزمن الذي عاش فيه .
 ويزعم الأستاذ مارتين بلسنر الذي دقق مؤلف هذا العالم مع ترجمته العربية ^(١) انه عاش على التقريب بين مائة سنة قبل الميلاد وبين مائة سنة بعد الميلاد وهناك نظرية اقتصادية للدمشقي نشرها الأستاذ هلموث ريتو في العدد الخامس من مجلة الاسلام الالمانية ^(٢) ، لا نعلم أيضاً الزمن الذي عاش فيه هذا العالم الدمشقي ولكنه ما بين القرن التاسع والقرن الثاني عشر .
 فإذا ان أهمية نظرية البيروني عظيمة لاننا نرى هنا تحديد الزمن الذي نشأت فيه هذه النظرية ، وقد سبق الفارابي البيروني في فكرة تشكيل الجماعات في كتابه القيم « المدينة الفاضلة » أما ابن سينا المعاصر للبيروني فقد ألف كتاباً في السياسة ^(٣) تكلم فيه عن حاجة الانسان الى التعاون ولكنه لم يذكر وجوب اتخاذ واحد قياسي للمعاملة في المبادلات ، فللمرة الاولى نجد تحديد النظرية الاقتصادية في الادب العربي عند البيروني وذلك في مقدمته القيمة في كتاب الجواهر في معرفة الجواهر ^(٤) .

— علم الاقتصاد السياسي في دائرة معارف الحقوق وعلم الحكومة برلين ١٩٢٩ ص ٦

Edgar Salin, Geschichte der volkswirtschaftslehre (Enzyklopaedie der Rechts - und Staatswissenschaft) , Berlin 1929, P. 6

Martin plessner, Der Oikonomikos des Neupythagorees (١)
 Bryson, Heidelberg 1928, P. 148.

Helmuth Ritter, Ein arabisches Handbuch der Handelswissenschaft, Der Islam, VII, 5. (٢)

(٣) راجع مجلة المشرق العدد التاسع عام ١٩٠٦

(٤) رغم أن البيروني اعتمد في تأليفه هذا الكتاب على الكندي حيث

يقول : « ولم يقع في هذا الفن اعني فن الجواهر غير كتاب أبي يوسف بن اسحق الكندي في الجواهر والاشباه ، قد افترع فيه عذرتة وأظهر دورته كاختراعه البدائع في كل ما وصلت اليه يده من سائر الفنون ، فهو امام المجتهدين واسوة الباقيين » ليس عندنا أي دليل على ما اقتبس منه ذلك العالم في تكوين نظريته الاقتصادية ، وكذلك الامر بمعاصر الكندي الجاحظ الذي استقى البيروني منه بعض الاخبار —

ابتدأ البيروني في مقدمته بعد حمد الله بالكلام عن غاية الخليفة ، فتكلم عن النبات والحيوان ، ثم عن الانسان كخلق اجتماعي ، وبين بعد ذلك ضرورة اتخاذ قيمة ثابتة لتسهيل تبادل المصالح ، ثم يجلب هذا العالم نظر دقتنا الى الخطر الناشئ عن الغلو في تشريف الذهب وانفضة فيبرهن لنا بأن لا قيمة مطلقة بل قيمتها قيمة نسبية إضافية ، وينتقل بعد ذلك إلى أبحاث الاخلاق الاجتماعية التي تجلب السعادة لبني البشر .

تشتق فكرة البيروني في الاقتصاد من الحاجة ، وهي حاجة المخلوقات إلى المعيشة ، فجعل الله النبات مكتفياً بالقابل من الغذاء الذي لا ينهم بسرعة ، وثابتاً مكانه يأتيه رزقه من كل مكان فيجذبه بعروق دقاق ، أما الحيوان فكان الانهزام فيه سرهماً ، منفصلاً عن منبته محتاجاً إلى القضم والخضم فجعل منتقلاً بآلات الحركة في أكناف الارض لطلب القوت ، فأنعم عليه وأعطى خمس حواس للشعور بما حوله مما بينه وغيظه : من بصر يدرك به المرغوب فيه من بعيد فيسرع إلى اقتنائه ، والمرهوب ليهرب منه ويستعد لاجتنائه واثقائه ، ومن سمع يدرك به المذكور من حيث لا يدركه البصر ، ومن شم بدله على خواض الاشياء ، وذوق يظهر له الموافق من الغذاء وغير الموافق ، ولمس يعرف به الحر والقر والرطب واليابس والصلب واللدن والخشن واللين .

فالبصر محسوسه النور الحامل في الهواء ألوان الأجسام خاصة ، وإب حمل أيضاً غيرها من الاشكال والهيئات ، والسمع محسوسه الاصوات والهواء يحملها اليه ، والشم محسوسه الروائح ، والهواء يوصل حواملها الى الخياشيم إذا اقصلت .

عن الجواهر ، أما ارتباط البيروني باخوان الصفاء فلا يزال غامضاً ، ولم أعثر الا على التشابه بين فكرة التطور في الطبيعة عند اخوان الصفاء وعند البيروني ، وقد كنت بحث في هذا الموضوع في مجلة المجمع العلمي العربي من عدد ايلول ١٩٣٢ ، راجع اطروحتي (الدكتوراه) وملحق تاريخ الادب العربي لبروكلمان الحديث ص ٢٨١

C. Brockelmann, Geschichte der arab. Literatur, Supplement, Leiden 1936., I. P. 381.

من المشعوم كتنفصال البخار من الماء باختلاط أجزائه المنتشرة في الهواء ، والنوق محسوسه الطعام والرطوبة تحمها وتوصلها إلى الذائق وتولجها في خله ؛ أما حاسة اللحم فأنها عمت جميع البدن في أعضائه وفي آلات سائر حواسه ، وأول ما يلاقي الكيفيات ظاهر البدن ، ولهذا كانت الجلد يحس اللحم أولى وإليه أتبع ، ثم ما وراءه أول فأول بحسب اللين واللفظ ، فيزول به حتى اللحم عن العظام .

إن المشاعر وإن جعلت طلائع الحيوان للاقتناء والابقاء فإن النوع الانساني قد فضل على جملة الحيوانات بما شرف به من قوة العقل ، ورشح للخلافة في الارض على التعمير وإقامة السياسة فيها ، ولهذا دانت له طوعاً وكرهاً ، ولولا هذا الانعام على الانسان لما قاوم أدونها ، وقد أفرد من حواس الانسان اثنتان هما السمع والبصر فجعلتا له مراقبي من المحسوسات إلى المعقولات ؛ ويستدل البيروني هنا على خطورة السمع والبصر بآية قرآنية : « ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً » ، وكذلك يبين من أشعار العرب كقول أعشى بن ربيعة :

كأن فؤادي بين جنبي عالم بما أبصرت عيني وما سمعت اذني
وقول جميل بن معمر :

إذا كنا بمنزلة للهوى يخاف السمع فيه والعيونا

وبعد أن تكلم البيروني عن الحواس والمشاعر أتى على خطورة تكوين الجماعات إذ يقول :

الاستيناس يعم بالتجانس حتى قيل ان الشكل إلى الشكل ينزع ، والطير مع الافة تقع . فالأخرس يسكن إلى أخرس ، لأنه يفهم لغته فيما هو بين قوم لا يفهمون عنه شيئاً ، ولذا أشار البيروني إلى تلك الآية الكريمة في تشكيل الجماعات : « هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها » . وهكذا يعد البيروني الزواج استدلالاً بالقرآن كضرورة من

ضرورات الاجتماع ، إذ هو يقضي الى سكنى القرى والمدن ويسبب التكاثر للتعاون في الغايات ، أما سبب تعدد الحرف والصنائع فيعلمها بما يلي :

الانسان في حياته مركب البدن من أبشاج متضادة لا تجتمع الا بقهر قاهر ، والنفس في أكثر أحوالها تابعة للحزاج فتتلون لذلك وتختلف اختلافه .

ومعلوم أن المقهور دائم النزوع إلى إزالة القهر عنه ، وهذا هو سبب ما يلحق الحيوان من الآفات والأذى الذي يحتاج من داخله إلى المضادات المطيفة به من خارجه ، ثم ان الانسان لعراه في ذاته ، ومسكنته لعدم آلائه مقصود بالبلايا من غيره ، دائم الحاجة الى ما يقبه والاضطرار الى ما يكفيه . وهنا يبدأ البيروني بالكلام عن الحاجة ، ويرى أن حاجات الانسان لا تنقضي طالما هو حي يرزق ، ويستدل على صحة رأيه بهذا المثال :

يموت مع المرء حاجاته وتبقى له حاجة ما بقي

أما ضرورة التعاون فقد سبق كثير من العلماء البيروني كأمثال افلاطون وأرسطو والفارابي وابن سينا وغيرهم كما ذكرت ذلك سابقا . واثبت فكرة التعاون عند عالمنا مطابقة كل المطابقة للنظريات القديمة القائلة بأن حاجات الانسان متعددة فلا يمكن لفرد أن يستقل بتداركها بنفسه ولا يفي بها الا قرر ، ولهذا احتاج الانسان الى التمدن . وهناك حكمة إلهية الا وهي اختلاف توزع الناس في الأرض بين الالهواء والهمم كيلا يطبقوا على اختيار واحد هو الافضل فيضيع ما دونه . وهنا يأتي البيروني بحكمة قيمة ورغم مرور العصور نجد ان تلك الحكمة لا تزال حديثة كأن قائلها عالم عصره يعيش بين ظهرانينا ، يقول ذلك الحكيم الخالد : « يؤدي تساوي البشر الى هلاك جملتهم » . فينادي البيروني من تلك العصور الماضية مخذراً من دعاة الشيوعية الذين يدعون امكان تساوي البشر ويفهمنا الخطر العظيم من ذلك الخيال الذي حلم به كثيرون .

أما الحرف والصنائع فيجد البيروني أنها نشأت من اختلاف المقاصد

والارادات . فالتعاضد اتخذ البشر بعضهم بعضا سخرىا ، فالتسخير بالجور والاستيجار لا يدوم ولا يستقيم . وانه لكثرة الغايات وتباين اوقاتها واستغناء الواحد احيانا عما عند الآخر لجأ الناس إلى طلب أثمان عامة بدل الاعراض الخاصة ، فاختاروا لما مازق منظره وعز وجوده وطال بقاؤه ثم انقاد للتعظيم بالتوحيد والتصغير بالتجزئة والتبديد وللختم بالتمقيش والتصوير مستردداً بين صنوف الحيثات والصور مع ثبات هيولاه ومادته . ولهذا السبب يعتقد البيروني ان الله تعالى لرأفته بخلقه وظاهر عنايته بهم خزن لهم قبل خلقه اياهم جميع الموزونات في أرحام الارضين تحت الرواسي الشامخات الالنتفاع بها في الاجتلاب والدفاع ، واليه يرجع قوله عز وجل (وأنقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون) ثم قدر الله في الفضة والذهب جميع مصالح الناس حتى تحلى أثمان المطلوبات وعدهم اليهما فاستخرجوهما من مادنهما التي عديا فيها دهوراً ، ووكّل الساسة بهما ليحفظوهما من تمويه الخونة أشباهها المغايرة اياهما ابداً لا عنهما ، وليهذبوهما عن الادناس بالسبك والطبع ، فما من حق مع حق الا وبإزائه باطل مع مبطل يروم تزويجه في مكانه . وهذا وأمثاله هو المحوج اولى السياسة ليستحقوا اسم الخلافة في الخلق .

يعرفنا البيروني بالضرر الذي ينجم من الغلو في تقدير الذهب والفضة واختزانها ، فيأتي بنظرية اقتصادية تلعب اليوم دوراً عظيماً في عالم الاقتصاد فان هناك من يعتبر تلك النظرية وبمعدا الاساس الاكبر في هذا الفن ومن يرفضها رفضاً باتاً . وقبل أن نعلم من هو القائم بتلك النظرية الحديثة يجب ان نستمع ما يقوله البيروني :

|| سهل على الناس تكاليف الحياة وتصاريف المعاش بالهفراء والبيضاء ، انطوت الاقدرة على جمعها وماتت القلوب اليهما . . . واشتد الحرص على ادخارهما والاستكثار منها . وجل محامها من الشرف والآبهة وضعا لا طبعاً واصطلاحاً فبما بينهم لا شرعاً ، لانهما حجيران لا يشبعان مجد ذاتهما من جوع ولا يرويان من صدى ولا يدفمان بأسا ولا يقيان من أذى . . . فيبرهن

البيروني بذلك اتبها خيران بالوضع وسماهما الناس خيراً كالمطابق لاحتوائهما على المناجع في المآرب . ويبيذه المناسبة يأتي البيروني بحكاية عن الشعوب الابتدائية: « أخبر بعض من سافر في البحر أن الريح أفضت بمركبهم الى جزيرة عاذلة عن الجادة فأرقتوا عندها ، وانه خرج مع الخارجين اليها ، ودفع الى من رأى حاجته معه ديناراً ، فأخذه وقتشه وشمه وذاقه ، فلما لم يثر منه في هذه الحواس أثر تقع ولده ردد عليه ، اذ لم يستجز دفع ما ينتفع به بما لا تقع له فيه . » ويؤكد البيروني قائلاً :

هذا له ري هو المعاملة الطبيعية التي بها حقيقة نظام العاش من المتمدنين للتعاون . وأما المعاملة الوضعية فعلى الاعم فيها بما اتصل بنا خبره من البلدان والممالك هي بالفلزات التي ازدادت في أعين الناس وشغف بها قلوبهم لصرف الله بلطفه اياها اليهم إصلاحاً بينهم لا لأنفسها .

وهنا تجادلت مع الدكتور كلاوزينك أحد أساتذة علم الاقتصاد في جامعة بون عن هذه النظرية وأخيراً اعترف هذا الاستاذ بعد دراسة الموضوع ملياً بالتشابه الذي بين نظرية البيروني ونظرية اقتصادي حديث يدعى كتاب Knapp وهكذا يدعي كذاب أن قيمة الذهب هي ليست من معدنه بل حسب الاعتبار ، أي كما يقول البيروني وضعاً لا طبعاً^(١) .

وأخيراً يعالج البيروني مرضاً معضلاً في عالم الاجتماع لم يبرأ البشر منه رغمًا عن مضي العصور العديدة ، وذلك الداء العضال هو كثرة الاموال وعدم تركه للتداول ، لأن الحركة هي من ضرورات الحياة ، واذا وقفت تلك الحركة كانت أزمة اقتصادية هائلة . فلقد أنكر البيروني كثرة الاموال واستدل بالآيات القرآنية : « والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل

(١) راجع النظرية الحكومية للدرهم لكتاب :

Knapp , Staatl. Theorie des Geldes ,
München und Leipzig 1921, p. I. Herbert Doering, Die Geldtheorie seit Knapp [Greifswalder Staatswissenschaftl. Abhdlg. Greifswald 1922, p.9].

الله فيشرهم بمذاب أليم» . ويفسر البيروني في سبيل الله فيما ما خلقهما له من انتفاع الناس بترددهما في أيديهم أثمناً لمصالحهم . فيوجودهما كنزا اقطم انتفاع الخلق بهما وخولف أمر الله تعالى ومشيئته فيهما . ويعتقد البيروني أن الذهب والفضة إذا خرجا من معدنهما صارا كالزروع المحصورة والانعام المذبوحة لا يسوغ غير أكلها واتفاقها ، كذلك هذا المال لبس له بعد الاستنباط غير الطبع عيناً وورقاً وترديده في الأيدي . ولهذا السبب نفسه يرى البيروني حكمة تحريم الأواني الذهبية لأنها تصير غير منتفمة بها في الوقت أنها جعلت لأجل تسهيل التبادل في المصالح البشرية^(١) .

فلا عجب بعد هذه المقدمات إذا بدأ البيروني يتكلم عن الفتوة والمروءة قائلاً ان المروءة تقصر على الرجل في نفسه وذويه والفتوة تتعدى الى غيره . إذا ان حل الأزمات الاقتصادية لا يمكن ان يكون مادياً بوجه من الوجوه بل هو معنوي محض . فلو غرس في قلوب الناس معنى تلك المروءة والفتوة لما طاق بشر أن يرى غيره يتقلب من الآلام وهو وحده يتنعم بشتى الخيرات ، ولعلم ان الدرهم الذي بيده والمال الذي جمعه يجب أن يتداول ، يجب أن يمشي ولا يقف في أرضه ، عند ذلك نشاهد سعادة لا تشابهها سعادة .

وإذا انضح لنا ان كثيراً من علماء الاقتصاد في الزمن الحاضر يرون ان الازمة الاقتصادية العالمية الحالية ناشئة عن عدم معرفة التبادل في المنتجات تظهر لنا أهمية نظرية البيروني في عصرنا الحديث ايضاً . ومن يدقق المنتجات العالمية يرى ان هناك مواد كافية من طبيعية وصناعية للقيام بحاجة البشر ، ولا تحتاج الشعوب إلا إلى رجال عقلاء يدبرون تبادل المصالح المختلفة . وهنا

(١) يستند البيروني على الشافعي في حكمة تحريم الأواني الذهبية والفضية (راجع كتاب الام ، بولاق ١٣٢١ هـ مختصر مزني ص ٤) . وكما اعتنى فقهاء المسلمين في قضية الاقتصاد الاخلاقي كذلك اعتنى في ذلك رجال الدين المسيحي في اوائل القرون المسيحية . راجع كتاب باول مومبرت عن تاريخ علم الاقتصاد :

نرى جلياً ان الداء الاجتماعي العضال الذي تشن من قومه الانسانية لا يزال هو
هو منذ الاجيال البعيدة .

هكذا يصرخ فينا حكيم مثل البيردني من تلك العصور الماضية متادياً:
ان الأزمات مهما تراءت لنا بمظهر مادي هي في الحقيقة أزمة روحية .

الدكتور

محمد يحيى الهاشمي

مدرس اللغة العربية في برلين

ح

الاهتداء

الى قبر معاوية بن أبي سفيان بدمشق

الروى التاريخى الذى تركه معاوية

لقد ترك معاوية منذ نشأته الى الحشر ، دويلاً تاريخياً « كأنما تداول سمع المرء أنمله العشر » . أما فى منشاءه : فقد روى لنا محمد بن سلام الجمحي صاحب الطبقات عن أبان بن عثمان قال : كان معاوية يبنى وهو غلام مع امه فعثر فقالت له : لم لا رفعك الله ، فقال لها اعراني سمعها : لم تقولين له هذا ؟ والله اني لأراه يسود قومه ، فقالت : لا رفعه الله إن لم يسد إلا قومه ! وقد ساد قومه كما توسمت وهو فتى ، فان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قلده إمارة الشام وهو في مقتبل عمره ، وأعجب له مع ابن الخطاب وهو يجاوره . فني الاستيعاب : قال عمر إذ دخل الشام ورأى معاوية : هذا كسرى العرب ، وكان قد تلقاه معاوية في موكب عظيم ، فلما دنا منه قال له : أنت صاحب الموكب العظيم ؟ قال :

— نعم يا أمير المؤمنين . قال عمر :

— مع ما يبلغني عنك من وقوف ذوي الحاجات ^(١) . قال معاوية :

— مع ما يبلغك من ذلك ! قال عمر :

— ولم تفعل هذا ؟ قال معاوية :

(١) نعل الاصل : بيابك .

— نحن بأرض جواسيس العدو بها كثير ، فيجب أن نظهر من عز
السلطان ما نرهبهم به ، فإن أمرتني فقلت ، وإن نبيتني انتهيت ؛ قال عمر :
— ما أسألك عن شيء إلا تركتني في مثل رواجب الضرس^(١) ، إن كان
ما قلت حقاً إنه لرأي أريب ، وإن كان باطلاً إنه لخدعة أديب ! فقال معاوية :
— فمرني يا أمير المؤمنين ، فقال عمر :
— لا آمرك ولا أنهاك ؛ وكان يسمع تحاورهما عمرو بن العاص فقال :
— يا أمير المؤمنين ، ما أحسن ما صدر الفتى عما أوردته فيه ! فقال عمر :
— لحسن مصادره وموارده جشمناه ما جشمناه !

ونحن إنما نشيد بذكر معاوية في هذه المقدمة من الوجهة القومية ،
معتقدين أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أحق منه دينياً بالخلافة وأنه
باعتقادنا معشر السنة كان في خصومته مع علي كرم الله وجهه مجتهداً مخطئاً
وكان علي مصيباً ، وأن للمخطئ عن اجتراء أجراً وللحبيب أجرين ، وأنهما
وأتباعهما قد رجعا إلى دينهم وهو أشمل بهم وسينبؤهم بما كانوا فيه يختلفون ،
والمسلمون اليوم في حاجة حاقة إلى توحيد كلمتهم ، والعرب عنهم خاصة
أحوج ما يكونون اليوم إلى لم شعثهم وضم ما انتشر من الفتهم ، ونحمد الله
أن أوجد فينا بأخرة من أفاضل الشيعة من ينصف معاوية من الوجهة القومية
كما ينصفه السنة وأكثر ، فلولا معاوية وحسن سياسته ، وما ملأ الأسماع
من أنباء حلمه وكياسته ، لما توطد للعرب ملك في ديار الشام . واستمع
لشهادة ابن عباس فيه في تاريخ البخاري قال ابن عباس :

(١) املها الفرس إذ لم نجد في التاج واللسان أن للفرس رواجب إنما هي للجبار
على سبيل التمثيل فللفرس وغيرها من ذوات الخوافر رواجب ، قال في التاج :
والرواجب من الجمار عروق مخارج صوته عن ابن الأعرابي وأنشد :

حطوى بطنه طول الطراد فأصبحت ثققل من طول الطراد رواجبه
ولعله أراد تركتني في مثل رواجب الفرس اضطراباً ، تقول هذا إلى أنت نجد
نصاً واضحاً وقولاً شارحاً .

ما رأيت أحداً أحلى للهلك من معاوية .
ثم استمع لشهادة عبدالله بن عمر إذ يقول : ما رأيت أحداً بعد رسول الله
(ص) أسود من معاوية ، فقيل له : فأبو بكر وعمر وعثمان وعلي (رض) فقال :
كانوا والله خيراً من معاوية ، وكان معاوية أسود منهم ؛ فيفضله عبدالله على أبيه عمر
في السيادة ، وأنصف بها من شهادة .

ولاية معاوية على الشام

ولاه عمر على الشام عند موت أخيه يزيد سنة تسع عشرة ، وكان عمر
كتب الى يزيد بن أبي سفيان يأمره بغزو قيسارية فغزاها وبها بطارقة الروم
فحاصرها أياماً ، وكان معه بهذه الغزاة أخوه معاوية فتخلفه عليها ، وصار يزيد
الى دمشق فأقام معاوية على قيسارية حتى فتحها في شوال سنة ١٩ للهجرة .
وتوفي يزيد في ذي الحجة من ذلك العام في دمشق واستخلف أخاه معاوية
على عمله فكتب اليه عمر يعهد على ما كان يزيد من عمل الشام ورزقه الف
دينار في كل شهر فأقام أربع سنين ، ثم مات عمر وأقره عثمان عليهما في اثنتي
عشرة سنة الى أن مات ولم يبايع عليهما متهماً بإياه بمقتل عثمان فكانت الفتنة
وحاربه خمس سنين ، واستقل بالشام ، ثم أضاف اليها مصر ، ثم نسي بالخلافة
بعد الحكمين ، ثم استقل بالملك لما صالح الحسن رضوان الله عليه واجتمع الناس
عامئذ فسده عام الجماعة ، قال عبد الملك بن مروان : عاش ابن هند (يعني
معاوية) عشرين سنة أميراً وعشرين سنة خليفة .

كتاب الوحي

في دمشق ثلاثة من كتاب رسول الله (ص) زيد بن ثابت ، ومعاوية بن أبي
سفيان ، وشرحبيل بن حسنة ، وقد اختص معاوية من بينهم بمراسلة قبائل العرب
فكان لذلك من أعلم الناس بها وأقومهم بسياستها ، قال المدائني : كان زيد بن
ثابت يكتب الوحي وكان معاوية للنبي (ص) فيما بينه وبين العرب ، فهو بذلك

شبيه بمدير العشار على عهد الحكومة الفيصلية ، أو رئيس المكتب العربي^(١) في حكومات هذا العصر ، وكأنه إنما اضطلع بالكتابة بدعوة النبي (ص) له كما كان يدعو أعماله ، فعن العرياض بن سارية — كما في الاستيعاب — قال سمعت رسول الله (ص) يقول : اللهم علم معاوية الكتاب والحساب وقره العذاب .

وفاة معاوية برمش

وتوفي معاوية بدمشق يوم الخميس في النصف من رجب سنة ستين على الصحيح ، وهو ابن ٨٢ سنة وكان قد ادخر اليوم احتضاره ثوباً ثلثي (ص) كان يلبسه على جلده ، وقلامه من أظفاره وقصاصة من شعره فقال لابنه وهو يجتضر : إذا أنا مت فاجعل ذلك القميص دون كفي مما يلي جلدي وخذ ذلك الشعر والأظفار فاجعله في فمي وعلى عيني ومواضع السجود مني فان نفع شيء فذاك ، وإلا فان الله غفور رحيم ، ثم تمثل مختصراً بهذا البيت الحكيم :
فهل من خالد إما هلكنا وهل بالموت يا للناس عار

كيف اقتربت الى قبره الصحيح ؟

ذهبت عصر الجمعة في السابع من شوال ١٣٥٦ (١٠ كانون الاول — ديسمبر ١٩٣٧) في يوم صحت سماءه وصح هواؤه للتنزه في حدائق دمشق الغناء مع صديقين رفيقين لأحدهما « بسنان السيوفي » نسبة الى امرته يقع قبلي مقبرة باب الصغير — ولعلها أقدم مقابر دمشق — وكان من مفاصل الطرق أن نجتنب هذه المقبرة القديمة ، وكان من عادي كلما مررت بها أن أسأل الحفارين بها عن قبر معاوية ، فلما مررنا بقبور آل البيت وتبركنا بزيارة قببهم وضوان الله عليهم ، تغافلت بين القبور المجاورة فرأيت حفاراً قبلي القببتين المنسوبتين لام حبيبة بنت أبي سفيان ولام سلمة من أزواج الرسول (ص) ، فألته عن قبر

(1) Arab bureau.

معاوية فقال الحقني فلحقته وصاحباي علي أثري الى أن بلغنا حجرة من الابن مسقوفة بأعمدة من شجر الحور بابيا الى الغرب ، وهي هنا واقعة قبلي المقبرة قريبا من مسلخ المدينة ، فأخرج الحفار مفتاحا من الزنار وفتح الباب فدخلنا الحجرة فواجهنا قبرا على موضع الرأس منه عمامة خضراء من الحجر وفي واجهته الغربية حبران مكتوبان ، أعلاهما الواقع تحت العمامة بقدر دفنة كتاب كبير نقش عليه في السطر الأعلى ما نصه : « قبر سيدنا معاوية رضي الله عنه » وتحتة : « جدد هذا المقام صاحب الخيرات اونوى (كذا) الحاج محمد باشا محافظ الشام سنة ١١١٥ » وهو محمد باشا العظمي وكان مولعا باهداء الكتب والمصاحف الى المساجد ، والحجر الثاني من تحته قطعة يبلغ ارتفاعها الذراع من عمود من الحجر المزني الصلد به بعض شقوق وتخطيط زبر عليه ما نصه والسطر الأعلى لا يقرأ :

« هذا قبر خال المؤمنين معاوية بن أبي سفيان كاتب الوحي ووريف رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

ثم خرجت من الحجرة وبجئت عن القبور المجاورة فشاهدت قبرا مشمولا من جانبه الشمالي بجدار الحجرة الجنوبي وله شاهدتان فائتان : الغربية منها عليها خط كوفي تصعب على عجل قراءتها ، والشرقية أصلا حجرا منها وأوضح كتابة عليها ما نصه :

« هذا خيرج الفاضل الكبير والعلامة التحرير صاحب التأليف الجامعة والتصانيف النافعة ولي الله من غير ارتياب ومن الدعاء عند قبره مستجاب سيدنا الشيخ أبو الفتح نصر بن ابراهيم بن داود المقدسي قدس سره العزيز سنة ٤٩٠ »

وهناك قبور أخرى لعلماء مشهورين منهم في القرن السادس خطيب دمشق وإمامها ومفتيها عبد الملك بن زبد التغلبي الدوامي من أئمة الشافعية المؤلفين توفي سنة ٥٩٨ للهجرة ، وإلى جانبه قبر أبي البيان محمد القرشي الدمشقي شيخ الطائفة البيانية كان شاعرا وإماما في اللغة وفقها مؤلفا وزاهدا صاحب أحوال ذكره

ابن كثير في الطبقات توفي سنة ٥٩٠ هـ الى قبور قديمة اخرى .
 أما عبارة (خال المؤمنين) في شاهدة معاوية فلأن اخته السيدة ام حبيبة زوج النبي (ص) هي أم المؤمنين فهو خال المؤمنين ، وقد رجعنا من المقبرة مع الغروب الى منازلنا ، وأخبرت ثاني يوم صديقي مدير الآثار في دمشق الامير جعفر الحسيني حفيد الامير عبد القادر الكبير وأنبأته باهتمامي إلى قبر معاوية وإلى ما حوله من القبور القديمة ، فسر لهذا النبأ الاثري التاريخي العظيم ونهض معي لزيارته فذهبنا وقت الزوال الى المقبرة ودخلنا الحجرة وشاهد الحجرين لان علماء الآثار لا يحفلون كثيراً بالاقوال الشائعة ما لم يروا أثراً ناطقاً ودليلاً صادقاً ، ثم أرهته قبر الامام المقدسي الملاصق للحجرة وما حوله من القبور القديمة التي تبلغ بمجموعها نحو عشرة قبور فقرأنا الشواهد معاً ، وكان بعض التواريخ مدفوناً في الارض فكشف لنا الحفار عنها حتى قرأناها وكتبنا ما قرأناه ورجعنا أدراجنا ، ثم بحثنا في شذرات الذهب عن ترجمة نصر بن ابراهيم المقدسي فوجدنا له ترجمة عالية فقال لي مدير الآثار :

لو وجدنا في هذه الترجمة ذكراً لدفته قرب معاوية لزال كل شك ، واذا كان من أئمة الشافعية راجعنا ترجمته في كتاب (تهذيب الاسماء والحلقات) للامام النووي ، فوجدناه لم يترجم لنصر غيره ، ورأيناه يحمله الإجلال كله ويذكر انه من المرجحين في المذهب الشافعي وانه في كتابه (الحجة على من ترك المحجة) لم يذكر في المسائل التي قيل فيها قولان إلا قولاً واحداً رجحه ، وذكر ان الامام الغزالي أخذ عنه وانتفع بصحبته ، وانه سمع من الشيوخ يستجاب الدعاء عنده يوم السبت ، كما كتب على الشاهدة ، فدعوت الله والامير جعفر كثيراً لان زيارتنا له كانت يوم السبت ، ثم قال الامام النووي في تهذيبه ^(١) ما نصه :

« وقبره بباب الصغير يجب قبر معاوية وأبي الدرداء رضي الله عنهم

يكثّر الناس زيارته والدعاء عنده» ، ولم يزل النساء يزرن قبره إلى يوم الناس هذا للتبرك به والدعاء عنده يتوارثن جيلاً بعد جيل معرفة قبره وما خص به من البركة ، وقد جهل جل الشيوخ حتى الشافعية منهم قبره ، كما جهل الناس بدمشق قبر معاوية إلا بعض الخفارين بباب الصغير والعجائز من النساء اللواتي يزرن قبر نصر المقدسي رحمه الله .

ولما قرأنا تنويه الامام النووي بدفن المقدسي بجانب قبر معاوية وليس بين القبرين غير نحو مترين قل مدير الآثار الأمير جعفر : الآن حصص الحق ، وهو دليل علمي قاطع كما أن الحجرتين على القبر دليل أثري نافع ، وفي دمشق قبران آخران منسوبان لمعاوية أحدهما في محلة الشرفاء من حارة النقاشات تحت قبة أيوبية العهد يقولون إنه قبر معاوية الكبير وقد زرته مرتين وليس في القبة ولا على القبر شيء من الكتابة ، وفي زقاق يعرف بزقاق معاوية قبر في زاوية قادسية فيها كثير من الطبول والمسابيح والدفوف مغطى بالجوخ الأخضر ينسب لمعاوية الصغير ، وليس في هذه الزاوية أثر كتابي يدل على المدفون ، هذا هو الشائع اليوم بين جمهرة الشاميين ، وقد غرّ هذا الشائم الحافظ ابن طولون إذ يقول في كتابه بهجة الانام : « في الحائط القبلي من جامع دمشق في قصر الأمانة الخفراء قبر معاوية وهو الذي تسميه العامة قبر هود عليه السلام » قلعله يعني القبر المنسوب إلى معاوية الصغير ، وقد أجمع سائر المؤرخين أن معاوية مدفون بقبرة باب الصغير ، منهم ابن عساكر في تاريخه والنووي في تهذيبه وابن الحوراني في رسالته « الاشارات إلى أماكن الزيارات » وكثيراً ما يترجمون مشاهير العلماء وينصون على أنهم دفنوا قرب معاوية بباب الصغير كما فعل النعيمي في كتابه « الدارس في المدارس » في ترجمة الامام شمس الدين الصرخدي المتوفى سنة ٧٩٢ فقد قال ما نصه : « ودفن بباب الصغير بالقرب من معاوية رضي الله عنه » .

وخلاصة البحث والتنقيب أنه لا يشك أحد من المؤرخين أن أول ملوك العرب معاوية بن أبي سفيان توفي ودفن في دمشق ، وليس من شك أنه في

مقبرة باب الصغير ، وقد اطمان قلب مدير الآثار العلامة وقايي بما ذكرته من الدليلين الأثري والعلمي انه القبر الذي اُعتدلت اليه وقرأنا حجره .

وفي اليوم الثالث خفت مغني لزيارته العلامة الدراكة وزير المعارف السيد عبد الرحمن الكيالي الذي نهض بمعارف الشام نهضة ماثورة مشكورة مع السيد عارف النكدي مدير المدل وعضو جمعية العلمي ، وفي اليوم الرابع بشرت صديقتي الاديب البارع الكبير السيد خليل مردم بك عضو جمعية بذلك وكنا تعبنا معاً كثيراً في التنقيب عن قبره ، فذهبنا إلى باب الصغير وقبل دخول المقبرة دخلنا القبة الغورية القائمة في مدفن آل مردم ، وبجانبها قبتان مهدومتان فيها قبور يقال ان بها قبراً لمعاوية فلم نجد من الكتابة ما يدل على ذلك وإنما وجدنا كتابة تدل على دفن أمير شر كسي يعرف باسم بهادر الماكي الناصري ، ثم سرنا إلى قبر معاوية زرناء وجاره المقدسي وما حولهما من قبور العلماء والصالحين فجزم مثلنا بأن القبر الصحيح الذي اُعتدلت بأخرة اليه هو قبر خال المؤمنين معاوية بن أبي سفيان كاتب الوحي ورديف رسول الله صلى الله عليه وسلم .

عز الدين التنوخي



المصباح العام، بوفاة السيد الامام

محمد رشيد رضا

١٢٨٢ - ١٣٥٤ هـ

- ٢ -

انظاره على رجال الدولة والحكام

أوتي السيد الفقيه من نور البصيرة ، وسعة العلم ، وشجاعة القلب ، وظهور
الحجة ، وقوة الآسن ، ما لم يؤته إلا الأقلون في كل عصر ، وقد كان رحمه
الله سربع الخاطر ، حر البديهة ، قوي الجواب ، منفتحاً ملزماً فيه ، لا يبالي في
سبيل الحق - خطوة حاكم ، ولا يخاف في الله لومة لائم ، وانكاره على الملوك ،
والامراء ، و رؤساء الحكومات ، ورجال الدول والامم ، أمر مشهور يعرفه كل
من اطلع على مناره وقرأ مقالاته ومناظراته فيه .

واذا كان الله تعالى أعطي الولاية بشطريها - الأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر - لرجال والنساء على السواء فقال : « المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء
بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » وكان النساء في صدر الاسلام
يعلمن هذا ويعملن به ، فقد سمعت امرأة من قريش أمير المؤمنين عمر الفاروق
يخطب على منبر النبي (ص) ويمنع أن تزيد مهر النساء على أربعائة درهم ،

فاحتجت عليه بقوله تعالى : « وآتيتم احداهن قنطاراً » فقال اللهم غفرآء كل الناس أفقه من عمر .

قلنا إذا كانت النساء ترد على الخلفاء في ذلك العهد عملاً بهذه الآية الكريمة فهل يستكثر على صاحب المنار وهو امام في الدين والعلم أن ينكر على ملوك عصرنا فمن دونهم من الحكام ؟؟

كان له في صباه رحمة الله مع رجال العهد العثماني مواقف دات على ثبات جنانه ، وقوة ايمانه ، وشدة صدقه وإخلاصه . فمن ذلك أن أول خطاب عام ألقاه في طرابلس الشام ، بحضور المتصرف التركي وهو الحاكم الاداري العام (حسن باشا بن سامي باشا شيخ وزراء الدولة في عصره) والعلماء وجميع رؤساء الحكومة وسائر الوجهاء :

شبه في خطابه الامة بالفرد منها ، والجماعات العاملة للمصلحة العامة فيها . ومنهم رجال الحكومة والدولة بأعضاء الفرد من رئيسية كالدماع والقلب ، ومشاعر وآلات ، وقال : إنهم يجب أن يكونوا سواء في الحقوق العامة والاحترام ، وإن كانوا يتفاضلون في العرف والاعتبار ، وشبه العاطلين الذين لا يعملون عملاً نافعاً لأنفسهم ويحتقرون الطبقات الدنيا من العاملين بقوله : « ولا التفات إلى سفهاء الاحلام ، المتكبرين بالأوهام ، الذين يحتقرون الزراع والصناع ، فإنما مثل الفريقين كالأعمى والأصم والسميع والبصير ، والنسبة بينهما كالنسبة بين الأيدي والأرجل في البنية ، وبين زوائد الأظافر والشعور لو كانوا يعقلون ! » .

وقد خشي عليه امتناذه الجسر من ذلك الخطاب الجريء ، ومن الحرية المفرطة التي ظهرت فيه ، في بلاد مستعبدة لا تملك حق القول لمصلحة العامة ، بانه العسل ! ولكن المتصرف كان من كبار أحرار الترك أولي التربية العالية ، وقد أثنى على الفتيقيد وقال : إنني أفتخر اليوم بأن أعد نفسي طرابلسياً لهذه الحكمة التي سمعتها من هذا الشاب ! وقد ذكر في كتاب المنار والأزهر أمثلة كثيرة لجرأته وشجاعته رحمه الله .

اصولهم في سوطه قبل هجرته الى مصر

يستسهل من لا خبرة له ولا دربة أمر إصلاح العامة مع أنه مطلب عظيم ، لا يتلج له إلا كل من اتعت معارفه ، وكثرت تجاربه ، فإن إصلاح ما طرأ من الخلل والفساد على الناس في عقائدهم وعباداتهم ومعاملاتهم وأخلاقهم وآدابهم من أشق الأمور لا سيما إذا تمكنت الأهواء من النفوس ، وطالب عليها الزمن .

الواعظ الحكيم هو الذي يخاطب الناس بلسانهم ، ويتحرى من أساليب القول ما يرى أنه أدنى إلى اقتناعهم ، وقد كان رسول الله (ص) ينزل الناس منازلهم ، ويخاطبهم على قدر عقولهم ، ويقول : كلموا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله ؟ فليذكر أو الواعظ أو المرشد هو كما وصفه بعض الأجلاء ماخصاً : حافظ لحدود الله ، قائم على ارشاد العقول ، وتهذيب النفوس ، وتصحيح المعتقدات ، وإبانة سر المبادات وإمالة ما غشي الأفهام القاصرة من غيابة الجهالة ، وتراث الضلالة ، واقف على مقاصد التشريع وحكمته ، عالم بمواضع الخلاف والوفاق ، مائس لسامعية بما يلائمهم من الأحكام ، بل هو العامل الأكبر في إخراج الناس من ظلمات الجهالة إلى نور العلم ، وتحزيرهم من رق الخرافات والوهم ، فالعالم كالسراج إن لم ينتفع بفتوئه فلا فائدة في وجوده بل لا يكون العالم عالماً حتى يظهر أثر علمه في قومه إذ ليس مسؤولاً عن نفسه وحدها ، بل عن عشيرته وأمته . أقول من لاحظ هذه الأوصاف ، وعرف ما قام به الفقيه العظيم من الأعمال ، وجدها منطبقة عليه تمام الانطباق واليك عمله في بلده :

بعد أن نال المترجم شهادة العالمية في مدينة طرابلس الشام ، عاد إلى بلده القاهون ، وأخذ يقرأ درساً في المسجد يعظ الناس ويذكرهم فيه ، وينذهب إلى مقهى لهم يجلسون فيه فيجتمعهم ويخطبهم ، وكان فيهم أفراد تاركون للصلاة فاستتابهم ، وجعل للنساء درساً خاصاً في دارهم القديمة ، والزمن تغيير فبينما

هو أستر وأظهر ، قصرن يحافظن على الصلوات الخمس ، وحسنت حالهن في
النظام في معاشر أزواجهن ، وأما نساء أسرته المباركة (بيت المشايخ) فكان
كلهن يصلين على معرفة ، اذ كن متفقهات في دينهن محتجيات كأهل المدن في
زِين ، متفوقات في تدينهن وأديبن ، فكان يقرأ لهن بعض كتب الادب أو
التاريخ أو المواعظ . وجملة القول : انه رحمه الله جدد عهداً في القلمون
بالدعوة الاسلامية التي عمت الرجال والنساء والبنين والبنات ، وهكذا فليكن
العالم المرشد .

يذكر الفقيه أن النعم الاول الذي كان له أكبر التأثير في دينه وأخلاقه
وعلمه وعمله هو إحياء علوم الدين لحجة الاسلام الغزالي ، فهو من بعد أن
طأه كنه نفسه ، وأكثر من مراجعة بعض فصوله وأبوابه ، صار يقرأه درساً
لأناس في المسجد ويعظم به ، والحق أن الإحياء هو كتاب وعظ وإرشاد ،
يبحث في العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق ، فيعلم العقول ، ويربي
النفوس ، ويغذيها بلبان الحقائق ، ويحياها بالأخلاق الطاهرة ، ولا يكاد يوجد بين
أيدي الواعظين كتاب من كتب الدين صالح لوعظ العوام من كل وجه ،
كأنل بما يحتاجون اليه من المسائل الدينية ، والشؤون المعاشية ، مثل هذا
الكتاب (على شرط تجربته من الزوائد) فهو يذكر الآيات الكريمة ،
والأحاديث الشريفة في المباحث المعقودة في الباب ، ويرد فيها بديس المراد من
تلك الآيات والأحاديث ، ثم يذكر مراميها ، وحكم الأحكام وأمرارها ولطائفها ،
ويضرب للناس الأمثال من سير بعض مشاهير الرجال وأخلاقهم . وقد كان
شيخنا الشيخ جمال الدين القاسمي رحمه الله يقول : « ان من أقدم ما يقتبس منه
موعظة المؤمنين ، مواضع تنتخب من إحياء علوم الدين » . ثم اتفق أن تذاكر
مع الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده - أيام كان في ضيافته بمصر هو وصديقه
الاكبر الاستاذ الجيد الشيخ عبد الرزاق البيطار عام (١٣٢١) واستطلع رأيه في
هذا الموضوع ، فقال الاستاذ المفتي متأسفاً : « ان هذا الموضوع لم يصنف فيه ،

إلا أن أحسن ما لدينا لذلك هو الإحياء بعد تخرجه « فقد استأذنا القاسمي ذلك من بدائع الموافقات ، واختصره في مجلد واحد سماه (موعظة المؤمنين مرت إحياء علوم الدين) فمن قرأه وجد موعظته حسنة ، ودعوته حكيمة ، وحجته واضحة ، وتأثيره كبيراً .

رغول شعر الفقيه وكتابته في طور هدير

نشأ الفقيه مولماً ببطانة كتب التصوف والادب ، ونظم الشعر في سن الحداثة ، وكان يحفظ الجيد منه ، ويميز بالسابقة بين الموزون وغيره ، وقد رثى شيوخه في علم الدين ، وأصدقاء والده وأمرته ، ومن أجلبهم شيخ الشيوخ الشيخ محمود نشابه ، والاستاذ الأكبر الشيخ عبد الغني الرافعي ، والمرشد الأكبر الشيخ أبي الحسن محمد السقاوقجي ، ولم يرث من وجهاء الدنيا إلا الأمير أحمد حسان الايوبي ، صديق والده وأكبر وجهاء الكورة في جبل لبنان ، فقد نظم فيه مرثية دالية اشتهرت حتى كادت تذكر مع مرثية المعري الدالية في فلسفتها ، ومرثية الشريف الرضي الدالية في تعظيم قدر المرثي بها . وقد قال في مطلعها (١) :

إن المنية غاية الميلاد والنعمش مثل المهد للأولاد !
والله قد برأ الخلائق للبقا بعد الفنا وزيارة الأحساد
والموت باب النشأة الأخرى لنا وبها كمال الخلق والايجاد

ثم قال بعد أبيات في وجوب السرور بالموت واستنكار الحزن والحداد ، ومضارهما وقبح عاداتهما :

أطبيعة ذا الحزن ليس يشذ عن ناموسه فرد من الافراد
أم ذاك مما أوجبه شرائع الأديان من هدي لنا ورشاد ؟
أم ذلك العقل السليم قضى على كل الشعوب بهذه الاصفاد ؟
كلا فليس الامر ضربة لازب لمكته ضرب من المعتاد
فأطلع مرابيل العوائد إن تكن ليست بنهج العقل ذات حداد

ونقلد الحزم الشريف كصارم كما تنافع جيشها بجهاد
فانظر لموت الناس بالعين التي ترنو بها لولادة الاولاد
هاتيك مبدؤنا وهذا تمنى طرفان مستويان للنفاد
بل آخر الطرفين خير مما فنجد بالاعتبار به والاستعداد

أقول : إن حزن الثلوب وسكب الدموع على الأهل والمحبين أمر طبيعي لا يكاد يشذ عنه فرد من الأفراد ، وفي الحديث « أن العين لتدمع ، وإن القلب ليحزن » وإن السيد الإمام كان أشد الناس فجيعة بفقد استاذة الإمام (رحمه الله تعالى) وإنما غرضه أن هذه القوافل التي ترحل عن هذه المنازل هي أسمى من أن تزول في التراب زوال المشيم من النبات ، وإن هذه الأرض ليست دار إقامة دائمة ، ولكنها ميدان واسع المدى متناهي الأطراف أوجدده الحكيم المبدع وجعل ما على وجهه زينة له ، ثم سخره للسلائل البشرية ودفعهم للعمل فيه ومكنتهم من ذلك بما أودع فيهم من القوى الظاهرة والباطنة ، ثم هو ينشئهم النشأة الآخرة فيجازيهم بما كانوا يعملون : « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون » ؟ « أيجب الإنسان أن يترك سدى » ؟ وهذا هو معنى قوله :

بل آخر الطرفين خير مما فنجد بالاعتبار به والاستعداد

ثم أنه بعد اطلاعه على شؤون الاجتماع ، وسياسة العصر ، وبتأثير مجالس المرحوم والده مع أصدقائه وقراءة الجرائد التي كانت تأتيه (وعنده بعض أعداد جريدة العروة الوثقى) ثم بتأثير صحة استاذة العلامة الشيخ حسين الجمر ، ومطالعة المجلات العلمية كالملتطف والطبيب ، مالت نفسه لإدخال المعاني المصرية في الشعر ، فكان مما نظم في ذلك القصيدة التي سميت (قصيدة الجاذبية) وقد نشر أبياتاً منها في المجلد الأول من المنار ، والقصيدة الجمالية التي خاطب بها السيد جمال الدين الأفغاني في السنة التي جاء بها الاستاذة ، ثم نشرها في المجلد الثاني من المنار ، والقصيدة الشرقية التي عاتب بها الشرق على تأخره عن الغرب .

وكان آخر ما نظمه من الشعر (المقصورة الرشيدية) التي عارض بها مقصورة ابن دريد ، وكان سبب نظمها اقتراح صنوه وزميله في طلب العلم ، ومذاكرات الادب ، الشيخ عبد القادر المغربي ، أن ينظم مقصورة يريثه فيها بزفافه ، فنظم مائة بيت ونيف ، ثم بدا له أن يتمها في معارضته الدربدية بإبداعها معاني كثيرة في فلسفة هذا العصر ، وفتون الادب والاجتماع المناسبة له ، ولا سيما الاصلاح الاسلامي الذي وقف كل حياته على السعي له ، ثم هاجر الى مصر لأجله^(١) .

يتبع:

محمد برودة البيطار.



آراء وأخبار

هدية كريمة لمخطوطات قديمة

امتازت دار المكتب الظاهرية على سائر دور الكتب المعروفة بنوادير مخطوطاتها الرقديمة في الحديث خاصة ، وبعضها بمخطوط مؤلفيها ، والمخطوطة المخدمومة تحتفظ بقيمتها العلمية وإن طبعت ، لأنها تعين على تصحيح اخواتها في البلدان الاخرى قبل طبعها : إما بمعارضتهن عاينها أو على نسخ خطية أو شسمية عنها ؛ وكثيراً ما يضطر العلماء الباحثون أو الطلاب الدارسون إلى مقابلة المطبوعة بالمخطوطة ، ولا سيما أن أكثر ما طبع في الشرق للتجارة كان طبعه بعيداً عن الضبط والاثقان ، فهو في حاجة حاقة الى المعارضة ليتمكن القارى من فهم النصوص ، وجل ما طبع كالعقد الفريد وزهر الآداب ووفيات الأعيان وغيرها لا يزال في حاجة إلى إعادة طبعه لكثرة ما يشوب هذه المطبوعات من التصحيف والتعريف .

من أجل ذلك كانت هدايا المخطوطات أسنى قيمة وأجل خطراً من المطبوعات ، ومن هذه الهدايا النفيسة للمخطوطات هدية كريمة لعضو مجمعنا العلامة الشيخ محمد بييجة البيطار تشتمل على أربعة وعشرين مجلداً مخطوطاً كتبت في القرنين السابع والثامن : منها ١٧ مجلداً من صحيح البخاري ، وفي آخر بعضها سماعات للشيخ وقرائات مفيدة ، ويتحلى بعضها بما فيه من العلام الدالة على الاثقان كعلامة الحموي وعلامة المستملي وعلامة مجموعها وعلامة

أبي الهيثم ، وبقية المجلدات في الفقه والأصول والكلام ، وفي بعضها حواش وتعليقات كثيرة ، فجزى الله الاستاذ البيطار رافع راية السلفية في هذه الديار عن السلف واخلف خيراً ، ومن الحق وعرفان الجميل أن ننشر جريدة بأسماء كتب هديته الكريمة إلى دار الكتب الظاهرية وفي نشرها فوائد للعلماء والباحثين وهي :

- ١ - الجزء الأول من صحيح البخاري مشكول كله وعليه تعليقات مفيدة آخره : باب إذا قال — شرك عند الموت لا إله إلا الله إلى قوله : كل الجزء الأول من صحيح البخاري (ولم يعلم تاريخ نسخه) .
- ٢ - نسخة ثانية كتب في أولها : الجزء الأول من صحيح البخاري رحمه الله تعالى ورضي عنه آخره كتاب الهبة وهو مخروم من آخره .
- ٣ - جزء كبير جداً وفيه كرر يس كثيرة شتى تحتاج إلى جمع وترتيب وفي آخره سمات الشيوخ وكتب في القرن الثامن .
- ٤ - الجزء الأول من صحيح البخاري كتب على جلده : بينه وبين ما بعده نقص نحو كراس عليه سماع في القرن الثامن .
- ٥ - الجزء الثالث (كتاب) الهبة مخروم من آخره .
- ٦ - الجزء الثالث أيضاً أوله اقتربت بسم الله الرحمن الرحيم قال : مجاهد : مستمر : ذاهب وآخره : سورة الأنبياء عليهم السلام وهو مخروم من أوله وآخره .
- ٧ - الجزء الرابع من الصحيح مكتوب في أوله النصف الثاني من الربع الثاني كتب في آخره : آخر الجزء الثاني أنجزه كتابة محمد بن علي بن محمد يعرف بالحنافي رحمه الله وكان ذلك يوم الأربعاء خامس وعشرين وثمان مائة لهجرة النبوة .
- ٨ - الجزء الثاني وأوله : باب القراءة في المغرب وآخره : باب غسل الخلق وهو بخط محمد بن علي الحنابي المتقدم في ٢٥ شوال سنة ٨١٩ هـ وهو مقروء على الشيوخ ومضبوط بالشكل .
- ٩ - الجزء الخامس أوله قوله تعالى : بسم الله الرحمن الرحيم : وأقيموا الوزن .

بالقسط» وكتب في آخره : يتلوه إن شاء الله تعالى : بسم الله الرحمن الرحيم : كتاب الدعوات وذلك في شهر سنة ٨٦٣ . وفي آخره الحمد لله : بلغ الشيخ كمال الدين أبو عبد الله محمد بن مفلح أعزه الله تعالى قراءة في شهر ربيع الأول سنة ٨٩٦ بمدرسة الشيخ أبي عمر رحمه الله تعالى .

١٠ - الجزء السادس من الجامع الصحيح . أوله : بسم الله الرحمن الرحيم باب سورة المائدة . آخره باب قول الرجل لصاحبه هل أعزمت الليلة ؟ الخ . وكان الفراغ منه علي يد الفقير المعترف بالتقصير يوسف بن محمد بن أحمد بن الصيداوي ولم يؤرخ وكتب : يتلوه في السابع كتاب الطلاق .

١١ - الجزء السادس أيضاً أوله بسم الله الرحمن الرحيم باب مناقب عمار آخره : يتلوه كتاب التفسير بخط إبراهيم بن ماجد بن عبد الله الرملي البردعي . وهي نسخة مصححة وعليها سماعات وقراءات .

١٢ - الجزء السابع وقف الفقير أبو بكر بن سعيد الطرابلسي . أوله كتاب التفسير باب ما جاء في فاتحة الكتاب وسميت أم الكتاب لأنه يبدأ بكتابتها في المصاحف ويبدأ بقراءتها في الصلاة . وآخره : باب من لم يستطع الباءة فليصم ويتلوه باب كثرة النساء . وفي ذيله : الحمد لله بلغ صاحبه شمس الدين أبو عبد الله محمد بن شرف الدين سعيد ابن السقا الطرابلسي تزيل دمشق أعزه الله قراءة في مجالس آخرها ستة أربعين وثمانمائة .

١٣ - الظاهر أنه الجزء السادس وكتب في أول (ص) منه تاسع التاسع وأوله كتاب الدعوات . وقول الله تعالى : « ادعوني أستجب لكم » . وآخره : باب الرجم بالمصلى : آخر ج ٩ يتلوه باب من أصاب ذنباً دون الحد وهو بخط البردعي المقيم بدمشق الرملي .

٤ : - الجزء التاسع من صحيح البخاري وقف أحمد بن يحيى النجدية والمحل مدرسة أبي عمر في العالقية . أوله : باب ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً . وآخره : باب المتعة التي لم يفرض لها . ويتلوه (كتاب النفقات) نهار الجمعة سابع عشر شوال سنة ٨٣١ .

١٥- الجزء العاشر أوله : باب من أصاب ذنباً دون الحد فأخبر الامام فلا عقوبة عليه بعد التوبة إذا جاء مستقبك الخ ٠٠ على يد ابراهيم بن ماجد بن عبدالله الرملي المقيم يومئذ بدمشق المحروسة ٢٦ شعبان سنة ٨٣٣ . آخره باب قول الله تعالى وتضع اوزين الى قوله . ص : كلمتان حبيبتان الى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبجمده سبحان الله العظيم .
أخرج العاشر على يد ابراهيم الرملي سنة ٨٣٣ بلغ سناع الشيخ الطرابلسي أبو عبدالله محمد بن الشيخ سعيد الطرابلسي .

بالقطع الوسط

١٦- الجزآن الثاني عشر من كتاب الجامع الصحيح المختصر من أمور رسول الله وسننه وأيامه . أوله : بسم الله الرحمن الرحيم باب قصة فاطمة بنت قيس . وفي آخره : بلغ مقابلة والله الحمد والمنة . وقد فرغ من نسخه يومف ابن محمد الحنفي الصالح بدمشق بكرة الثلثا عشر جمادى الآخرة سنة ٧٩٨ .
١٧- جزء من البخاري بقطع الوسط أوله كتاب الاستئذان باب بدء السلام وفي أوله ما يأتي :

علامة الحموي علامة المستحلي علامة مجموعهما علامة أبي الهيثم
وقف المرحوم الشيخ حسن بن خادم الجديني على مدرسة شيخ الاسلام أبي عمر بالصالحية قدس الله روحه . وفي آخره : كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها الخ . آخر المجلد الثاني من صحيح البخاري يتلوه في أول الثالث : باب من استوهب من أصحابه شيئاً . وكتب في آخر صفحة : بلغ وما قبله مقابلة متقنة محررة حسب الجهد والطاقة على نسخة الجامع الاموي المعروفة بنسخة الشيخ عماد الدين بن السراج على يد أنقر عباد الله الى رحمته ومغفرته محمد بن زكريا الحواري .

١٨- شرح المنهج للقاضي زكريا . مجلد ضخم بالمقطع الوسط مخروم

آخره وعليه حواشٍ وتعليقات كثيرة .

- ١٩- كتاب تنوير الابصار وجامع البحار تأليف الشيخ شمس الدين محمد ابن الشيخ شهاب الدين بن تمرناش الحنفي كتب بعد الألف (عقيدة الغيب) .
- ٢٠- جمع الجوامع وشرحه للمجلى في الاصول كتب بعد الألف .
- ٢١- الوقاية لصدر الشريعة .
- ٢٢- شرح السنوسية ٢٣- شرح الجوهرة ٢٤- حاشية الخيالي على العقائد .

حول تاريخ دمشق لابن عساكر

سأل الكتي المعروف بدمشق الاستاذ أحمد عبيد المستشرق الكبير
سالم الكرنكوي السؤال الآتي :

هل في المتحفه البريطانيه نسخه من تاريخ دمشق لابن عساكر تكمل
لخرم الذي وقع في النسخه المحفوظه في الظاهرية ؟ فأجابه بما نصه :
انه ليست في بلادنا نسخه من هذا الجزء ، ولكني أعلم أنه في خزائن
الاستانة عدة نسخ وهي هذه :

- ١- في خزانه عاطف أفندي رقم ١٨١٥ وهي المجلد الرابع من نسخه كامله
في ٧ مجلدات كتبت سنة ١١٥٥ تشمل على ٦٥٤ ورقه ، والترجمة الاولى : أبو
بكر عبدالله بن بشر والاختيرة ترجمة عبيدة بن أشعب .
- ٢- خزانه داماد ابراهيم باشا رقم ٨٧٦ وهي المجلد الخامس من ١٤ مجلداً
كتبت سنة ١١٠٤ بتبديء بترجمة حاصم بن عبدالله الى عبدالله بن محمد بن وداد .
- ٣- خزانه داماد ابراهيم باشا رقم ٨٧٧ المجلد السادس من ترجمة عبدالله بن
محمد بن سعيد الى ترجمة عبيد بن أحمد بن عبيد .

٤- طوب قابوسراي في ١٢ مجلداً رقم ٣٨٨٧ (المجلدات كلها تحت رقم واحد: ج ٥ من ترجمة شيبان بن الحارث الغنالي ترجمة عبدالله بن العباس بن هاشم ٤٨٦ ورقة ج ٦ من ترجمة عبدالله بن عبد الرحمن بن يزيد الى ترجمة عبد الرحمن بن عمر الك ٤١١ ورقة ج ٧ من ترجمة عبد الرحمن بن عبدالله بن النثنى و ترجمة عدي بن حاتم الجوار ٤٧١ ورقة ٠ لا تاريخ لكتابة هذه المجلدات ٠ وقد وجد فيما خط مال كها في سنة ١١١٥ ٠ لو كتبتم الى الاستاذ ريتز لا أشك بأنه ينبركم عن اجود نسخة إذ ليس لي معرفة أي النسخ أجود ٠ ولكن يسبق إلى ظني أن النسخة المحفوظة في السراي تفوق الآخرين ٠ ويمكن ان الاستاذ ريتز يحتمل علي أخذ تصاوير شمسية للتراجم التي سقطت عن النسخة الظاهرية لأنني حصلت بواسطته الفوتوغرافات عن عدة كتب كبار لتطبع بعد التهذيب بمطبعة دائرة المعارف الواقعة في حيدرآباد من بلاد الهند ٠

أما النسخ الموجودة في نندرة فقد نشرت بيان ذلك في مجلة المجمع العلمي منذ سنين وفي المتحف البريطاني رقم ٣٨٩٧٣ نسخة في غاية الجودة بقلم المؤرخ الشهير محمد يوسف البرازلي بخط أندلسي كتبها في دمشق سنة ٦١٤ بتبديء بترجمة عبد الواحد زبد الى ترجمة عبيدة بن أشعب ٠

ونسخة ثانية بقلم القاسم ابن المؤلف رقم ٩٠٥٣ قد نزع الخائن الذي سرق هذه النسخة من إحدى خزائن دمشق الورقة الاولى وهي من ترجمة لبطة ابن الفرزدق الى ترجمة محمد بن ادريس الشافعي الامام وهي صعبة القراءة لرداءة خط القاسم ٠ وفيها في الاول كل جزء سماع العلماء بينهم البرازلي المذكور ٠ نسخة ثالثة قديمة رقم ٩٢٦٠ من ترجمة سعيد بن عطية الى ترجمة سمالك ابن الاحوص ٠ وهذا المجلد مطبوع ٠

نسخة رابعة رقم ٣٢٢٥ من ترجمة أبي مجاز لاحق بن حميد الى ترجمة يزيد ابن الأدم وهو يزيد بن عمرو كتبت سنة ٠٠٠ وسبعائة ٠

نسخة خامسة رقم ٧٣٤٨ من ترجمة عمرو بن الخطاب الى ترجمة عمرو بن بجر الجاحظ ثم نسختان رديتان في عنوان الاولى ٠ الجزء الاول (كذا) من

تاريخ ابن عساكر ، ولكن هي من أواخر التأليف إذ فيها الكنى واللقاب ،
والثانية تبدئ بترجمة الفرزدق الشاعر المشهور ولكن الكاتب الجاهل كتب
فرودق بالواو كما ترى ، والترجمة الأخيرة ترجمة حواء أم البشر ، ولا فائدة في
النظر إلى هاتين النسختين لكثرة الاغلاط فيهما



خريج الزراعة في مصر

من أخبار مصر أن مصلحة الاملاك الاميرية انتهت في هذا الشهر من بحث
مشروع إقطاع الأراضي الزراعية في مصر لخريجي كليات الزراعة والمدارس
الزراعية المتوسطة ، ويقضي هذا المشروع المفيد بإعطاء خريج كلية الزراعة
٦٠ فدانا ، وخريج الزراعة المتوسطة ٤٠ فدانا بشروط سهلة على أن تؤدي
أثمان الأرضين في آجال طويلة .

ولعل هذا المشروع من أرق المشاريع الزراعية وأشملها بركة على الأرض
وزارعيا ، ولا سيما العارفين بأصول زراعتها وإنباتها ، ويظهر أن رجال
الزراعة في مصر والشام مبتلون بمرض واحد ، وهو أن لا يملكوا من الأرض
شيئا ، فيضطرون إلى هجر الأرض والالتجاء إلى المدن طلبا لوظائف الحكومة ،
وقد يوجد اليوم في دمشق وأعمالها زمرة صالحة من علماء الزراعة ، وجلهم من
الموظفين الذين قد تجد الجمهورية السورية من يخلفهم في وظائفهم ، ولكنها
لا تجد من يقوم مقامهم في إحياء موات الأرض وإنعاش الزراعة في بلادها ،
فعمى أن تحذو حكومتنا الشامية حذو الحكومة المصرية فتقطع خريجي
المدارس الزراعية فيها مقداراً كافياً من أملاك الدولة ، تستوفي في آجال طويلة
أثمانها ، وتنتفع حين تزرع وتغرس بما تجمعها من ضرائبها ، فتجني من جناها ،
وتغني بقاها .



مطبوعات حديثة

ابن عبد ربه وعقده^(١)

بقلم هيراييل سليمان مبرور

يقع في ١٦٤ صفحة طبع بالمطبعة الكاثوليكية في بيروت

كتاب جيد الطبع على ورق صقيل قسده مؤلفه الفاضل أقساماً خمسة :
تسكلم في الاول منها (١-٩) على مصادر الدرس الثلاثة في العقد الفريد قسده وشعر
ابن عبد ربه ثم ما كتبه المؤرخون عنه . وقصر القسم الثاني (ص ٩-٢٩) على حياة
ابن عبد ربه فونها من الإسهاب والتحقيق ما أسعفت به المصادر المتيسرة للمؤلف .
ثم بحث في القسم الثالث (ص ٢٩-١١٧) عن كتاب العقد فحلله فأحسن تحليله
وذكر المصادر التي استقى منها مؤلفه وتعرض لقيمه من حيث التاريخ والدين والادب
وأهم التحقيقات في هذا القسم ما يتعلق بتسميته (العقد الفريد) وما درس في الكتاب
على مؤلفه أو زيد بعد موته . ووقف القسم الرابع (ص ١١٧-١٢٣) على أثر ابن
عبد ربه ، والقسم الخامس (١٢٣-١٥٣) على شعره في مختلف القنوب . وختم
الكتاب بفهرس منظم للاعلام الواردة فيه .

هذا وصف بجمال لبحوث الكتاب وما أشعر في الكلام على ما يلاحظ عليه بأجزاء
متبعاً ترتيب الصفحات :

- ١- استدلل المؤلف (ص ١٨ وما قبلها) على أن صاحب العقد « كان يشرب
الخمر ويحبها ويدعو اليها » بأشعار له في ذكر الخمر وصفها والثناء عليها . ونريد هنا أن
(١) المجلد : كان هذا الكتاب قد أرسله للمجمع للتقرير وقد أثرتنا عليه أخيراً
فلم نغفله من تقريرنا ولو متأخراً .

نفيه إلى أن هذا شائع عند عامة الشعراء حتى الفقهاء منهم . فمن لوازم الشعر صفة النساء والخمر وإنا نخطئ كثيراً إذا اعتمدنا في درس حياة شاعر على ما يذكر في شعره من حب للنساء والخمر أو تمدح بالشجاعة وعفة النفس . واليون شاسع بين أقوال الشعراء عندنا وأفعالهم منذ الجاهلية حتى اليوم والذي ثبت شرب الخمر على صاحب العقد خبر ما ثور أو رواية مشهورة .

٢ - ليس للمؤلف أن يأخذ برواية (Ribera) (ص ٢٢) ما لم يعلم المصدر الذي استند إليه فكثيراً ما يكون نصيب خطرات النفس وجمجات الخيال أكثر من نصيب الحقيقة فيما يكتب أهل الغرب عن الشرق .

٣ - زعم المؤلف (ص ٥٣) أن ابن عبد ربه « لم يستطع أن يتجرد من بعض النزعات والبول ولم يتجنب كثيراً من الأغلاط التي ارتكبها غيره » وأرسل حكاه هذا مجزداً عن الشاهد فلم يذكر شيئاً من النزعات التي سيطرت عليه ولم يلم بشيء من الأغلاط الكثيرة التي ارتكبها . والمؤرخ لا يرسل حكماً غفلاً من الشاهد والدليل .

٤ - عقد فصلاً بعنوان « نظره كمسلم إلى النصارى في الاندلس ص ٧٥ » فقرأناه فإذا به لا يتعلق بالنصارى ولكن بالفرنج (الإسبان) أعداء الدولة العربية فوصف الفرنج بالنصارى يصرف الدعن إلى أشياء لم يردعها المؤلف . وإنا نرد على الخاطر حين تلاوة هذا العنوان الذي لم يلمح ما للمسلمين وعليهم ما عليهم . وكنا نود أن يكون المؤلف دقيقاً في وضع الكلمة مواضعها .

٥ - عرض المؤلف ص ٨٠ للقصة التي كانت بين صاحب العقد والقلقاط الشاعر واحتشم عن روايتها فقال « نسكت عن ذكرها لما فيها من بذيء اللفظ . . . » وليس بلائق أن نذكر هنا هذه القصص « وتأخذ عليه أمرين أما الأول فإنه لم يسكت عن ذكرها وأتى العمل الذي رآه غير لائق حين ذكر البيت :

يا غرس أحمد إني مزروع سقراً فودعيني سرّاً من أبي عمرا !

ثم دل القارئ على المصدر حيث يرى القصة بتفاصيلها فلم نستفد شيئاً من هذه المظاهرة الوردية ! إلا نشويق القارئ إلى معرفتها فلورواها كن الخطيب أنسر . وأما الثاني فهو أن الأمانة تقضي على من يتصنى لشرح فاحية من تاريخ الأديب

أن يؤدي الأشياء على حقائقها التي هي عليها لأنه مؤرخ لا رجل ثقاليد ورياء .
١ - قال ص ٨٤ : « إن ابن عبد ربه كان مولعاً بوجه عام في المعارضة سواء أكان فيها انتقاد أم لم يكن . وقد كان في كثير من شعره الذي ذكره في العقد معارضاً لشعراء تقدموه . الخ » وظاهر أن المؤلف فهم من معنى معارضة الشعر : الانتقاد وليس كذلك وإنما المعارضة أن يجري الشاعر مع شاعر آخر في وزن قصيدته ورويها وموضوعها . وهي شائعة معروفة .

٢ - استدلل المؤلف من عدم ذكر توقيعات لأحد بعد المأمون على « أن الذي دس في المواضع السابقة قد فاته الدس هنا . وإن وقوف ابن عبد ربه عند المأمون ليحملنا على الظن أن أكثر الأخبار التي وردت في العقد عن خلفاء بني العباس ممن عقب المأمون دس على ابن عبد ربه الخ » ولا يرد هذا كله لأنه من المعروف أنه ليس لأحد بعد المأمون توقيع يؤثر ويروى لضعف ملكات الخلفاء بعده وقلة بضاعتهم من علوم العربية .

٨ - وازن بين ثر ابن قتيبة وثر ابن عبد ربه وذكر نماذج ثم ذهب إلى تفضيل الثاني على الأول ص ١١٩ . والذي نراه نحن أن الأمر على العكس وإن النماذج قسماً التي أوردناها لا تؤيد رأيه . ويرد الأمر في ذلك إلى الذوق والملاحة ولكل امرئ منها ما رزق .

٩ - في الكتاب تطويل كان يحسن أن يتجرد منه . فالفعل الذي عقده لتشيع ابن عبد ربه والذي ملأ عشر صفحات (ص ٦١ - ٧٠) لا يحصل له ، وهو غير وارد : لأن التشيع مفهوم اصطلاحياً لا يتحقق منه شيء في صاحب العقد ولا يشارك الشيعة في شيء من عقائدهم ولا تبرئهم من بعض الصحابة وكل ما في الأمر أنه يحب آل البيت ويشيد بذكرهم ومناقبهم الصحيحة وهذا يشاركه فيه كل مسلم والغريب أن المؤلف قد بعد أن يسود هذه الصفحات العشر يشعر بما قدمنا فيختم فصله بهذه الجملة : « ولعل تشيع ابن عبد ربه من النوع المعروف (بالتشيع الحسن) » .

وكذلك الأمر في فصل « تزعة المغرية ص ٧٢ - ٧٥ » فكان من الخير أن يطويه برمته إذ لا تزعة مغرية عند صاحب العقد كما قرر المؤلف نفسه .

وإحقق بما تقدم فصل (نظاره كمولى الى العرب ص ٧٢ - ٨٠) الذي حشر فيه المؤلف شبه شواهد لا تدل على شيء . أبداً تقاها ابن عبد ربه وتكاد تكون في كل كتاب أدب وخاصة قصة الفقهاء الموالى فإن روايتها لا تدل على شيء في نفس ابن عبد ربه . والمؤلف نفسه يعترف بأنه لا يستطيع أن يجزم لأن صاحب العقد ناقل راوٍ ليس إلا . فقيم هذا التطويل اذن ؟

وهناك عدا هذه الفصول التي يجب حذفها تطويلات آخر تذكر منها مثالين :
الاول : أن حاشيته على كلمة صاحب « هذه بضاعتنا ردت إلينا » من التكلف الذي لا داعي له إلا حب الاطالة فليس من فائدة لقارىء في رجوعه الى سورة يوسف .
والثاني انه أعاد رواية واحدة لابن خلكان مرتين في عشرة أسطر ص (١٢٥) .
١٠ - كنا نحب للمؤلف أن يعرض كتابه على استاذ بصير يصلح له لغته ، وإليك نماذج من غلطات الكتاب :

ض	الخطأ	الصواب
١	الشهير	المشهور
٢٤٦١٥٦١٣٦١	بالاخص	خصوصاً
١	بالأخيرة	بالأخير
»	قدميتها	قدمها (لا لزوم للنسبة وإن كانت غير خطأ)
»	أثرت على	أثرت في
٥٠٤٣١٤٢	كما وأن	كما أن
٣	كلامهما قد استقيا	كلامهما قد استقى
»	لاسيما وقد	وقد (لاسيما يجوز أن تأتي بعدها الواو)
٤	لاسيما ونحن	ونحن
٤	وبالتالي لا نعلم	ولا نعلم
١١٤١٠	عائلة	أسرة
٢٠٦١١	عاصم	أدرك

ص	الخطأ	الصواب	ص	خطأ	صواب
١٥	وقتاً لا بأس به	وقتاً كافيّاً أو صالحاً	٨٨	بني هاشم	بني العباس
»	المرجع عندنا نعم	المرجع عندنا انه كاذب	٩٥	أتمم لك	أتمم بك
	بشربها (لا يقع الحرف خبراً)		١١٤	فهل لا ي من هاتيه	فهل لا ي من هاتيه
٣٦	دور	نعلها دور	١٢٤	وما أنا	وما أناذا
٤٣	يخطأه	يخطئه	»	وها أمامي صفحة	وها هي ذي أمامي
٤٦	وغيرها	وغيرهما		صفحة	
٥٠	امة از عن	تقرء (أو ناق علي)	١٣٦	يحيطها	يحيط بها
٥١	عداها	عداها	١٤٣	(إنه) ذاتقن	ذوقن الخ

وقد تجتمع الخمس من هذه الفاظ في بعض صفحة وتكون اثنتان في السطر الواحد . . .

- ١١- فتمنى أن يعاد طبع الكتاب وأن يزيدنا المؤلف بياناً عن ميزات الطبقات المختلفة للعقد كما اتنا نلفت نظره الى ان صاحب العقد كثيراً ما يقول وفي كتاب للهند ثم ينقل نصوصاً هي في كميّة ودمنة التي بأيدي الناس اليوم انظر على سبيل المثال (٣٧:١) ، (٣٦:٢) ، (٤٣:٢) الخ^(١) وهي مسألة جدية بالدرس والبحث .
- ١٢- عرضت أكثر ملاحظاتي لاث الموضوع دام والكتاب تقيس مفيد والجهود المبذولة في تأليفه كبيرة مع اني كنت أود لو تريت في طبعه وتروى أكثر وأنا أرجو للكتاب الزواج وللحرف الفاضل اطراد النجاح وأن يتدارك هذه العيوب في طبعة ثانية إن شاء الله .

سمير الوفاي



الفهرس الابجدي العام للمجلد الخامس عشر

صفحة	
	﴿ حرف الألف ﴾
٣٩٨	آراء وأخبار
١٢٠	ابن سينا « كتاب »
٤٨٨	ابن عبد ربه وعقده « كتاب »
٢٨٥	أثر الرحلة في الحياة العلمية والادبية
٣٧٩	أثر المجمع العلمي في نهضة الشام العلمية والأدبية
١٥٨	أخبار النحويين البصريين للإمام السمرقاني « كتاب »
٢٤٤	أسواق العرب « كتاب »
٣١١	أغلاط دائرة المعارف الإسلامية
٤٦٦	الامتداء الى قبر معاوية بن أبي سفيان بدمشق
	﴿ حرف الباء ﴾
٢٥٢	بحث في اللغة العربية
٨٥-١٦٥-٤٠١	بحر العوام فيما أصاب فيه العوام
	﴿ حرف التاء ﴾
١٤٠	تأملات عامة في اللهجات العربية
٣٨٨	تطور دور الكتب العربية العامة
٣٩١	التنظيمات الجديدة لدار الكتب الظاهرية
	﴿ حرف الجيم ﴾
٤٤٤	جولة في مدارس اليمن

صفحة

✽ حرف الحاء ✽

حفلة افتتاح دار الكتب الخلية	٣١٤
حفلة افتتاح دار الكتب الظاهرية	٣٩٩
حول تاريخ دمشق لابن عساكر	٤٨٥
حول مقالة الطموح عند اللثني	٧٨
الحياة الزراعية « مجلة »	٤١١

✽ حرف الحاء ✽

خريجو الزراعة في مصر	٤٨٧
----------------------	-----

✽ حرف الدال ✽

دور الكتب في حلب قديماً وحديثاً « محاضرة »	٢٩٩
ديوان البراعم « كتاب »	٣٣١
ديوان الوليد بن يزيد	١٥٥-٣٤

✽ حرف الراء ✽

رجاء عالمي	٣١٣
رسالة تاريخية	٢٣١

✽ حرف السين ✽

السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة « كتاب »	٣١٥
--	-----

✽ حرف الصاد ✽

الصحافة في طرابلس الغرب	٤٤٤
-------------------------	-----

✽ حرف الطاء ✽

طوائف لغوية	٢٦٩
-------------	-----

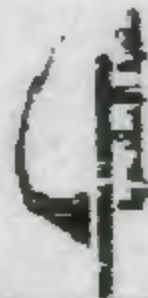
✽ حرف العين ✽

عدي بن الرقاع العالمي	٢٤٥-٣٤٥-٤٥٠
-----------------------	-------------

صفحة	
	﴿ حرف القاف ﴾
٣٩٤	قصيدة كاتم سر المجمع في الأمير شكيب
١٥٥	قل كريات يفتاء
	﴿ حرف الكاف ﴾
٣٢٤	كانور وصيف الدولة
٤٠٢	كتاب في الشطرنج « كتاب »
٤١٢	كتاب المتن « كتاب »
٣٣٥	كتاب الورقة لمحمد بن دادود بن الجراح
٥٩	كتب الدراسة للعلوم العربية في إفريقيا الشمالية
٣٩٦	كلمة الأستاذ البيطار في الأمير شكيب
	﴿ حرف اللام ﴾
٤٠٠	اللغة العربية في عصبة الأمم
٤٠٠	اللغة العربية في محطات الاذاعة البريطانية
٣٧٥	لغة المتنبي
	﴿ حرف الميم ﴾
٢١٦-٦٩	محاضرات في تاريخ لغة العرب
٣٩٩	محاضرة الأمير شكيب أرسلان
٤٠٥	المحبة البيضاء في صحة نعت الجموع بفلاء « كتاب »
٢٦٥-٤٧٤	المصاب العام بوفاة السيد الامام محمد رشيد رضا
١٤٥	المصدر اليائي
٢٥١	معالم السنن للخطابي « كتاب »
٣٤١	المعجمية العربية في ضوء الثنائية والالسانية العامة
٤٠٨	مناظرة لغوية أدبية « كتاب »
١٥٢	منع ربتين علميتين

صفحة	
	• ﴿ حرف النون ﴾
٤٥٦	نظريات الاقتصاد عند البيروني
٤١٥	نهضة العرب العلمية في القرن الاخير (محاضرة)
	﴿ حرف الماء ﴾
٤٨١	هدية كريمة لمخطوطات قديمة
	• ﴿ حرف الواو ﴾
٣١١	وفاة السيد مصطفى صادق الرافعي





Bibliotheca Alexandrina



0652770